الطبعة الثانية مصححة ومزيدة

حقيقة تنظيم الدولة
داعش

مؤثق بكلام أمراء وقادة التنظيم



تقديم المشايخ الفضلاء

حسن بن عبد الوهاب البنا
أبي يوسف عادل السيد
محمد بن رمزان الهاجري
أبي الحسن علي الرملي الأردني

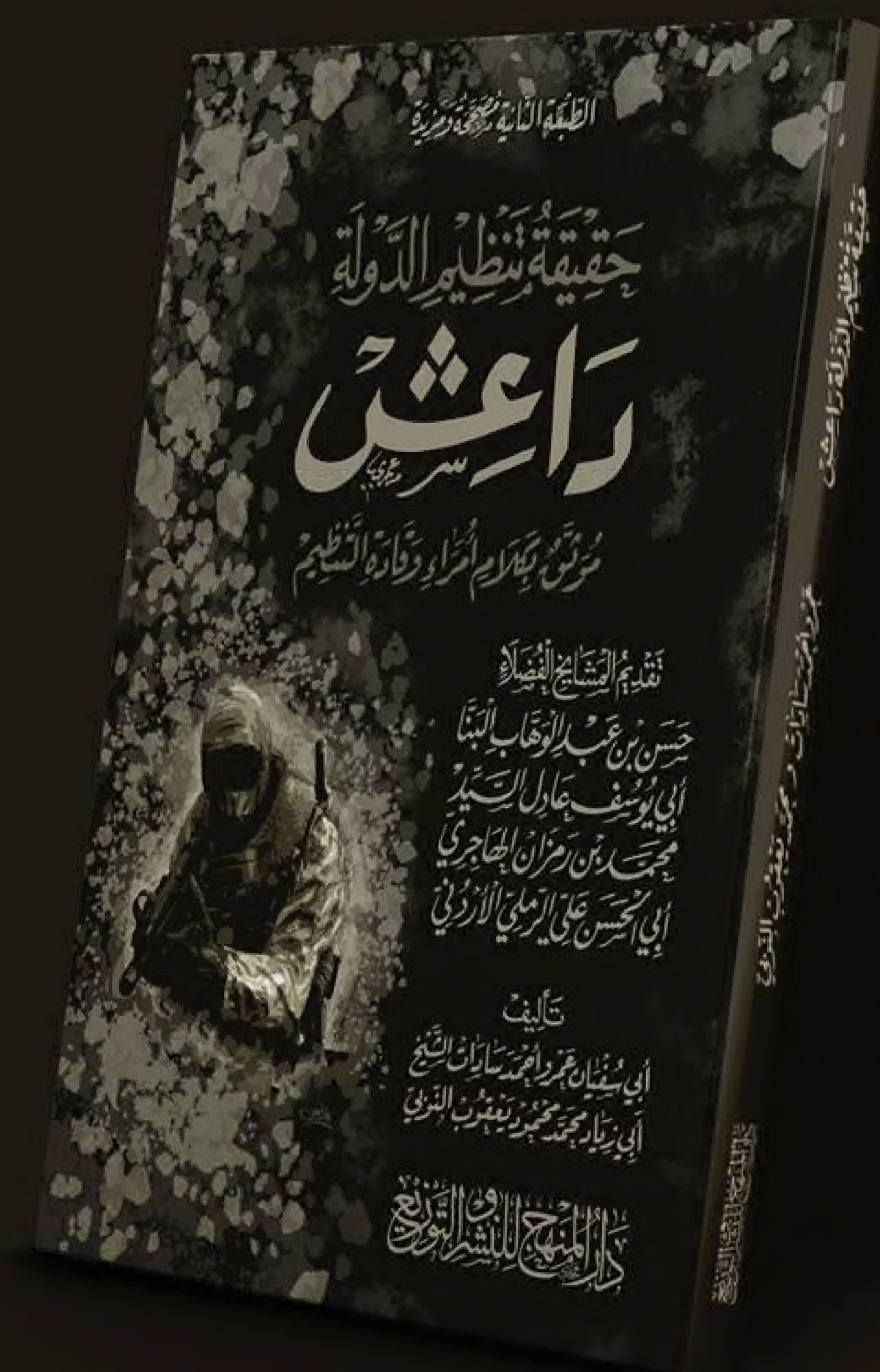
تأليف

أبي سفيان عمرو أحمد سادات الشيخ
أبي زياد محمد محمود يعقوب النوبي

دار المنهج للنشر والتوزيع

حقيقة تنظيم الدولة داعش
عمرو أحمد سادات & محمد يعقوب النوبي
دار المنهج للنشر والتوزيع

حقيقة تنظيم الدولة داعش مؤثق بكلام أمراء وقادة التنظيم



دار المنهج للنشر والتوزيع
العنوان: حي 18 فيفري 19 جوان رقم 23 - قالمة - الجزائر
الهاتف والفاكس: 0021337106220 الجوال: 00213553036143
البريد الإلكتروني: Dar.almanhadj@gmail.Com
ISBN 978-9931-649-02-1

حَقِيقَةُ تَنْظِيمِ الدَّوْلَةِ

دَاعِش

مُوَثَّقٌ بِكَلَامِ أُمَرَاءِ وَقَادَةِ التَّنْظِيمِ

الطّبعة الثّانية

1437 هـ - 2016 م

ردمك: 1-02-649-9931-978

الإيداع القانوني: السداسي الثاني: 2016

دار المنهج للنشر والتوزيع

العنوان: حي 18 فيفري 19 جوان رقم 23 - قالمة - الجزائر

الهاتف والفاكس: 0021337106220 الجوال: 00213553036143

البريد الالكتروني: Dar.almanhadj@gmail.Com.

الطبعة الثانية مصححة ومزيدة

حقيقة تنظيم الدولة

داعش

موثق بكلام أمراء وقادة التنظيم

تقديم المشايخ الفضلاء

حسن بن عبد الوهاب البنا

أبي يوسف عادل السيد

محمد بن رمزان الهاجري

أبي الحسن علي الرملي الأردني

تأليف

أبي سفيان عمر وأحمد سادات الشيخ

أبي زياد محمد محمود يعقوب النوبي

دار المنهاج للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم على آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذه بفضل الله ومنته وحوله وقوته الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي نسأل الله عز وجل أن يكون مباركا، وينفع به في الدارين بفضله ورحمته.

وهذه الطبعة -بحول الله- بها تنقيحات وتصحيحات وزيادات وتوضيحات، والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

المؤلفان

ليلة الأربعاء ٢٠ من ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ

الموافق ١٨ – ١ – ٢٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أتينـــا أتينـــا بـــردٍ رمينـــا بنهجٍ مضينا كأسد الشَّرىٰ
قريبـًا ستلقىٰ ردودي وتشقىٰ بردي ستسقىٰ لظىً مُسعِرا
سيأتي كلامي كرمي السهام كوقح الحسام بضربٍ سرَىٰ
إليكم سنأتي بهديٍ وسمتٍ ومن دون أمت وسوف ترىٰ
رماحـًا سهامًا تبعن الحسام قصدن اللئيم لكي يدحرا
بِعُقرِ الديار قتال الشرار برفع الشعار نشق العرَىٰ
شعار الهداة سبيل النجاة بنهج الأباةِ حسامي انبرىٰ
تركتم سبيلي لنهج الضلال فذوقوا وبالي ولن أكسرا
فشلتم مرارا فذقتم خسارا فتوبوا فرارًا لربٍّ يرَىٰ
قُبَيْلَ الحساب قبيل العقاب عقاب الكلاب شرار الوَرىٰ

مقدمة فضيلة الشيخ
حسن بن عبد الوهاب البنا
حفظه الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وأما بعد:

فقد دفع إليَّ الأخوان الكريمان أبو سفيان عمرو السادات، وأبو زياد النوبيّ هذا المصنف بعنوان «حقيقة تنظيم الدولة ... داعش».

وإن هذا المصنف الطيب فيه الدعوة الحثيثة للاهتمام من المسلمين عامة وخاصة

للمسارعة الجادة ضد الفتنة الكبرى! التي ابتلي بها المسلمون -وهي فتنة الخوارج-، والتي لو استمرت -لا قدر الله- فستقضي على المسلمين بإهلاك الحرث والنسل؛ نعوذ بالله من ذلك.

ولابد أن نضع أمامنا أولًا قول الله تعالى مسترشدين به: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]؛ وإن لم يكن أهل السنة والجماعة الخُلص هم العالمون؛ فمن هم إذن؟!

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٢]؛ فالجهل بأصول الدين وفروعه -فيما هو من الدين بالضرورة- دفع الكثيرين في الغفلات؛ فصاروا من الغافلين، وهم الذين ذمهم الله تعالى في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ فلا يبصرون النجاة؛ فإن هذا من الأسباب الرئيسة؛ فيما وقع فيه المسلمون من هزيمة وتخلف عن ركب الحياة الكريمة، والتي وعد الله به عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

ولا يخفى على كل مسلم وفقه الله لمعرفة دينه الصحيح الحديث الذي ورد في صحيح الترمذيّ وهو قوله ﷺ: «**اختلفت اليهود إلىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، واختلفت النصارىٰ إلىٰ ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين هم علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(١)].

وقال ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**...إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية والناحية**»[(٣)].

(١) انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤).
(٢) انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٦٦٧).
(٣) حسنه العلامة الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (٥٥٦).

وإن الفرقة الناجية هم الطائفة المنصورة وهم أهل السنة والجماعة (على الحقيقة) وهم المتبعون للرسول ﷺ بفقه سلف الأمة وأولهم الصحابة رضي الله عنهم ثم من تبعهم بإحسان؛ فهم على بصيرة من دينهم لأنهم يسترشدون بعلم وتوجيهات علماء أهل السنة.

ويجب علينا ألا نذهب بعيدًا في الفتن والشقاق؛ فقد نبه الرسول ﷺ المسلمين بذلك في حياته، وحتى تقوم الساعة، قال ﷺ: «... **فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**»[1]. وهذا من منطلق الحديث الصحيح بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهم الذين على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ولسائل أن يسأل: هل الرب العظيم يحب هذا التفرق، أم يكرهه، وينهى عنه؟!

والجواب: إن الله تعالى نهى عن التفرق في الدين في أكثر من آية، وفي الأحاديث الصحيحة كذلك، ولكن الله تعالى وضح ذلك بعدما قدَّره امتحانًا للأمة! قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ علمه من علمه وجهله، من جهله والسعيد من وفقه الله تعالى.

ولنستعن بالله تعالى لبيان أمر هذه الفرق الضالة، وعلى رأسها الخوارج الذين لا يرقبون في المسلمين إلًّا ولا ذمة بسبب تقليدهم لأشياخهم أشياخ الضلال الذين ضلوا وأضلوا، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق بسبب زيغ قلوبهم واغتروا بأنفسهم فأصابهم الكبر والجرأة، والمحاربة لله تعالى ولرسوله ﷺ باسم حرية الرأي والتمرد ونزع يد الطاعة للأمراء المسلمين، ويبغونها عوجًا حتى يصبح الناس لا سراة

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وصححه العلامة الألباني.

لهم؛ فيهلك بذلك الحرث والنسل!

وقد حدث التحدي والجرأة على رسول الله ﷺ من كبيرهم وقائدهم إلى فتنة المسلمين ذي الخويصرة التميميّ حينما كان يقسم ﷺ الغنائم قائلًا له: «**اعدل يا محمد**» فقال رسول الله ﷺ: «**إذا لم أعدل فمن يعدل**» فهمّ أحد الصحابة أن يضرب عنقه فلم يأذن له الرسول ﷺ، وقال ﷺ: «**يخرج من ضئضئه ناس تحقرون صلاتكم إلىٰ صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود**»[1]. وهم كلاب النار كما ثبت في الأحاديث الصحيحة[2].

ولقد حذر النبي ﷺ كل التحذير من البدع والمحدثات، وجاء هذا صريحًا في خطبة الحاجة بقوله ﷺ: «**... وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[3].

ومع كل هذا فإن الفرق الضالة - والتي على رأسها الخوارج والذين تمخض عنهم في هذه الأيام فرقة داعش - يعتبرون أنفسهم زورًا وبهتانًا أنهم على الحق ويمارسون ضلالاتهم بتكفير المسلمين من غيرهم ثم قتلهم! إذا لم يرجعوا إلى عقيدة الخوارج الضالين.

ثم كانت فتنتهم وفتنة من سبقهم من الخوارج وعلى رأسهم الإخوان المسلمون، هي فتنة أوائلهم؛ فيتبعون ما تشابه من القرآن؛ لأنهم لا يردون المتشابه إلى المحكم، ولا يحضرون إلى العلماء ولا يسألون عن العلم الصحيح، فضلًا عن مخالفاتهم الصريحة لتفسير القرآن في هذه الآيات لعلماء أهل السنة، وبخاصة الآيات من سورة المائدة (٤٦-٤٩)[4].

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سبق تخرجه.

(١) جاء تفسير هذه الأيات في الصفحات من ٦٧٩-٦٨٤ من مختصر تفسير القرآن العظيم لمصنفه الشيخ

والخوارج قديمًا وحديثًا أصابتهم هذه الفتنة دون علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ لأن تأويلهم لهذه الآيات لم يقل به أحد من أهل السنة (الخلص) لا علماء، ولا طلاب علم، بل يأخذون علمهم وتفسيرهم من تفاسير أهل السنة وأقوالهم وأما الخوارج فيقلدون أشياخهم؛ فإنهم هم متبوعوهم، وليس متبوعهم رسول الله ﷺ في هذه الفتنة الخارجية، وغيرها مما وقعوا فيه، وأوقعوا فيه المسلمين فضلوا وأضلوا، وكل هذا من عمل الشيطان هذا فضلًا عن استدراجهم لضعاف العلم من المسلمين ويمنُّونهم بالحكم بما أنزل الله، وهم من أبعد الناس عن الحكم بما أنزل الله، وتاريخهم شاهد عليهم!

إن هؤلاء لم يتفقهوا بفقه سلف الأمة، وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تفقهوا قبل أن تسودوا» انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] وتبويب الإمام البخاريّ «باب العلم قبل القول والعمل» محتجًّا بالآية الكريمة.

وإن الإخوان وغيرهم من الخوارج يزعمون أنهم سيطبقون الإسلام في أيام وشهور دون الأخذ بهذه الأسباب، وهذا ينطبق على فرقة داعش وغيرها أيضًا كالقاعدة والنصرة ونحو ذلك؛ فأين علماؤهم الذين أفتوا لهم بما وقعوا فيه من الفتن والمخالفات وزعماؤهم يفسرون الآيات بغير تفسيرها الصحيح ويحملونها حملًا على عقائدهم الزائفة، وقد أتوا للناس بسلاحهم وتدريباتهم وأموالهم ليكفروهم ويقتلوهم ويخربوا بيوتهم؛ ففتنتهم أشد ممن سبقهم.

فهلا ينتصح كل مسلم ومسلمة بهذه المؤامرة من حزب الشيطان ويعاونهم في ذلك الخوارج ليبيدوا خضراءنا.

أحمد شاكر رحمه الله وكذلك في غيره من تفاسير أهل السنة وهم الفرقة الناجية إن شاء الله، وقد بين هذا التفسير الأخوان الكريمان أبوسفيان عمرو السادات وأبو زياد النوبي في كتابهما هذا.

فالخوارج يتولون كبر هذه الفتنة العارمة، ولا يغيب عن كل ذي لب أن بعض المسلمين قد استُدرجوا من قِبَل جماعة الإخوان المسلمين الذين كان ظاهرهم التصوف وحقيقتهم الخروج ومن شعاراتهم أن دعوة الإخوان المسلمين كما صرح بذلك كبيرهم حسن البنا «حقيقة صوفية وعقيدة سلفية»، وأدخل هذا الشعار والزيف والتناقض على الكثيرين حتى حصل ما حصل من بلايا وتكفير المسلمين وقتالهم، ونسف وحرق وتدمير لكل مقومات المسلمين، في مصر وغيرها، ولكن على رأسها مصر.

ثم خلف الإخوان المسلمين بعد اعتقالهم والخذلان الذي أصابهم من خلفهم من قطبيين ونحوهم إلى ما يسمى بفرقة داعش ومعهم السلاح والتدريب والأموال الطائلة يُدفعون دفعًا لتكفير المسلمين وقتلهم بحجة أنهم لا يكفرون الحكام ومن تبعهم من أفراد الشعب، وقد أمر الرسول ﷺ بالسمع والطاعة لأمراء المسلمين ما داموا قد أمسكوا بزمام البلاد وإن جاروا، وأن من ينابذ الأمراء العداء يموت ميتة جاهلية، وأن من لم يبايع الأمير الذي عليه وينزع يد الطاعة منه وإن كان ظالمًا -مادام قد أخذ بأزمة البلاد - مع الدعاء له بالهداية والتناصح معه ما أمكن؛ فهو خارجيّ مارق!

هذا ما وفقني الله إليه في هذا الأمر العظيم.

وأضيف إلى ما سبق: ما ذكره الأخوان المصنفان في نهاية بحثهما تحت عنوان «حقيقة داعش قرن الخوارج» وأثبتا ذلك بما هو من واقعهم -يعني الدواعش- للأسباب الأتية:

١- اتفاقهم على أصل واحد وهو التكفير بالحكم.

٢- لا يحكمون بما أنزل الله .

٣- خروجهم من المشرق .

٤- الانعزال عن المجتمعات المسلمة بعد تكفيرها .

٥- يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان .

٦- اتباع المتشابه من القرآن .

٧- كثرة الاختلافات والانشقاقات .

٨- اتخاذهم الشعارات البراقة يخدعون بها الناس .

٩- حداثة أسنانهم وقلة علمهم وانتشار الجهل بينهم.

١٠- يسفكون الدم الحرام .

هذا على وجه الإجمال وأما التفصيل لكل سبب فموجود في البحث والحمد لله.

هذا، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ويهدي الحزبيين والعصاة أو يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ويبدلنا منهم خيرًا، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة والحمد لله أولًا وأخرًا، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

حسن عبدالوهاب البنا

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

وعضو التوعية الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا

مقدمة فضيلة الشيخ محمد بن رمزان الهاجري حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

أما بعد:

فلقد اطلعت على كتاب «حقيقة تنظيم الدولة... داعش» وقرأت بعض مباحثه، وألفيته جيدًا في بابه قريبًا من حقيقتها.

والله أعلم مَن خَلْفَ «داعش» هذه الفرقة المارقة؛ فالخوارج وصفهم ﷺ بأنهم «**كلاب النار**»[1]، وهم أهل بدع ودسيسة؛ ولا مانع عند أهل البدع من التعاون مع اليهود والنصارى؛ فمقدَّمهم «ابن سبأ» له علاقة بتأسيس الرافضة والخوارج، وكان له دور في حراكهم في «العراق والشام» وانطلقوا من مصر، وما أشبه الليلة بالبارحة.

وتعاونهم مع الرافضة واليهود والنصارى قديم -أعني: الخوارج- فشاهد العصر مرتبط بتاريخ أهل البدع مع فضائح الاستعمار، والتاريخ يشهد لذلك؛ فهم مطايا وصنيعة مغذاة من أهل الكفر والرفض، علم بذلك كبارهم وأخفوها عن صغارهم.

ويقول المقدسي الأردني: «لا مانع من التعاون مع الكافر الأصلي على الكافر المرتد»!

---

(١) سيأتي تخريجه.

ويعني بالمرتد حكام المسلمين، فاللهم اكف شرهم وادحرهم، وهم مغلوبون بإذن الله.

قاله وكتبه

محمد بن رمزان الهاجري

١٩ صفر ١٤٣٧هـ

مقدمة فضيلة الشيخ أبي الحسن علي الرملي الأردني حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فقد نظرت في كتاب (حقيقة تنظيم الدولة داعش) واطلعت على أكثر مباحثه فوجدته كتابا نافعا أجاد فيه مؤلفاه وبينا حقيقة تلك الجماعة التي تسمي نفسها بدولة الإسلام كذبا وخداعا للمغرر بهم من الجهال .

فحقيقة هذه الجماعة أنهم خوارج، لو لم يكن فيهم إلا سفكهم لدماء المسلمين وتعبدهم بذلك، وتسميتهم لهم بالمرتدين، وجعلهم قتالهم أولى من قتال الكفار الأصليين؛ لكان كافيا في الدلالة على كونهم من الخوارج؛ لأنه الوصف الذي ذكره النبي ﷺ للخوارج بقوله: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

وبقتل المسلمين والعزم على مقاتلتهم واستباحتهم لذلك ؛حكم علي بن أبي طالب على جماعة خرجوا عليه بأنهم من الخوارج .

وقد أبان الأخوان جزاهما الله خيرا عقيدة هذه الجماعة ومنهجهم من كلامهم إنصافا لهم وعدلا، وذكرا قصتهم من بدايتها حتى يعلم رأس الفتنة في هذا العصر، وبينا منهج الخوارج الذين حذر منهم النبي ﷺ؛ ثم ربطا أصول داعش بأصول أسلافهم وذكرا علامات القوم بما لا يدع مجالا للشك بأنهم خوارج يجب أن تنزل عليهم أحكام الخوارج التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، ويجب على كل مسلم الحذر منهم وتحذير من حوله؛ فقد أفسدوا في الأرض فسادا عريضا؛

بسفك دماء المسلمين، وتنفير الناس عن دين الله الحق، وتصوير الإسلام للناس بأنه دين غايته القتل وسفك الدم ، مع أن النبي ﷺ امتنع عن قتل من حل قتله كي «**لا يتحدث الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه**» كما قال ﷺ؛ كي لا ينفر الناس عن دين الله ويفهموه فهما خاطئا .

ولكن هؤلاء القوم كما وصفهم ﷺ «**سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان**» لا يقدرون مصلحة ولا يدفعون مفسدة .

أسأل الله الهداية للجميع وأن يحقن دماء المسلمين وأن يجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يجعلنا هداة مهتدين.

وجزى الله الكاتبين خيرًا على جهدهما وعملهما ورزقهما الله أجره .

كتبه/ **أبو الحسن علي الرملي الأردني**
المشرف العام على شبكة الدين القيم
٢٨ شوال ١٤٣٧ هجري

تمهيد بين يدي الكتاب

بقلم: فضيلة الشيخ المفسر عادل السيد -حفظه الله-

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مسألة الخلافة الإسلامية شغلت بال الكثيرين ممن يسعون إلى الإصلاح في العصور المتأخرة، وبرغم الكتابات المتعددة في هذا الشأن إلا أن نصيب الاستدلال بالنصوص الشرعية من كتاب وسنة صحيحة في ضوء فهم السلف، كان ضئيلا؛ ولذلك غلب على أكثر هذه الكتابات الحماسة والعاطفة المتحررة من الضوابط الشرعية، بل جاء كثير منها ينزع إلى مذاهب بدعية مناوئة لمنهج أهل السنة والجماعة.

ونحن في هذه الوريقات لن نناقش الأمر من جميع جوانبه، بل ما يهمنا في هذا المقام تسليط الضوء على أمر مهم وهو:

استغلال بعض الجماعات التي أُنشئت إثر إلغاء الخلافة العثمانية على يد العميل «كمال أتاتورك» -قبحه الله- أعظم الاستغلال للوصول إلى السلطة -ليس السلطة المحلية في بلد المنشأ- بل السلطة العامة على جميع دول الإسلام- وأعني بذلك جماعة الإخوان التي أسسها حسن البنا ١٩٢٨ بعد إلغاء الخلافة بأربع سنوات.

والذي قال عنه وعن دعوته العلامة بقية السلف أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسن البنا وإخوانه الذين حولوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدامة ينفق عليها

الشيوعيون واليهود كما نعلم ذلك علم اليقين»[١].

قلت : ومنذ إنشاء جماعة الإخوان وهي تتبنى السعي لإقامة الخلافة-المرفوعة بإذن الله القدري[٢] - والتي بنوا على ضياعها ورفعها ضياع جماعة المسلمين وإمامهم- وأصبحت الجماعة هي جماعة الإخوان والإمامة للمرشد العام للجماعة الذي تُقدم له البيعة -بيعة الخليفة العام- على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره... إلخ.

ثم نشأت بعد ذلك جماعات كثيرة منبثقة من الجماعة الأم -أعني: جماعة الإخوان- وكل هذه الجماعات، وإن تعددت أشكالها وأسماؤها إلا أنها تجتمع على هذه الضلالة الكبرى: غياب جماعة المسلمين وإمامهم والنظر إلى الإمارات الإسلامية والدول الإسلامية على أنها تجمعات لمجموعات من المسلمين (إن نجوا من الحكم العام عليهم بالتكفير كما فعل سيد قطب- عامله الله بما يستحق) ليس لهم إمام شرعي ولا سلطة شرعية، ثم تبلور هذا الفكر فيما سمي أخيرا :بشغور الزمان عن الإمام.

وهذا الكلام ليس ادعاء وإنما هو كلام مُوثّق جهروا به حتى في الرسائل العلمية المقدمة إلى إحدى الجامعات الإسلامية العظيمة -ولا أدري كيف تمت مناقشتها ثم إعطاء الباحث درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف أعنى الرسالة التي تقدم بها الباحث «حسين بن محمد بن علي بن جابر» إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية -على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم- بإشراف الدكتور محمود أحمد ميرة، وطبعتها دار الوفاء الإخوانية، وقدم للرسالة القطبي الإخواني علي جريشة وهي رسالة [الطريق إلى جماعة المسلمين] والكلام في هذه الرسالة ليس مطويا في ثناياها، أو ضمن حاشية دُسَّ فيها بمكر حتى نلتمس الأعذار!، وإنما يصرح المؤلف بعد المقدمة مباشرة[٣]

(١) راجع «تقرير عن شؤون التعليم والقضاء».

(١) إشارة إلى قول الرسول ﷺ: «تكون فيكم الخلافة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله ...».

(٢) بل صرح في العنوان نفسه.

بقوله:

هدف البحث: أن أبين للأمة الإسلامية أن جماعة المسلمين غير موجودة وأنه واجب على المسلمين كافة إقامتها، وأن هذا الواجب هو فرض العصر على كل الأمة، حتى تقوم دولة الإسلام وتترعرع قوية وعزيزة منيعة، يقذف الله بها ومنها الرعب في قلوب أعداء الله وأعداء الإسلام».

قلت: يقول الباحث هذا الكلام في دولة التوحيد التي تطبق الشريعة حسب الإمكان، وتقوم بنشر التوحيد والسنة في جميع بقاع الأرض، والباحث ممن احتضنتهم الدولة هو وجماعته بعدما ضاقت بهم الأرض كل ذلك لم يشفع لدولة التوحيد أن ترفع عن الأمة معرة غياب الجماعة والإمام.

وظلت هذه البدعة والضلالة تسري في كتابات القطبيين من سيد قطب إلى من يليه حتى خرج علينا أحد هؤلاء وهو عبد الحميد هنداوي المدرس بكلية دار العلوم بكتاب سماه «كيف الأمر إذا لم تكن جماعة»، وذكر في مقدمة كتابه أن مجموعة من أهل العلم والدعوة! راجعوا كتابه وأثنوا عليه، واستفاد من ملاحظاتهم وهؤلاء يمثلون مدارس إخوانية متعددة الوجوه، فمنهم سعيد عبد العظيم يمثل مدرسة الأسكندرية، ومحمد عبد المقصود وسيد العربي يمثلان ما يسمى بالسلفية الحركية، بالإضافة إلى صلاح الصاوي المنظر القطبي المعروف، ومحمد حسين يعقوب، ومحمد عمرو عبد اللطيف، وسعود الفنيسان، وعبد المنعم إبراهيم أبوعائش...إلخ من ذكرهم، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى حلمي الإخواني الذي تستر بالسلفية، وميزة هذا الكتاب أنه لا يمثل مؤلفه؛ بل يمثل هذه الأسماء التي راجعته وأثنت عليه، بل قال محمد عبد المقصود نصا: «فإن هذا البحث الفريد قد عبر تعبيرا دقيقا عن كل ما يجول بخاطري وأعتقده في هذا الموضوع».

وحتى لا أطيل في هذه المقدمة أنقل بعض الضلالات الموجودة في الكتاب[1]

(١) يعني كتاب » كيف الأمر إذا لم تكن جماعة».

لنعرف سر الفتن التي نعايشها هذه الأيام ومن أين نؤتى؟!.

قال في(ص١٠١-١٠٢): «فالمسلمون الآن جميعا بلا جماعة ولا إمام، وقد يعترض البعض على هذا بوجود دولة مثل أفغنستان[١]؛ إذ إن لها حكومة إسلامية، وراية إسلامية، قائمة على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومواجهة قوى الكفر والطغيان المحادين لله تعالى؛ ولكن الحق أن دولة أفغانستان؛ وإن كانت دولة مسلمة كانت نتاج جهاد إسلامي رائع أعاد لنا سيرة الصحابة والتابعين الذين جاهدوا لرفع راية هذا الدين؛ إلا أن دولة أفغانستان لم تعلن أنها دولة الخلافة ولم يعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين، ولا طلب بيعة أهل الحل والعقد له، ولا بايعه أهل الحل والعقد[٢] من المسلمين؛ فمثل هذا ليس خليفة، ولا إماما للمسلمين يقينا؛ حتى وإن كان مستحقا للإمامة، مستجمعا لصفاتها... ولو حدث هذا -أي إن دعا إلى نفسه وتمت له بيعة أهل الحل والعقد لأمكننا أن نقول: إن المسلمين قد صارت لهم دار خلافة، وصارت لهم جماعة وإمام يجب أن يرجعوا إليه، ويأتمروا بأمره، وينتهوا بنهيه، وتكون الهجرة إليه واجبة، ولا يجوز البقاء في دار من ديار الكفر[٣]؛ إلا بتكليف منه، أو لحاجة، أو ضرورة لا على نية الإقامة بها؛ لأن الإقامة بها حينئذ -إذا ما وجدت دار الخلافة- لا تجوز؛ إلا للمستضعفين الذين لا يقدرون على الهجرة إلى دار الخلافة، ولكن الحقيقة التي يؤيدها الوقع أن ذلك لم يحدث»اهـ.

---

(٢) لاحظ أنه لم يذكر أي دولة من دول المسلمين ولا المملكة العربية السعودية!

(٣) ويلاحظ أن مصطلح أهل الحل والعقد، ليس المقصود به عند القائلين بشغور الزمان: أهل الشوكة والسلطان والحل والعقد في بلاد المسلمين الممكنين والذين يختارون حكام المسلمين، وإنما المقصود بهم رؤوس الجماعات الحزبية كالإخوان والتبليغ والسروريين وغيرهم كما قال المؤلف ذلك صراحة وكما ادعى ذلك أعضاء ما يسمى مجلس شورى العلماء، وراجع كتابي «بيانات شورى العلماء في ميزان أهل السنة».

(٤) معنى ذلك أن جميع ديار المسلمين ديار كفر بما في ذلك مكة والمدينة=الحرمين الشرفين كما صرح بذلك أبو محمد المقدسي!

قلت: وهذه حقيقة القول بشغور الزمان باختصار شديد ومركز.

ويترتب على القول بشغور الزمان أمور عديدة وخطيرة سأذكرها بعد بيان أن القائلين بذلك لا يشغلون بالهم بموضوع عدم جواز الخروج على الحاكم الظالم من عدمه؛ بل ربما كتبوا، وأشاعوا بين طلابهم مقررات منهج أهل السنة بعدم جواز الخروج على الحكام إلا إذا وجد منهم الكفر البواح، ويتناقلون ذلك فيما بينهم، وقد يغتر بهذا بعض من لا يقف على حقيقة الأمر! فما المانع من ذلك، وهل يوجد أصلا إمام مبايع له في أعناقهم بيعة؛ إنَّ اعتقادهم لا يوجد جماعة ولا إمام؛ فدراسة أمر الخروج على الولاة الظلمة أو عدم جوازه لا علاقة له بزماننا أصلا لفقدان المحل «كما يقال في الفقه» فليس هناك إمام لا ظالم ولا فاسق ولا عدل نظرا لشغور الزمان عن الإمام، فهو غير موجود أصلا فضلا عن أن يحكم بفسقه أو بعدله أو بظلمه!.

ثانيا: يترتب على ذلك عدم البراءة من الخارجين بالسلاح؛ وحتى وإن أعلنوا مخالفتهم لهم؛ فلن يبدعوهم؛ والسبب في ذلك أنهم في نظرهم أخطأوا في التوقيت فقط؛ أما من خرجوا عليه – فإن ثبت عدم كفره فهو ليس بإمام أصلا، فلا تتناوله النصوص المحرمة للخروج.

ثالثا: وهذا أخطر ما في الموضوع أنهم يربون الشباب على انتظار الإمام الموهوم؛ فإذا جاء أي دجال وطلب البيعة العامة على الخلافة لسارعوا إليه زرافات ووحدانا، كما رأينا في كلام عبد الحميد هنداوي، ولذلك وجدنا أبا بكر البغدادي في بيانه الصادر في ١ يوليو ٢٠١٤م يلعب على هذا الوتر ويقول: «اسمعي يا أمة الإسلام اسمعي واعي وانهضي فقد آن لك أن تتحرري من قيود الضعف وتقومي في وجه الطغيان على الحكام الخونة عملاء الصليبيين والملحدين وحماة اليهود... يا أيها المسلمون في كل مكان من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر فإن الهجرة إلى دار الإسلام هي واجبة ففروا إليها أيها المسلمون بدينكم إلى الله مهاجرين، ونخص بدعوتنا طلبة العلم والعلماء والفقهاء وعلى رأسهم القضاة وأصحاب الكفاءات

العسكرية والإدارية والخدمية والأطباء والمهندسين في كل التخصصات والمجالات، ونستنفرهم ونذكرهم بتقوى الله فإن النفير واجب عليهم وجوبا عينيا لحاجة المسلمين الماسة إليهم فإن الناس يجهلون دينهم ومتعطشون إلى من يعلمهم ويفقههم فاتقوا الله يا عباد الله»اهـ.

أقول: فبعد هذا النداء الذي يلبي عطش الشباب للخلافة التي تربوا على الاستعداد لها وانتظار من يناديهم بها باسمها ليلبوا النداء الذي طالما تشوفوا إلى سماعه بعد أن عاش في مخيلتهم دهرا طويلا فها هي الخلافة ماثلة أمام أعينهم فليذهبوا وليبايعوا البغدادي ويصبحوا طوع أمره وإلا كانوا آثمين مضيعين لدينهم ودنياهم فإذا ماتوا ماتوا ميتة جاهلية، وإذا خرج أحد مشايخهم ليرد على البغدادي وينتقده فلن يسمع له الشباب ولن يلتفتوا إليه لماذا؟!

لأنهم تربوا على هذا ولذلك يعتبرون مشايخهم حينئذ من القاعدين المفتونين الذين آثروا الدنيا على الآخرة ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨] الآية ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩] الآية، ومن هنا وجدنا الشباب تطوع بالذهاب إلى داعش لمبايعة البغدادي وهم يجهلون حاله ولا يعرفون شيئا عنه ولكن يكفي أنه يدعو إلى الخلافة، فلم يبذل الدجال جهدا ولم يظهر كرامة ولا شيئا مما يظهره مسيح الضلالة الدجال في آخر الزمان، ولكن يكفيه فقط أن يروي عطش المتعطشين إلى الخلافة.

أعرفتم بعدما قدمناه لحضراتكم ما هو النبع الثر الذي يستمد منه أبو بكر البغدادي مدده وما هو المصدر الذي لا ينفد -إلا أن يشاء الله- ويغذي ما يسمى الدولة الإسلامية (أعني داعش)؟!

إنهم هؤلاء القائلون «بشغور الزمان عن الإمام».

ولذلك وجدنا من يتبع برهامي وحزبه ممن يتسمون بمدرسة الأسكندرية ومن على شاكلتهم يرتمون في أحضان داعش ومستعدون لتلبية نداء البغدادي ومبايعته،

فهذا هو السبب الذي كان علماء أهل السنة الصادقون يحذرون منه قبل ظهور ما يسمى بداعش وكانوا يقولون:

إن حزب ياسر برهامي ومن على شاكلته ممن يقولون: «بشغور الزمان عن الإمام» هم العدو الذي يجب أن نحذره ونعمل على حماية الشباب من الوقوع في براثنه؛ لأن هذا الفكر هو الذي يقوم بإعداد الشباب لكي يكونوا وقودا لهذه الفتن حينما تطل برأسها فهم رأس مال الفكر الخارجي الذي يعمل هؤلاء على إعداده ليكون تحت الطلب.

ذكرت هذا الكلام بين يدي كتاب «حقيقة تنظيم الدولة ... داعش» الذي دفعه إليّ الأَخوان الفاضلان عمرو السادات ومحمد النوبي –وفقهما الله- لأبين النبع الذي منه يستمد البغدادي ومن على شاكلته لكي تتم مباحث الكتاب الذي قرأته فوجدته وافيا بالغرض الذي صنف لأجله!.

والله أسأل أن يوفق كاتبيه ويرزقهما الإخلاص والسداد في القول والعمل وأن يقي أمة محمد ﷺ شر البدع وأهلها ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شيء قدير!.

كتبه: **عادل السيد**
ليلة الأحد ١٣ من صفر ١٤٣٨هـ
الموافق ١٣/ ١١/ ٢٠١٦م.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الحديث عن «**داعش**»(١) هو حديث العالم، ولكنه ليس حديثًا واحدًا، وإنما عدة أحاديث، بعدة لغات ولهجات، ليس ذلك فحسب بل عدة تصورات مبنية على عدة مناهج وأفكار، وكلٌّ يدعي أن حديثه هو الحديث الصحيح، مع أن أكثرهم -إن لم يكن كلهم- مَبْنَى حديثه على الظن والتخرص، فمن قائل: إن «**داعش**» صناعة الاستخبارات الفلانية، تدعمها الدولة الفلانية لتحقيق المصالح الفلانية! ومن قائل: إنها الخلافة الراشدة على منهاج النبوة التي تجب لها البيعة وتلزم لها من المسلمين النصرة! وهناك من يقول: إن «**داعش**» قرن الخوارج في هذا العصر الذين قال فيهم ﷺ: «**كلاب النار كلما خرج منهم قرن قطع حتىٰ يخرج الدجال في عراض آخرهم**»(٢).

(١) وهو اختصار إعلامي لتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، وهذا الاختصار عبارة عن دمج أول حرف من كل كلمة في اسم هذا التنظيم؛ فـ«الدال» = الدولة، و«الألف»= الإسلامية، و«العين»= العراق، و«الشين»= الشام، وجمع كل هذه الحروف (د-ا-ع-ش)= «داعش»، ورغم أنهم تركوا العمل بهذا الاسم واقتصروا على «الدولة الإسلامية» غير أن الكثير لا يعرفهم إلا بهذا الاسم؛ ولذا ستتكلم عنهم باسم «داعش»، ولأسباب أخرى ستأتي معنا -إن شاء الله-.

(٢) سيأتي تخريجه -إن شاء الله-.

وفي الوقت نفسه حاول عدد من المعادين للإسلام وأهله الذين يحاربونه بكل طريق وبأي وسيلة، حاولوا أن يثبتوا أن «**داعش**» هي حقيقة الإسلام![1] مما جعل المسلمين المساكين من العوام في حيرة من أمرهم من يصدقون! وما هي حقيقة «**داعش**»؟! ومن وراءهم؟! وإلى ماذا يهدفون؟! وأي شيء يريدون؟!

والإجابات كثيرة وعديدة!

ولما كان حديث السياسة حديث كذب وغش وخداع، حديث لا كالحرباء يتلون بكل لون بل أشد، حديث لا يثبت على مقال ولا يستقر على حال؛ فما كان هو الحق أمس لا يلبث أن يكون أبطل الباطل اليوم، نقول: لما كان هذا هو حال حديث السياسة؛ رفض كثير من الناس الكلام عن «**داعش**» ووضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وفروا من هذا الحديث فرارًا، ولذلك فإننا سنطرح كل اتهام لـ«**داعش**» بأنها عميلة ونحوه من الاتهامات السياسية[2]، ولن نناقش إلا قولين فقط، هل «**داعش**» على منهاج النبوة؟! أم قرن الخوارج في هذا العصر؟!.

ولما كان حديث الناس عمومًا يصيب ويخطئ، يقبل ويرد، يصدق ويكذب، فنحن بحاجة إلى حديث صادق ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]!

حديث من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]! نحن بحاجة إلى ما إن اعتصمنا به فلن نضل أبدًا[3]!

---

(١) كهذا الكذاب المنسوب إلى البَحيرة بحيرة الشيطان! إسلام بحيريّ؛ وإنّا على شبه اليقين أن «إسلام» ليس اسمه الذي سماه به أبوه، فلعله سمي بهذا الاسم ثم أرسل ليعبث في تراث الإسلام باسم الإسلام!!، والأيام حبلى، وهو معلوم بعداوته للمسلمين وطعنه على هذا الدين عقائده، وثوابته!

(٢) وليس ذلك تبرأة لساحة «**داعش**» من هذه الاتهامات، وإنما لأن مبناها على الظن لا اليقين، ولأننا لا نملك دليلا واضحا على صحة هذه الاتهامات -وقد يملك غيرنا-، ويكفينا أن نعلم حقيقتها المنهجية والعقدية من خلال كلام قادتها وتنظيراتهم.

(٣) كما قال صلى الله عليه وسلم: «إني قد تركتُ فيكم ما إنْ اعتصمتُم به فلن تضلّوا أبداً، كتابَ الله، وسنةَ

نحن بحاجة إلى قال الله قال رسوله قال الصحابة ومن تبعهم بإحسان[(١)]، نعم بهذا الحديث نصل إلى الحق من أيسر طريق وأسرعه!

وكأنا نسمع متعجبًا مستنكرًا يقول: وهل تكلم الله ورسوله عن «داعش»؟!

فالجواب: نعم؛ فإننا إن أردنا أن نعرف حقيقة منهج **«داعش»** أسلفي[(٢)] أم

نبيه» وانظر المشكاة ١٨٦، الصحيحة ١٧٦١.

(١) فلابد من هذه الضميمة مع الكتاب والسنة ولذلك لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم في النجاة بما كان عليه فقط بل قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤)، ولذلك كان أئمة الإسلام حجازا وعراقا وشاما وغير ذلك يلزمون بفهم السلف الصالح، فمن ذلك: قال إمام الحجاز مالك بن أنس رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».
وقال إمام العراق سفيان الثوري رحمه الله: «ينبغي للرجل ألا يحك رأسه إلا بأثر».
وقال إمام الشام الإمام الأوزعي رحمه الله: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإيام وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول، فإن الأمر ينجلي حين ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم».
فهذه آثار عن أئمة الأمصار؛ فليفهم أولو البصائر والأبصار.

(٢) إن مصطلح «السلفية» مصطلح مظلوم حيث يدعيه من لم يتصف به ومن ليس من أهله فأساء إليه مرتين، مرة بتركه، ومرة بتنفير الناس منه، وإن الدعوة السلفية هي دعوة الحق (فماذا بعد الحق إلا الضلال)، هي الإسلام من غير شائبة تشوبه، مبناها على كتاب الله وسنة رسول الله بفهم أصحاب رسول الله، فإن الله رب العالمين أنزل السنة لبيان القرآن ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فلا قرآن إلا بسنة، ولا قرآن ولا سنة إلا بفهم سلف الأمة «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين**» ولما سئل عن الفرقة الناجية قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» ففهم الصحابة ضابط؛ إذ عاينوا الوقائع، وشاهدوا التنزيل، واختارهم الله لصحبة نبيه، وتبليغ دينه ودعوته من بعده، وكل الفرق تدعي العمل بالكتاب والسنة، وما من بدعة إلا وعليها دليل عام من كتاب الله أو سنة رسوله؛ لأن البدعة إجمال مكون من حق وباطل؛ ولذا فإن كل جزئية من النص الشرعي العام لم يجر عليها عمل السلف فالعمل بها بدعة؛ لأن السلف أحرص الناس على الخير؛ إذ هم خير الناس كما أخبر سيد الناس، فالانتساب إليهم شرف، وإن من حيل أهل الباطل لتمرير باطلهم انتحال أسماء أهل الحق -كذبا وزورا- ليغرروا بالجهال والضعفاء من الرجال، فلم يتركوا اسما لأهل الحق إلا وادعوه لأنفسهم وأوهموا العوام أنهم الأجدر بهذا الاسم، مثل سلفية الأسكندرية! (حزب النور)، والسلفية الجهادية، وغير ذلك.

ونحن اليوم في زمان اشتبه فيه الغث بالسمين، واختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس فيه الباطل بالحق

خلفي، سني أم بدعي؟ فإنه إن لم نجد بيانه في كتاب الله وسنة رسول الله فلن نجد له بيانًا! كيف والله رب العالمين بيَّن في كتابه وسنة رسوله ﷺ للمسلمين أحكام الطهارة وآدابها وتفاصيل ذلك ودقائقه، فكيف بدماء المسلمين وأعراضهم؟!

كيف بهدايتهم وضلالهم؟!

ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]؟!

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩]؟!

والحق بالباطل عند كل جاهل ليس بعاقل، واختلت فيه الموازين واشتبهت فيه الدروب فترى الفطر قد اعتلت، والعقول قد اختلت، فزعم أرباب التكفير -بغير حق- وأرباب الخروج على الحكام، الضالون المارقون من الإسلام أنهم أهل الدعوة السلفية وافتروه، ونشروا ذلك بين الناس وأذاعوه، فصدقهم الجاهل، وتابعهم من للبدع والأهواء مائل، ففعلوا بالناس الأفاعيل، وحرفوا دعوة الحق كتحريف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، ولكن لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، بنشر السنة قائمين، وللبدع والأهواء قامعين، لا يضرهم من خالفهم من عدوهم، ولا من خذلهم من أهلهم، يبينون للناس أن الدعوة السلفية لا تعرف تكفيرا بغير حق ولا بالتعميم، ولا خروجا على الحكام المسلمين؛ لا بسيف وسنان، ولا بكلمة ولسان، لا تسلك طريق أهل الأحزاب، كتجمع الماء الكدر في الميزاب، ولا تتبع أهواء الذين ضلوا من الكفار وأهل الكتاب، من أتباع الديمقراطية والوسائل الكفرية، يقولون صراحة:

إن المدعين اتباع السلفية من أهل الدعوة الخلفية والأحزاب البدعية (كحزب النور، وسائر الأحزاب السياسية المنتسبين كذبا إلى السلفية) ليسوا من السلفية في شيء، والسلفية وأهلها منهم براء، وإنما هو منهم الادعاء والافتراء، والمشتكى لرب الأرض والسماء، فاحذر من كل دعوى حتى تتحقق من البينة فلا تنطوي عليك حيلهم فليست باليسيرة ولا الهينة، وإذا رأيت السلفية تقيد بقيد فقف عند هذا القيد تجد أهله مفارقين لأهل الدعوة السلفية، فمن قيدها بالجهادية أو العلمية أو الحاكمية!! فاعلم أنهم متحزبون على بعض الدين، قد جعلوا القرآن عضين = متفريقا يأخذون ما يهوون ويتركون خلاف ذلك، أما الدعوة السلفية فإنها الإسلام كله قال تعالى: «ادخلوا في السلم كافة» كما جاء به النبي الهمام – صلى الله عليه وسلم – فلا قيد يجزئها، ولا إضافة تبعضها.

فكل ما يخص هذه الأمة إلى قيام الساعة بيَّنه ربنا في كتابه وأنزل إلى رسوله السنةَ ليبين لنا ما في الكتاب! كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ولذلك أمر سبحانه أن نرد كل النزاعات إلى الله ورسوله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله ﴿فِى شَىْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط فكان الحاصل أن أي خلاف يقع وأي نزاع يحصل لابد من رده إلى ما يرفع النزاع وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن تأمل في الآية وجد أنه عند الاجتماع أمر بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر =العلماء والأمراء[١]، فلما وقع الخلاف لم يرد إلا للكتاب والسنة فقط، فلم يقل فردوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم، كما قال عند الأمر بالطاعة، وإنما حصر الأمر في الكتاب والسنة فبهما يرفع الخلاف ويزول النزاع.

ولكن هنا أمر ينبغي الانتباه إليه: وهو أن كل الفرق بل كل واحد من المسلمين -أعني المنتسبين إلى الدعوة- يزعم أنه لا يصدر إلا عن الكتاب والسنة، فبهما ينطق وعلى أساسهما يبني!

ولا تجد واحدًا من رجال الجماعات أو الأحزاب أو الفرق المسلمة يقول: أنا أخالف الكتاب والسنة! ومع ذلك فإن هذه الفرق بينها من خلاف التضاد -لا التنوع- وهو خلاف حقيقي -لا لفظي-، ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد؛ ولذلك بيَّن ﷺ أن كل هذه الفرق -التي تمخض عنها الخلاف بين المسلمين- في النار إلا فرقة واحدة وهي ما عليه النبي ﷺ وأصحابه[٢]، فالحق واحد لا يتعدد، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا

(١) والخروج على الأمراء لا يكون إلا بالخروج على العلماء؛ نعني العلماء بحق لا من تشبه بهم وليس منهم.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود والترمذي والآجري وغيرهم، أن النبي ﷺ قال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا علىٰ ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في**

بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ يونس: ٣٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: **«هَذَا سَبِيلُ اللهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»** ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الأنعام: ١٥٣.

فمع مَن الحق مِن هؤلاء وهم جميعًا يزعمون: «القول بالكتاب والسنة»؟

الجواب: إنه مع الذين أُمرنا أن نؤمن بما آمنوا به في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، فمن آمن بمثل ما آمنوا به فقد اهتدى، ومن تولى عن هذا الهدى فهو في ضلال وسبل مختلفة مظلمة لا تصل به إلا إلى جهنم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فمن يتبع غير سبيل الصحابة رضوان الله عليهم، فإن سبيله هذا لا يصل به إلا إلى جهنم -والعياذ بالله-.

ولذلك فإن النجاة أن يكون المسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم، الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ولتبليغ دينه من بعده(١).

ولهذا بين ﷺ أن سبب النجاة من الاختلاف -الذي حتما سيقع بين أبناء الأمة- أن يكون المرء على سنته ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده كما ذكر العرباض بن

النار وواحدة في الجنة».

(١) أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم».

سارية رضي الله عنه فقال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

ولذلك فإن من أخذ بالكتاب والسنة بعيدًا عن فهم سلف الأمة فقد ضل لا محالة!

ونحن إن أردنا أن نحاكم «**داعش**» إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فليس لنا إلا أن نحاكمها من كلامها هي لا من كلام أعدائها من الإخباريين والساسة[(٢)]!

ولذلك فإننا سنأتي هنا بكلامهم هم، وكلام أنصارهم، ومن على منهجهم، لنبين للقارئ اللبيب -الذي يريد الحق لا المتعصب المتبع لهواه- حقيقة «داعش»، ولنعلم جميعًا هل «داعش» هي الخلافة الراشدة على

منهاج النبوة كما يقال عنها؟ أم أنها قرن الخوارج في هذا العصر؟

ولا يتم ذلك إلا بعرض منهج وأفكار «**داعش**» على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فإن تطابقا وتوافقا في كل الأصول، وإلا فإن مخالفة واحدة في هذه الأصول

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥).

(٢) قال متحدثهم الرسمي أبو محمد العدناني في كلمة بعنوان: «لك الله أيتها الدولة المظلومة»: «فمَن أراد الإنصاف فليتَّقِ الله فينا، وليحكم علينا من خلال بياناتنا وإصداراتنا وخطاباتنا، أو من خلال دليل شرعي يثبت فيه خلافَ ما ندّعيه، لا من خلال ما يصوّرنا به إعلام عدوّنا، أو ما يسمعه من أفواه أبواقه، ولا عبر شهادات لخصم من خصومنا».

وقال في كلمة بعنوان: «إنما أعظكم بواحدة»: «ومن أراد أن يعرف منهج الدولة وسياستها وفتاويها فليرجع إلى قادتها وبياناتها وخطاباتها ومصادرها، لا أن يأخذ ذلك من وسائل الإعلام المحاربة للدولة، أو أفواه أعدائها ومحاربيها ومخالفيها الذين لم يتركوا عارًا إلا لصقوه بها، ولا جرمًا إلا نسبوه لها، ولا نقيصةً إلا وألحقوها بها، ثمَّ يصدِّق ذلك ويعتقد به بل ويزيد من عنده ويلقي التُّهَم جزافًا».

تجعل «**داعش**» أو غيرها فرقة مخالفة لمنهاج النبوة.

[**هل تقول إن مخالفة واحدة في الأصول تجعل صاحبها ضالًّا مخالفًا لمنهاج النبوة؟! أليس هذا ظلمًا؟!**] كأننا نسمع هذا السؤال يتردد!

والجواب لا ليس ظلمًا، نعم إن مخالفة واحدة في الأصول تجعل صاحبها ضالًّا مخالفًا لمنهاج النبوة؛ فإن الأمور في ديننا لا توزن كما توزن عند التجار والباعة بالكيلو جرامات!

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها»(١).

قال الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة عشرًا فمن كن فيه استكمل السنة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة»(٢).

قال الإمام علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها...»(٣). ثم ذكر جملة من أصول أهل السنة.

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يقال له صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها»(٤).

وبهذا يتبين لك أنه لابد من اجتماع خصال السنة وأصولها في الرجل حتى يكون مهديًّا سنيًّا، وإلا كان ضالًّا بدعيًّا والعياذ بالله.

فإذا اتفقنا على هذه الأصول؛ فهذا أوان الشروع في المقصود، والتوفيق والسداد من ربنا الودود.

---

(١) «أصول السنة»، (ص ٤٢).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢ / ١٧٤).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢ / ١٨٥).

(٤) «شرح السنة»، (ص ٦٧).

نشأة «داعش» و«جبهة النصرة» وحقيقة الخلاف بينهما

إننا إن أردنا أن نتكلم عن «داعش» وعن منهجها وفكرها؛ فينبغي أن نتكلم عن نشأتها، وما هي المكونات والأسباب التي أدت إلى ظهورها؟ ومن أي الأفكار السابقة نبتت تلك النبتة؟ وذلك لنعلم هل هي نبتة طيبة؟ أم نبتة خبيثة؟

وإذا أردنا أن نتكلم عن نشأة «داعش» فينبغي أن نذهب إلى عام (١٣٤٢هـ) الموافق (١٩٢٤)، وهو العام الذي سقطت فيه الدولة العثمانية بغدر ومكر من «أتاتورك» الطاغية!

نعم لا تعجب؛ فهذا العام وهذا الحدث هو سر كثير من الأحداث التي تدور وتحدث في هذا الزمان، وسيظل هذا العام وهذا الحدث -أعني: سقوط الخلافة العثمانية- هو النواة الأساسية في تكوين ونشأة الكثير من الحركات والتنظيمات التي تحمل وصف «إسلامية»، كيف كان ذلك؟

إنه منذ سقوط الخلافة العثمانية شعر كثير من المسلمين -لاسيما من الشباب المتحمسين- شعروا بانفراط عقد الأمة! وتفكك وحدتها، وأن الضياع يتهددها ويتوعدها! فعاشوا على أمل عودة الخلافة[1]، وسعى كثير منهم إلى تحقيق ذلك!

---

(١) والخلافة حتمًا ستعود كما أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان: «**تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة**». انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٥).

ولكن ينبغي العلم أن الخلافة وعد مشروط، لا يتحقق إلا بتحقق هذه الشروط، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]،

حتى نشأ بعض الشباب المتحمس على هذا الحلم ومنهم «حسن البنا» الذي عاش على أمل أن يكون هو خليفة المسلمين، وظل يسعى إلى وضع حجر الأساس؛ حتى أنشأ جماعة الإخوان المسلمين عام (١٣٤٧هـ) الموافق (١٩٢٨)(١)، فوضع المنهج ورسم الخطة وثبَّت الأركان ووضع الأصول! والتي لا يمكن -في نظره ونظر أتباعه- أن يُفهم الإسلام إلا من خلالها!

فإن من أركان بيعة الإخوان المسلمين ركن «الفهم»، والمقصود به كما قال حسن

فلن تعود الخلافة إلا بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح، لا بالعمل الطالح من مخالفة هدي النبي ﷺ، وسفك دماء الأبرياء ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماء؛ ولذلك فإن أهل السنة يعملون على بناء الدولة المسلمة من خلال الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أمر دينهم، وتعبيدهم لربهم، كما فعل النبي ﷺ؛لأنهم يعلمون ويوقنون أن بناء الأمة وصلاح حالها من صلاح حال أبنائها، فصلاح الفرد صلاح للأسرة، وصلاح الأسرة صلاح للمجتمع، وصلاح المجتمع صلاح للأمة، والله الموفق والمستعان.

(١) **يقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص٤٦٨)**: «وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بالغ الأثر على مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عمومًا، وهي حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا، الذي وضع أسس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتصحيح أوضاع المسلمين، والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والدفاع عن قضايا المسلمين».

ويقول في (ص٦٥٦): «وقد أسسها الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ عام (١٩٢٨). ووضعت إعادة الخلافة شعارًا وهدفًا لها، وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرًا فيما صاغه بقوله وشعاره: «الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا» .اهـ.

وكتاب أبي مصعب السوري هذا يعد مرجعًا تاريخيًّا لهذه الجماعات والتنظيمات وهو خلاصة فكره وتجربته في هذا الميدان.

يقول عن نفسه وعن كتابه (ص ٤٣): «ومن خلال كوني أحد العاملين في التيار الجهادي في مجال الفكر والكتابة والتأريخ والنشاط الإعلامي، بالإضافة للمباشرة الميدانية ولا أذكر هذا هنا للفخر، وليس المقام مقامه -وأسأل الله الإخلاص- **وإنما ليعرف القارئ أن ما يستقبله من صفحات الكتاب هو نتاج تجربة ميدانية طويلة ومتنوعة، فيعطيه حقه من الاهتمام**» .اهـ، ولذلك فإن نقلنا عنه لا يَعْدُو أن يكون توثيقًا لما نقوله عن هذه التنظيمات والجماعات!

البنا في رسالة التعاليم: «أيها الأخ الصادق: إنما أريد بالفهم: أن توقن بأن فكرتنا (إسلامية صميمة)، وأن تفهم الإسلام كما نفهمه في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز» .اهـ(١).

وكان من دعائم هذه الجماعة ما يعرف بـ«التنظيم الخاص»(٢)، وهو جيش خاص بالجماعة، مسئول عن إزاحة وتصفية أعداء الجماعة، والدفاع عن الجماعة إذا استدعى الأمر حمل السلاح(٣).

(١) **نقول:** وهذا أصل الداء ومكمن العلة في هؤلاء، فهو يريد أن نفهم الإسلام من خلال الأصول العشرين التي هي من وضعه! وهذا كمن يوجب على الناس أن ينظروا إلى الدنيا من سم الخياط، بل الواجب أن نفهم هذه الأصول وغيرها وكل ما هو متعلق بالدين من خلال ما جاء عن الله ورسوله وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وأما ما يدعو إليه حسن البنا فإنما هو قلب للموازين وانتكاسة في الفطرة والعقول، والله المستعان.

(٢) وانظر في ذلك: «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين» مذكرات علي عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، و«تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري» للسيد عبد الستار، و«حقيقة التنظيم الخاص» لمحمود الصباغ، و«النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص» لأحمد عادل كمال، وغيرها، وجميعها سطرتها أيدي إخوانية! وممن جمع كلامهم في هذا الباب وناقشه مناقشة علمية سلفية فضيلة الشيخ أبو العباس الشحريّ اليمنيّ في كتابه «التنظيم السريّ السياسيّ العسكريّ عند الإخوان المسلمين بأقلامهم».

(٣) قال خالد محمد خالد –أحد رجال الإخوان المعروفين –وله كتابات كثيرة بها أباطيل وضلالات– في كتاب «قصتي مع الحياة» (ص ٢٨٠ وما بعدها): «كذلك عرفت أن الأستاذ المرشد لم يفاجأ بهذا التنظيم يقتحم عرينه، بل هو الذي فكر فيه وأنشأه واختار له قائده الأول محمود عبد الحليم، ولما غادر القاهرة سعيًا وراء عمله ورزقه اختار قائده الثاني عبد الرحمن السندي، الذي لم يتم تعليمه الجامعي ووقف عند الثانوية العامة؛ حيث التحق بإحدى وظائف وزارة الزراعة، وكانت حيثيات تشكيله كما أعلن الأستاذ البنا في حينه:

أولًا: شن الحرب على الاستعمار البريطاني ممثلًا في نفوذه وجيوشه.

ثانيًا: قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون إعاقة سيرها.

ثالثًا: إحياء فريضة الجهاد.

والذي يعنينا ونحن نشجب هذا التنظيم السري هو البند الثاني: قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون

تعويق سيرها... فلقد أسرف التنظيم في هذا السبيل إسرافًا كان السبب الأوحد في تدمير الإخوان من الداخل والخارج، وكان السبب الأوحد في فقد الإخوان أثمن ما يملكون؛ حياة الأستاذ المرشد الذي ذهب في معركة ثأر شرسة وضارية...». اهـ. ثم ذكر جرائم هذا التنظيم الخاص.

ونلاحظ فيما مضى:

أولًا: أن حسنًا البنا هو المنشئ الأول لهذه التنظيمات في هذا العصر التي تشبه تنظيمات الباطنية والحشاشية

ثانيًا: أن السحر قد انقلب على الساحر؛ فهذا حسن البنا الذي نفث التعاويذ في عقد (البيعة) فارتدت عليه سهامها فراح ضحيتها .

ثالثًا: هذا التنظيم لم ينفذ منه واقعيًّا إلا البند الثاني، فأما الأول والثالث فتأمل في قول علي عشماوي –آخر قادة التنظيم الخاص– في مذكراته (ص٨ وما بعدها): «وكان يعلم –أي: سيد قطب– أن قيادة النظام الخاص كانت مخترقة من الأجهزة الغربية الاستعمارية وتعمل لحسابها، وأن جميع الأعمال الكبرى التي يتفاخر بها الإخوان في تاريخهم قد تم تفريغها من نتائجها؛ فمثلًا حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جدًّا فيها، ثم صدرت من الشيخ محمد فرغلي الأوامر بعدم الدخول في معارك بحجة أن هناك مؤامرة بتصفية المجاهدين، ولكن هذا كان مبرره في الأساس لحماية اليهود من إحدى القوى الخطيرة إذا استعملت، وتم تنفيذ الأوامر وظل الإخوان في معسكرهم لا يحاربون إلى أن عادوا من فلسطين، وكان شباب الإخوان في غاية التوتر والقلق لعدم اشتراكهم في المعارك لدرجة أنهم اجتمعوا وقرروا أن الشيخ فرغلي قد خان وينبغي تصفيته، وفعلًا قرروا ذلك لولا أن الخبر قد وصل إلى الشيخ فاجتمع بهم وشرح لهم الأمر وأطلعهم على الأوامر التي صدرت له من القاهرة وأسبابها.

ومثلًا: هناك واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعيلية، وقد كان هذا الفندق يعج بالإنجليز وبالجواسيس في جميع الأشكال، وقد أراد الإخوان ضرب هذا الفندق ولكن حين تم التنفيذ تم إفراغ العملية من أي تأثير ضار بالإنجليز...

ولقد أورد الحادث الأستاذ صلاح شادي في «مذكراته» فقال: «والتقى أمرنا داخل قسم الوحدات على القيام بعملية إرهاب في داخل فندق الملك جورج بإشعال عبوة ناسفة لا تؤدي إلى قتل أو إصابة بجسامة، وإنما تعلم فقط عن ملاحقة للعملاء والمخابرات الإنجليزية، وكلفنا الأخ رفعت النجار من سلاح الطيران للقيام بهذه العملية بأن يحمل دوسيهًا به مادة ناسفة ويشعلها ثم يتركها في ردهة الفندق إلى جوار الحائط خلف ستارة مدلاة على حائط الردهة، ثم ينهض بعد ذلك ويمضي خارج الفندق وجرى التنفيذ على أحسن وجه، ولكن ظهر للأخ رفعت عند مغادرته المكان أحد رجال المخابرات من الإنجليز الذي اقترب من المكان، ولكن الآخر ظل ممسكًا بالدوسيه حتى انفجر فيه! ومات متأثرًا

ثم قُتل حسن البنا(١)، وخلفه في التخطيط والتنظير للجماعة «سيد قطب»(٢)،

بجراحه، فقد خشي أن يقتل رجل المخابرات الإنجليزيّ!» اهـ.

وهكذا فقد حافظوا على حياة الإنجليز».اهـ، كما حافظوا على حياة اليهود أيضًا كما مضى، وهذا اعتراف صريح منهم بالعمالة من الجماعة للإنجليز واليهود، والاعتراف سيد الأدلة!

ولعلك تذكر ما قاله الغزاليّ الإخوانيّ في كتابه «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث»: «استقدمت الجماعة رجلًا غريبًا عنها ليتولى قيادتها وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد؛ فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذا حالها وصنعت ما صنعت، ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبيّ نفسه لجماعة الإخوان، ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو التي فعلته، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة».

وهذا مصداق ما قاله عنهم الشيخ المحدث القاضي الشرعي في مصر العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ: «حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدَّامة ينفق عليها الشيوعيون واليهود، كما نعلم ذلك علم اليقين» في تعليق على «تقرير عن شئون التعليم والقضاء» (ص٤٨).

وقد تواتر عن العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله قوله عن الإخوان: «خُوَّان المسلمين»، وقد عاين الناس سنين عددا خيانتهم، وقد ذكرنا لك طرفا منها، فما أعظم بصيرة وفراسة أهل السنة والجماعة.

(١) ولعل القارئ في تاريخ جماعة «الإخوان المسلمون» وما حدث قبيل قتل حسن البنا، من تفجيرات وقتل واغتيالات، ومن ثم سجن واعتقالات، حتى لم يبق خارجها -أي المعتقلات- إلا حسن البنا! ثم خروج بعض المقالات كمقالة حسن البنا والتي عنوانها: «ليسوا بإخوان وليسوا بمسلمين» وما يعلم من الطبيعة المزاجية والعقلية لـ«عبد الرحمن السندي» رئيس التنظيم الخاص، وما علم من حرص الجماعة على الثأر لرجالها وجنودها، وتركهم هذا الثأر لكبيرها ومرشدها، أقول لعل المطالع لذلك كله يربط بينه وبين مقتل حسن البنا!

(٢) **قال أيمن الظواهري** في صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٨٤٠٧- في ١٩/ ٩/ ١٤٢٢هـ: «إن سيد قطب هو الذي وضع دستور الجهاديين في كتابه الديناميت معالم في الطريق».

ويقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٦٩٣): «فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عمومًا، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد...».

ولعلك تلحظ في إصدارات داعش التي ينشرونها على الشبكة وفي وسائل الإعلام أنه لا يكاد يخلو إصدار من نقل واستدلال بكلام سيد قطب، فضلا عن أنه لا يكاد يمسك بأحدهم أو يقتل، إلا وبين يديه أو

والذي بلور قضية التكفير، وأظهر ما كان مخفيًّا، وصرح بما لمح به من سبقه[(١)]؛ فاعتبر المساجد معابد والديار ديار كفر[(٢)]! وأن البشرية ارتدت عن لا إله إلا الله! التي لا تعني -في تصوره وتعريفه- إلا أن الحاكمية لله[(٣)]؛ فأعظم الشرك عنده الحكم بغير ما أنزل الله؛ إذ الألوهية هي مرادف «الحاكمية»[(٤)]!

على صدره كتب سيد لا سيما (الظلال) و(معالم في الطريق).

(١) وأما ما يزعمه التيار البَنَّائي من الإخوان -أتباع البنا- من أمثال مختار نوح وكمال الهلباوي وغيرهما من أن فكر التكفير دخل على الجماعة مع دخول قطب والقطبيين فهو زعم باطل ودعوى تردها الحقيقة؛ حيث استحلت الجماعة دماء مخالفيها في الدعوة والحكومات والقضاء(وكان هذا قبل انتساب سيد قطب للجماعة فهم على التكفير قبله ومعه وبعده) ؛ ولذلك حذر العلماء صريحًا من جماعة الإخوان واتهموها بالخارجية قبل موت البنا وقبل دخول سيد قطب في الجماعة بسنين، وأظهر دليل على ذلك مقالة «الإيمان قيد الفتك» للعلامة أحمد شاكر؛ حيث قال عن الإخوان: «إنهم خوارج العصر». انظر المقالة في جمهرة: «المقالات للشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ».

(٢) **قال سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/ ١٨١٦)**: «اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد، تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعًا من التنظيم في جو العبادة الطهور».

(٣) بينما المعنى الصحيح لكلمة التوحيد: أنه لا معبود حق إلا الله، فلا يستحق العبادة أحد غير الله، والعبادة هي: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وانظر كتاب «التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وشروحاته.

(٤) **قال سيد قطب في «ظلال القرآن» (٢/ ١٠٥٧)**: «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية «الحاكمية» التي يدعيها العباد لأنفسهم- وهي مرادف الألوهية- سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب؛ فالأفراد كالتشكيلات كالشعوب ليست آلهة؛ فليس لها إذن حق الحاكمية.. إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله؛ فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء..

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: «لا إله إلا الله» بلا مدلول ولا واقع.. وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد- من بعد ما تبين لهم الهدى- ومن بعد أن كانوا في دين الله! فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف

وباتت فكرة التكفير والدعوة إلى الثورة والانقلاب[١] على سائر أنظمة الحكم تسيطر على كتاباته ومقالاته[٢]، وتابعه على ذلك أخوه محمد قطب[٣]، فصارا من كبار

طويلًا أمام هذه الآيات البينات!».

وفي «ظلال القرآن» (٣/ ١٣٤٦): «إن ربوبية الله للعالمين تعني أول ما تعني إبطال شرعية كل حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة الله وأمره، وتنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس له من دون الله بإخضاعهم لشرعه هو وأمره... واجهه بهذه الحقيقة الهائلة بوصفه رسولًا من رب العالمين.. ملزمًا ومأخوذًا بقول الحق على ربه الذي أرسله».

(١) **يقول سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/ ١٤٥١)**: «لعلك تبينت مما أسلفنا آنفًا أن غاية الجهاد في الإسلام هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة... مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصرة في قطر دون قطر، بل مما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة.. هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين، أو أعضاء «الحزب الإسلاميّ» عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها، أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض، وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تدعو الناس جميعًا إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلًا أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر، بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها، ولا تغفل عنها طرفة عين؛ فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها؛ فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة».

(٢) **يقول سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/ ١٥٠٨) أيضًا**: «إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور.. أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور...».

(٣) **يقول محمد قطب في كتابه «واقعنا المعاصر» (ص٢٩)**: «إن الأمر يحتاج إلي دعوة الناس **من جديد إلي الإسلام**، لا لأنهم -في هذه المرة- يرفضون أن ينطقوا بأفواههم لا إله إلا الله محمد رسول الله كما كان الناس يرفضون نطقها في الغربة الأولي، ولكن لأنهم في هذه المرة يرفضون **المقتضي الرئيسي لـ «لا إله إلا الله»، وهو تحكيم شريعة الله** والامتثال لمنهج الله، وإن كان ألف مليون من البشر من المحيط إلي المحيط ينطقون بأفواههم كل يوم: لا إله إلا الله محمد رسول الله**!** وهذه هي حقيقة «الغربة»

المنظرين للفكر التكفيريّ إضافة إلى «أبي الأعلى المودوديّ»[1] فتولد من زواج التكفير

التي يعانيها الإسلام اليوم في الأرض، رغم ملايين المصاحف التي تطبع، ومئات المحطات الإذاعية والتلفزيونية التي ترتل القرآن وتذيعه على الناس، وتشرحه -في الأحاديث والدروس الدينية- لمن شاء من الناس الاستماع!».اهـ.

وقال أيضًا: «وفرغت لا إله إلا الله من محتواها كله تحت ضغط الأمر الواقع وبتأثير الغزو الفكريّ المسموم، وأصبحت مجرد كلمة تنطق باللسان، ويحسب قائلها أنه قد حاز الإسلام كله بمجرد نطقها بلسانه، وأنه قد قام «بالشهادة» المطلوبة منه، وأن الجنة تنتظره في نهاية المطاف مهما يكن قلبه غافلًا عن حقيقتها ومهما يكن سلوكه متناقضًا لمقتضاها.

وجاءت حركة الإمام الشهيد [يريد سيد قطب ولا يخفى عليك أنه لا يجوز الحكم على أحد بالشهادة إلا بوحي وأنى لهم؟!] والأمة على هذا النحو.. إلا من رحم ربك ممن فتح الله عليه بمعرفة حقيقة الشهادة وحقيقة الدين..

وقام الإمام الشهيد -كما بينا- بتصحيح جانب من العطب الذي أصاب «لا إله إلا الله» في قلوب المسلمين ذلك الجانب الذي كانت قد أفسدته الصوفية والفكر الإرجائيّ ثم دعا إلى تحكيم شريعة الله وإلى وجوب إقامة الدولة المسلمة التي تحكم بشريعة الله ووجد استجابة الجماهير من حوله فاطمأن إلى هذا «الظاهر».

تحكيم شريعة الله -وحدها دون سواها- والتحاكم إلى شريعة الله -وحدها دون سواها- هو أول مقتضيات لا إله إلا الله التي لا تكون بدونها قائمة ولو نطقها الإنسان بلسانه ألف مرة كل نهار!».اهـ.

أرأيت أيها القارئ الكريم؟! إنه تكفير المجتمعات المسلمة جملة؛ والاتكاء على أصل الأصول عندهم «الحاكمية» فهي عندهم المقتضي الرئيسي لـ«لا إله إلا الله»! وأول مقتضياتها لا توحيد العبادة!

تنبيه مهم: أن هؤلاء الذين يرمون أهل السنة بالإرجاء هم مرجئة يشهدون لأنفسهم بالجنة، وهل الحكم بالشهادة إلا قطع بالجنة، والخوارج هم المرجئة كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

(١) **يقول أبو مصعب السوريّ مؤرخهم في كتابه «دعوة المقاومة» ص ٦٩٥:** «ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي ومحضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي؛ وكان هذا الفكر الحركي الذي تكوَّن داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر (القطبي) -نسبة إلى سيد رَحِمَهُ اللَّهُ-، وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كُتَّاب الإخوان المسلمين في السبعينات من مختلف البلاد... أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية، من بلاد نجد والحجاز».

وحمل السلاح مولود مشوه! إذ خلفهم على ذلك عدة تلاميذ تتلمذوا على كتبهم ومقالاتهم ونشئوا على أفكارهم[1]، من أشهرهم «شكري مصطفى» مؤسس التكفير والهجرة، والتي من آثارها التوقف والتبين.

ومن أشهرهم أيضًا سيد إمام الشريف، والمعروف بينهم باسم «الدكتور فضل» وكان يخرج كتبه قديمًا باسم «عبد القادر عبد العزيز»! وكتبه في هذا الباب تعد من أكبر المراجع عند هؤلاء القوم، وهو يعد شيخًا لأيمن الظواهري قبل وبعد سفره إلى باكستان في عام (١٤٠٣هـ) الموافق (١٩٨٣)[2].

ويقول في (ص٦٦٣): «فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهادي؛ حيث طرح فكر الحاكمية والولاء والبراء والتمايز والمفاصلة... وكان رائد هذه الصحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطب رحمه الله، وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي رحمه الله في باكستان مساهمة فذة كذلك، وتتالت المساهمات. وتكونت القاعدة الأولى للفكر الجهادي الحركي الذي ما لبث أن انتشر وبدأت تتكون نوياته في مصر ثم الشام ثم شمال إفريقيا وغيرها ...».

(١) **يقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص٧٣٧)**: «وقد سمعت من الدكتور (أيمن الظواهري) في بعض تسجيلاته -ولعلي سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضًا- أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكره قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره ... لتتحول تلك النشاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري الذي اعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عملية اغتيال أنور السادات (١٩٨١)، وما زالت قيد السجن إلى يومنا هذا».

(٢) **كما ذكر ذلك في حواره مع مجلة الحياة (ص٦): وقال أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص٧٤٠)**: «ولكن من الأهمية بمكان، أن نذكر أن المدرسة الفكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير... فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله، والتي تضم أساسيات الفكر الجهادي المعاصر... ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثَرٍ ومهم، كان من أهمه... كتاب «العمدة في إعداد العدة» للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، وكتابه القيم الآخر «الجامع في طلب العلم الشريف»، والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه باسم «الهادي إلى سبيل الرشاد»، وكذلك سلسلة من النشرات الهامة التي أصدرها تباعًا في بيشاور خلال الفترة (١٩٨٨-١٩٩٢)». اهـ.

وأما قول السوري: «والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه»، فإنه من تصرف الظواهري ومن غير إذن سيد إمام المعروف باسم «عبد القادر عبد العزيز»، ولذلك نال الظواهري ما ناله من سيد إمام جراء

ومن كبار تلاميذهم أيضًا «عبد الله عزام» وهو المنظِّر للجهاد منذ أن سافر إلى باكستان مدرسًا، فاقترب من الأفغان الذين كانوا لثلاث سنوات خلت يحاربون الاتحاد السوفيتيّ، ثم أسس مكتب خدمات للمجاهدين عام (١٤٠٤هـ) الموافق (١٩٨٤)، وأسس مجلة «الجهاد» والتي نشر من خلالها أفكاره وتنظيراته، وكان من ضمن نظرياته أن الجهاد وتحرير أفغانستان يبدأ بالتخلص من حكام المسلمين الكفار! فالعدو القريب قبل العدو البعيد(١)!

وقد كان عبد الله عزام هو الأب الروحيّ لـ«أسامة بن لادن» الذي كان يُغدق

تعديه على حقوق الآخرين وتصرفه في مؤلفات غيره لتنصر هواه، وهذا شأن أهل الأهواء، وسيأتيك شيء من بيان ذلك إن شاء الله.

(١) وهذه الأسماء التي ذكرتها هي أسماء المنظرين لهؤلاء الخوارج.

وتأكيده ما ذكره أبو مصعب السوري في مرجعهم «دعوة المقاومة» (ص ١٠٥٢): «ومن علماء ودعاة التيار الجهادي الشهيد سيد قطب. والشهيد عبد الله عزام، وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإسلامية في مصر –قبل نقض الغزل أنكاثا– وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن والشيخ رفاعي طه، وكذلك جماعة الجهاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز –الذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته إلى مصر في مارس(٢٠٠٤)–. والدكتور الشيخ المجاهد أيمن الظواهري، ومن سوريا الشهيد مروان حديد وتلامذته وغيرهم من العلماء والدعاة. ومن الأردن الشيخ أبو محمد المقدسي».

وفي «دعوة المقاومة» أيضًا (ص ١١٣٠) يقول: «وأنصح عمومًا لترسيخ العقيدة الجهادية بمؤلفات الشهيد سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ، ومؤلفات الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، كما أنصح جدًّا بمؤلفات الشيخ عبد الله عزام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتربية، كما أنصح بمكتبة الجماعات والتنظيمات الجهادية، ومن ذلك مؤلفات الشيخ عمر عبد الرحمن، والشيخ أيمن الظواهري، ومؤلفات الشيخ أبو المنذر الساعدي الليبي، وإنتاج جماعاتهم الجهادية في مصر وليبيا، ومن المكتبات الفكرية الجهادية النافعة مؤلفات الشيخ أبو محمد المقدسي، والشيخ محمد الفزازي المغربي، ومكتبة الأستاذ محمد قطب حفظه الله، ومؤلفات الأستاذ أبو الأعلى المودودي رَحِمَهُ اللَّهُ».اهـ. ونحن لا ننصح بأي من هذه المؤلفات بل نحذر منها أشد التحذير لما سيأتيك من خلال هذا الكتاب من بيان ضلال هؤلاء جميعًا، وإنما ذكرنا هذا النقل عن مؤرخهم توثيقًا لما ذكرنا، ولنعلم الأصول الفكرية لهؤلاء الدواعش، والمنبع الكدر الذين استقوا منه فكر الخوارج، فانتبه بارك الله فيك!

على المكتب والمجلة بأمواله الطائلة[١]، وقد قام بعدُ بالاستقلال عن مكتب الخدمات وقام بإنشاء تنظيم «قاعدة الجهاد» عام (١٤٠٨هـ) الموافق (١٩٨٨) -وكان ساعده الأيمن بعدُ فيه هو «أيمن الظواهريّ» وتم إنشاء هذا التنظيم ليكون خاصًا بالوافدين العرب[٢]!

وظل هذا التنظيم -أعني: القاعدة- يستمر في الانتشار في الدول العربية مستعينًا ومعتمدًا على الحالة النفسية التي يعانيها كثير من الشباب المتحمس الذي تغلبه غَيرته على دينه، لاسيما مع ما يرى من محرماتٍ وانتهاكاتٍ للشريعة! كما اعتمدوا على شعار «إعادة الفريضة الغائبة فريضة الجهاد»[٣] وكذلك ما قام عليه منهجهم من تكفير جميع الحكام، والترويج لفكرة «شغور الزمان من حاكم شرعيّ»[٤]، يقولون: لاسيما وقد

(١) انظر ما جاء في وصية عبد الله عزام بشأن أسامة بن لادن.

(٢) «دعوة المقاومة» لأبي مصعب السوريّ (ص ٧١٠)، وكتاب «الشهيد عبد الله عزام رجل دعوة ومدرسة جهاد» لحسني أدهم جرار، هكذا سماه صاحبه، واعلم أن الحكم بالشهادة لمعين لم يشهد له الوحي مخالف لمنهج النبيّ ﷺ؛ لأن هذا الأمر غيب والغيب لا يعلم إلا بالوحي!

(٣) وفي ذلك وضع محمد عبد السلام فرج كتابه «الفريضة الغائبة» والذي جمع أشتات فكر خوارج العصر ونسقه وطبع في (١٩٨٠) قبيل مقتل السادات حاكم مصر آنئذ، وهذا الكتاب من الكتب التي يبنون عليها دعائم فكرهم.

(٤) وممن يقول بفكرة «شغور الزمان...» ما يسمى بالدعوة السلفية بالأسكندرية -وليسوا بسلفيين في الحقيقة- وهذه الفكرة هي بعينها فكرة «ولاية الفقيه» التي اخترعها الهالك الخمينيّ والتي تخالف معتقد الشيعة أنفسهم!

والحقيقة أن الخمينيّ تأثر به كثير من الشباب المتحمس في هذا الوقت لا سيما الذين ينتسبون إلى ما يسمى بالجماعات الإسلامية!

وسبب ذلك: هو القاسم المشترك بين الجميع؛ فكرة الثورة والانقلاب التي مرت معنا منذ قليل!

يقول المودودي: «إن ثورة الخميني ثورة إسلامية والقائمون عليها هم جماعة إسلامية، وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة، أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتتعاون معها في جميع المجالات» مجلة الدعوة عدد (٣٩) سنة (١٩٧٩).

عقد هؤلاء الحكام الهدنات والمعاهدات مع الكفار الذين يحاربون المسلمين في بلاد أخرى! ولذا فإن الشباب يعيشون في ديار كفرية يجب عليهم إما تغييرها أو الهجرة منها!

ومن هنا انتشر فكر «القاعدة» بل انتشرت هي بذاتها وصار لها في كل دولة إمارة، ومن تلك الدول، دولة العراق والتي صارت مناخًا مناسبًا! لظهور فكر القاعدة لاسيما بعد دخول الأمريكان في (١٤٢٣هـ) الموافق (٢٠٠٣م).

لقد كان أمير القاعدة في العراق هو «أبو مصعب الزرقاويّ» والذي كان قبل ذلك أميرًا لجماعة «التوحيد والجهاد»، ثم بايع أسامة بن لادن، وصار أميرًا للقاعدة في بلاد الرافدين، ثم جمع الكتائب والفصائل المقاتلة في العراق تحت «مجلس شورى المجاهدين» حتى مات أبو مصعب في (١٤٢٦هـ) الموافق (٢٠٠٦)، فخلفه على إمارة القاعدة في العراق «أبو حمزة المهاجر» وهو الذي أعلن عن انخراط تنظيم القاعدة واندماجه مع تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق» في هذا العام.

وهنا ولد تنظيم الدولة الإسلامية، وانتسب لأب ظنه شرعيًّا! هو «تنظيم القاعدة»، فبايع أبو حمزة المهاجر «أبا عمر البغداديّ» أميرًا للدولة الإسلامية في العراق! فصارت القاعدة وهذا التنظيم شيئًا واحدًا[1]، وقد أرسل أبو حمزة المهاجر رسالة إلى أميرهم أسامة بن لادن يبيّن فيها أن مجلس شورى المجاهدين قد أخذ العهد على أبي عمر البغداديّ أن ولاءه لأمير القاعدة أسامة بن لادن، وأن الدولة تابعة لجماعة «قاعدة الجهاد»[2].

وهذا ما كان وكان الإخوان من أوائل المسارعين إلى طهران = إيران فعجبا لقوم يكفرون المسلمين بغير حق ويترضون على من أجمع المسلمين على كفرهم.

(١) مرجع: كلمة صوتية لأبي بكر البغداديّ بعنوان «وبشر المؤمنين إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام».

(٢) كما بيّن ذلك أمير تنظيم القاعدة أيمن الظواهريّ، في كلمة بعنوان: «شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام».

وأبو عمر البغداديّ هو المؤسس لهذا التنظيم -أعني: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق- وظل أميره إلى أن قتل في (١٤٣١هـ) الموافق (٢٠١٠)، ثم تم عقد البيعة بالإمارة لـ«أبي بكر البغداديّ» وهو أميرهم الحالي، والذي أظهر وأبان عن ولاء «الدولة» لتنظيم قاعدة الجهاد، وأن مشايخ تنظيم القاعدة هم ولاة أمره![1].

وأكّده أبو محمد العدنانيّ -المتحدث الرسمي باسم الدولة الإسلامية في العراق والشام-، في كلمته «عذرًا أمير القاعدة» كما سيأتي -إن شاء الله-.

(١) كما بينه الظواهريّ في كلمته «شهادة لحقن دماء المسلمين بالشام».

وهذا ما حاول أبو محمد العدنانيّ -المتحدث باسم «داعش»- ردّه وتكذيبه في كلمة صوتية بعنوان: «عذرًا أمير القاعدة».

ولكنه بدلًا من تكذيبه قام بتأكيده! وكذب هو وتناقض! فقال في بداية كلمته: «أيها المجاهدون أيها الناس أعيروا سمعكم فإن حديثي له ما بعده، أعيروا سمعكم أنقل لكم بعضًا من كلام مشايخنا وقادتنا وأمرائنا قادة القاعدة قاعدة الجهاد...» ثم ذكر كلامًا لأسامة بن لادن وغيره في تكفير الحكام ومن تحاكم إليهم ثم قال: «هذه هي قاعدة الجهاد التي عرفناها وهذا هو منهجها، ومن بدلها استبدلناه، هذه هي القاعدة التي أحببناها، هذه هي القاعدة التي واليناها، هذه هي القاعدة التي ناصرناها... وباتت نفوسنا لا تطاوع غير قيادتها... **ولأجل هذا أرسلت الدولة عبر أبي حمزة المهاجر رسالة إلىٰ قيادة القاعدة تؤكد فيها ولاء الدولة لرموز الأمة المتمثلين بالقاعدة** وتخبرهم أن الكلمة لقيادة الجهاد في العالم لكم برغم حل تنظيمكم على أرض الدولة... ولأجل ما ذكرناه كله ظل أمراء الدولة الإسلامية يخاطبون قاعدة الجهاد خطاب الجنود للأمراء».

ثم أكد أن الرسائل التي أخرجها أيمن الظواهريّ رسائل صحيحة ولكن ما كان ينبغي أن يخرجها لأنها رسائل سرية فقال: «... إذ تعسفت في إخراج مقاطع من رسائل سرية على الإعلام...».

فأكد أن أسامة والقاعدة هم قادته وقادة دولته وولاة أمورهم، وأكد صحة هذه الرسائل التي أخرجها الظواهريّ، فانتبه لهذا جيدًا أيها القارئ اللبيب؛ فإن سبب هذه الكلمة هو قول أيمن الظواهريّ أن تنظيم الدولة تابع لتنظيم القاعدة وأن قادته هم أمراؤهم وقادتهم، فرد عليه أبو محمد العدنانيّ في هذه الكلمة يريد أن ينفي تبعية «الدولة» للـ«تنظيم»، فماذا كان؟! لقد أثبت ما أراد نفيه ونفى ما أراد إثباته!

ومن العجيب مع ما تعلمه من شدة الخلاف الواقع حاليًّا بين القاعدة والدولة! أن تسمع هذه الكلمة من أبي محمد العدناني عقب قتل أسامة بن لادن في كلمة صوتية بعنوان: «إن دولة الإسلام باقية» حيث قال: «كما أخص الشيخ الجليل، والمعلم الموقر، والقائد المحنّك، حكيم الأمة الدكتور أيمن الظواهري أبا محمد، ونبارك له موقعه الجديد، ونسأل الله أن يعينه على أداء هذه الأمانة، ويوفقه إلى خير ما يحبه

ولقد أثنى على أسامة بن لادن ووصفه بأنه شهيد الإسلام -كما يحسبه هو!- إمام زمانه وسيد عصره فخر الأمة وتاج عزها الجديد![1] ظل الأمر في تنظيم الدولة على هذه الحال، حتى قام ما يسمى بـ«الربيع العربيّ»[2] واندلعت الثورات في البلاد العربية وكان من بينها «سوريا» فخرجت كلمة من أيمن الظواهريّ بعنوان «عز الشرق أوله دمشق» يدعو فيها للجهاد في سوريا.

وقد كان «أبو محمد الجولانيّ»[3] في ذلك الوقت في العراق، واقترح على أبي بكر البغداديّ مشروعًا للجهاد في سوريا، فخوله أبو بكر ذلك، ووضع ثقته فيه ليكون قائدًا لـ«جبهة النصرة»[4]، وأخذت الجبهة تتوسع في الشام، ومن ثَمَّ أعلن أبو بكر البغداديّ في (٢٨) جمادى الأولى (١٤٣٤هـ) الموافق (٩/ ٤/ ٢٠١٣) عبر كلمة بعنوان: «وبشر المؤمنين» أن جبهة النصرة هي فرع لتنظيم الدولة في الشام، وأن أبا محمد الجولانيّ هو أحد جنود دولة العراق الإسلامية، وأنه يناصف معه شهريًّا ما

ويرضاه». اهـ.

ولعلك بهذا تذكر حديث عبد الله بن سلام في صحيح البخاري رقم (٣٣٢٩): «... قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت،

فقال رسول الله ﷺ: «**أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «**أفرأيتم إن أسلم عبد الله**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه.

(١) في أول كلمة صوتية له بعنوان: «ويأبى الله إلا أن يتم نوره».

(٢) وهو خريف جدب، أو هو ربيع الغرب! لم يعد على البلاد المسلمة إلا بالخراب والدمار كما هو مشاهَد، وجاءت ببيان فساده الأحاديث -كما سيأتي إن شاء الله- وهذا من أعلام نبوته ﷺ.

(٣) وهو أمير جبهة النصرة الحالي.

(٤) ذكر ذلك الجولانيّ نفسه، في مقطع صوتي بعنوان: «بيان من أبي محمد الجولانيّ تعقيبًا على إعلان دولة العراق والشام»، وذكره أبو بكر البغداديّ أيضًا في كلمة «وبشر المؤمنين إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام».

يأتيهم في «بيت مال المسلمين»!

وأعلن عن انضمام جبهة النصرة للدولة الإسلامية في العراق، واتحادهما ليكونا شيئًا واحدًا تحت مسمى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» والمختصر إعلاميًّا في «داعش» ودعا الجولانيّ وغيره من جنود الشام إلى «الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى»[١]!

فكان هذا البيان صدمة لكل من الظواهريّ[٢] والجولانيّ[٣] وأتباعهما في كل مكان[٤]، وهو الشيء الذي عبرّ عنه كل من الظواهريّ والجولانّي بقولهما: لم نُستأمَر ولم نُستشَر فيه، وأنه مخالفة للتوجه العام للقاعدة ومخالفة لمراعاة المصالح والسياسة الشرعية.

واعتبروا ذلك فرضًا من الدولة لنفسها على الفصائل والجماعات الجهادية، وأنها انشقت وخرجت عن طاعة قادتها في تنظيم «قاعدة الجهاد»، ومن ثم قام أبو محمد الجولانيّ بإصدار بيان حول بيان أبي بكر البغداديّ، وكان مما جاء فيه: أن الدولة تُبنى بسواعد الجميع ممن شاركوا في الجهاد، لا بفصيل واحد! وأنه قد استجاب لطلب أبي بكر البغداديّ «بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى» ولذلك قام بتجديد بيعته لأميره «أيمن الظواهريّ»! أمير قاعدة الجهاد.

ومن هنا قام الخلاف بين جبهة النصرة وبين «داعش» التي تعتبر أن جبهة النصرة فرعًا لها في الشام، وأن خطاب الجولانيّ الأخير يعد انشقاقًا وخروجًا عن

(١) وقد وضح أبو محمد العدنانيّ: أن الدولة سارعت بإعلان انضمام الشام خوفًا من انشقاقات حدثت من جبهة النصرة فسارعت الدولة بالإعلان لردع حركة الانشقاقات! في كلمة بعنوان: «فذرهم وما يفترون».

(٢) مقطع صوتي «شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام».

(٣) مقطع صوتي «بيان من أبي محمد الجولانيّ تعقيبًا على إعلان دولة العراق والشام».

(٤) وهذا ظاهر جدًّا في ردة الفعل من منظريهم كالمسعريّ والمقدسيّ والعلوان وأبي قتادة الفلسطينيّ وغيرهم.

طاعة أميره أبي بكر البغداديّ! وخيانة منه لأميره! والخيانة ثمنها معلوم[(١)]!

حتى جاء بعد ذلك أمر أيمن الظواهريّ باعتباره أمير تنظيم قاعدة الجهاد وهو التنظيم الأم، وكان ملخصه: فصل تنظيم الدولة عن الشام، وأن تبقى ولايتها على أهل العراق، ووكل «أبا خالد السوريّ» للإصلاح وفصل النزاع بينهم.

الأمر الذي أغضب أتباع تنظيم الدولة! واعتبروا ما فعله الجولانيّ خيانة لهم، وامتد الخلاف وتجاوز جبهة النصرة إلى أن وصل إلى تنظيم القاعدة فقد اعتبروه هو وأميره الظواهريّ قد خالف منهج الأوائل كعبد الله عزام وأسامة بن لادن وغيرهم لما قبل بيعة الجولاني له!

واشتد النزاع وكان بينهم صولات وجولات، ومن ثم لم يعتبر تنظيم الدولة بما قاله الظواهريّ بدعوى أنه حكم من قاضٍ لا أمر من أمير! وأنكروا أنهم أتباع القاعدة![(٢)]، وامتنعوا عن طاعة أمره، أو بتعبيرهم: تنفيذ حكمه؛ لأن به مخالفات شرعية ومنهجية، كما قال ذلك أبو بكر البغداديّ[(٣)]، وفصّله أبو محمد العدنانّي[(٤)].

ومبنى ما ذكره في بيان هذه المخالفات على أن ما صدر من الظواهريّ حكم من قاض لا أمر من أمير؛ ولذلك خرج أيمن الظواهريّ يبيّن أنهم -أي: تنظيم الدولة-

---

(١) ومع هذا الواقع المشاهد؛ فإن أبا محمد العدناني لم يستح وقال في كلمته «لن يضروكم إلا أذى: «ومن أعظم وأقبح ما يُفتَرى علينا ونُتَّهَمُ به: أن الدولة تجبر الناس على بيعتها، وتزعم أنها حصرًا الطائفة المنصورة، والأقبح من ذلك: أنها تعتبر من يخالفها الرأيَ مِنَ الجماعاتِ وَالفصائلِ أو مَن يأبى مبايعتَها أو لا يرى المصلحة في وجودها: أنه أصبحَ مِنَ الأعداءِ ومن الصحوات ... حلالَ الدم، ولابد من التعامل معه بطريقة التعامل مع الصحوات، نعوذ بالله من هذه الافتراءات! أو أن نعادي أية جماعة أو فئة أو كتيبة: لمجرد أنها تخالفنا الرأي، أو لمجرد أنها تأبى مبايعة الدولة ... بل إن سياسة الدولة الإسلامية في العراق والشام في هذه المرحلة: هي نصرة المظلومين، ودفع العدو الصائل، والكف عمن كف عنها».

(٢) في كلمة للمتحدث الرسميّ أبي محمد العدنانيّ بعنوان: «عذرًا أمير القاعدة».

(٣) في كلمة بعنوان: «باقية في العراق والشام».

(٤) في كلمة بعنوان: «فذرهم وما يفترون».

أتباع لتنظيم القاعدة، وأن قادة تنظيم القاعدة أمراء لهم، من كلامهم وخطاباتهم ورسائلهم إلى القاعدة، فعندئذ يجب عليهم السمع والطاعة[(١)].

ثم تم قتل «أبي خالد السوريّ» واتُّهم أتباع تنظيم الدولة بقتله، فخرج بيان نصيّ من «داعش» أنها لم تأمر ولم تستأمر في قتل أبي خالد السوريّ، وأن القرارات لا تؤخذ من الجنود وآحاد الرجال، وإنما من القادة واللجنة الشرعية بالدولة! وأخرج أبو محمد الجولانيّ رثاء لأبي خالد السوريّ وحذَّر أتباع تنظيم الدولة إن لم تكف عما تفعل أن يقتلعها من جذورها من العراق!

وتفاقمت الخلافات بينهم جميعًا، ثم قام «تنظيم الدولة» -على عادته من العجلة في مواجهة مخالفيه- بإعلان «الخلافة الإسلامية»[(٢)]! على العالم كله! وإلغاء اسم (دولة العراق والشام)، وأن أبا بكر البغداديّ هو خليفة المسلمين! الذي يجب

---

(١) في كلمة بعنوان: «شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام».

(٢) وكأن هذا الإعلان يخرجهم من التبعية لتنظيم قاعدة الجهاد، ولذلك أخذوا يرددون بعد أنه لا يمكن أن تخضع دولة وخلافة لحكم تنظيم بل الواجب العكس! وحسبوا أن هذا الإعلان كافٍ في تحقيق الدعوى! كأن الخلافة لم يمنع من إقامتها من قبل إلا عدم وجود رجل من قريش من آل البيت -هذا إن كان من قريش فضلًا عن آل البيت- واجتماع عدد من الناس حوله وبيعته بالخلافة! وهذا ينبئ عن حقيقة مدارك العقول عند القوم!

ومن باب شهد شاهد من أهلها يقول أبو قتادة الفلسطينيّ: «إن ما أراده البغداديُّ **إن كان هو صاحبَ الأمر حقًّا في هذا التنظيم** -مع أني في شكٍّ من ذلك- فإن الكثيرَ من الإشارات تدلُّ أن الرجلَ حالُه مع غيره كحال محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) مع جهيمان، **حيث الضعفُ النفسيُّ الذي يحققُ سلاسةَ القيادة لمثل العدنانيِّ وغيره** ممن وصلني عنهم هذه الأخبارُ ومعانيها.

أقول: إن ما أراده البغداديُّ بإعلان الخلافة قطعُ الطريق على الخلافِ الشديدِ على إمرة الجهاد في بلاد الشام الواقع بينهم وبين جماعة النصرة، **وخاصة بعد أن تبيَّن كذبُ دعواهم أن لا بيعة في أعناقهم للدكتور أيمن**، والبغداديُّ في حالة سباتٍ شتويٍّ لا يقدرُ على الإجابة والردِ، إذ يقومُ بدلًا عنه من يتقنُ الشتمَ والرجمَ، **بل خلتِ الجماعةُ من طالبِ علمٍ شرعيٍّ له ملكةُ الحديثِ بالشرع في هذا الباب**، فإن خرجَ بعضُهم فتحدثَ أتى بالمصائبِ والفواقر، فلم يبقَ إلا علوُّ الصوتِ والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء» «ثياب الخليفة» (ص٨).

بيعته في رقاب جميع المسلمين، ونصرته من جميع طوائف المجاهدين وكان إعلان الخلافة في (١ رمضان ١٤٣٥هـ) الموافق (٢٩/ ٠٦/ ٢٠١٤).

وكان مما قاله أبو محمد العدنانيّ المتحدث الرسميّ باسم الدولة، في إعلانه الخلافة بعد أن ذكر أمورا فارقة بين الخلافة والملك والسلطان:

«تلك حقيقة الاستخلاف، **الذي مِن أجله خلقنا الله**، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم... **وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وسُلّت سيوف الجهاد»**[1].

---

(١) كلمة صوتية بعنوان: «هذا وعد الله»، وسيأتي بيان ذلك والرد عليه! في الوقفة الرابعة من وقفات الخلافة -إن شاء الله-.

وهاهنا لابد من نقل مهم جدًا عن خارجيّ كبير ألا وهو أبو قتادة الفلسطينيّ وهو من باب وشهد شاهد من أهلها يقول: «إن تنظيمَ الدولةِ قد دخل فيه الانحرافُ من جهتين:

أولاهما: من أفراخِ جماعةِ الخلافةِ، وهي جماعةٌ قَدِمَتْ في الجهل، إن من الشر من حيث زعموا أن الخلافة (الإمامة العظمى) حقيقتها تكون بأن يبايع واحدٌ من المسلمين واحدًا من آل البيت لتكون الحقيقة الشرعية لهذا المسمى العظيم، وقد كان لي معهم كلامٌ طويلٌ حيث بانَ لكل مبتدئٍ من العلم جهلُهم، وأما طالبُ العلم الممكَّن فهو بصيرٌ بجهل هذه الدعوى.

وقد كان آخرُ كلامٍ لي مع الخليفة المزعوم أن **قلتُ له إن طريقكم يجمعُ بين ضلالِ الروافضِ والخوارجِ:**

وأما أخذكم عن الروافض فهو من جهةِ تسمية المعدوم وهو إمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري إمامًا، ... وحيث سميتُم الوهمَ (صيغة الخلافة عندهم) اسمًا شرعيًّا مباركًا (أي الخلافة) فأنتم في هذا الباب على نهج الروافض، وهم أكثرُ الناس وهمًا في هذا الباب حيث يسمون الغائب «المعدوم» إمامًا ويعلِّقون عليه أحكامَ الإمامة، بل وأكثر من ذلك.

وأما أنكم تشابهون الخوارج؛ فإنكم أتيتم بالشرِّ الأكبر فيهم حيث كفرتم المخالفَ لكم في هذا المعنى.

وقد صرَّح لي «خليفتهم» وفقيههم المقدم فيهم أنهم كانوا على هذا الاعتقاد وهو تكفيرُ مَن لم يبايع خليفتَهم، ولكنهم قالوا: إن اعتقادنا هذا قد تغيَّر -أي الخليفة! والفقيه!- وإن كان بعضنا على هذا الاعتقاد، وهي مسألةٌ لا نوالي عليها، فهي عندهم مسألةٌ خلافية يجوزُ فيها الافتراقُ دون الفراقِ.

وحيث كان هذا معتقدهم في الابتداء فقد وقع منهم جهالاتٌ كثيرةٌ من إباحةِ الدماءِ والأموالِ... هذا هو مصدرُ الانحراف الأول في جماعةِ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ.

وقد كان بعضُ الناس من خارج جماعة «الدولة» تنظيمًا ومكانًا يدعو إلى بيعة البغداديِّ بيعةَ الخلافة،

واستمر القتال بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة إثباتًا للذات وفرضًا للقوة وحرصًا على الأرض كي تكون الشام تابعة لهم(١)! ولم يتوقف هذا القتال رعاية للأشهر الحرم!(٢).

وكان هذا يُحمَل عند الناظرين على الجهل والتهور وسعار المخالفة، ولم يكن يُرى هذا المعنى جليًا في جماعة «الدولة» إلا عند من يدقِّقُ في كلامهم في رفضهم للتحاكم بينهم وبين مخالفيهم... مع أن بعض مسئوليهم الشرعيين فاحت منه هذه الجهالاتُ وهو قوله: إن الإمامة من أصول الدين، وهي مناطٌ للتكفير والإيمان.

أما مصدرُ الانحراف الثاني في جماعة الدولة فهي بقايا جماعاتِ التوقُّف والتبيُّن، وبقايا جماعات الغلو ممن يطلق عليهم جماعاتُ التكفير، وقد نفر بعضُ هؤلاء إلى الجهاد في بداية أمره، وأعلمُ بعض أسمائهم، وقد أحدثَ هؤلاء من الشرِّ في رؤوس البعض، كما أنه صار لكلامهم أثرٌ كبيرٌ في رؤوسِ الشبابِ الجُدد الذين نفروا من مناطقَ صحت فجأةً من هوة الجهل العميق إلى حالة التديُّن، ومثل هؤلاء كالعجميِّ إن أسلم؛ فإن وُفِّق لصاحب سُنَّة اهتدى، وإلا كان فسادُه عظيمًا كما قال الأئمة من قبل؛ ولذلك تجدُ عامةَ أتباع هؤلاء من الجهلة المبتدئين في التديُّن؛ حيث يعجز جهلهم عن فهْم مضايق مسائل العلم، ومعلومٌ لأهل العلم أن تنزيلَ الأحكامِ الشرعية من مضايق الفقه، بل هو أعوص ما يلاقيه الفقيهُ نفسُه، فكيف يُجعَلُ حكمُ الكفرِ والإيمانِ على الأشخاص والجماعات في يدِ جاهلٍ لا يعرف أحكامَ المياهِ والوضوءِ والصلاةِ...» .اهـ. من «ثياب الخليفة له» (ص١-٣).

(١) **مما قاله أبو محمد العدنانيّ ردًّا على الظواهريّ في كلمة «فذروهم وما يفترون» قال:** «في أي ميزان ينزل الحكم بأمر المجاهدين بالانسحاب من الشام، وقادة المجاهدين في كل مكان يتمنون اللحاق بالشام».اهـ.

فهذا يبيّن لك سبب حرصهم على الشام ظنًّا منهم أنهم بمجرد دخولهم الشام يكون قد صدق عليهم الوصف الوارد بأحاديث النبيّ ﷺ لجنود الشام! ولو كان الأمر كذلك لثبت لبشار وأبيه من قبل! فتأمل.

(٢) والأشهر الحرم هي: «رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم» والقتال فيها من أكبر الذنوب عند الله، فلماذا لم يتوقف قتالهم بعضهم البعض فيها؟! والله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

قال الطبريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءَكم من المشركين، وهو كقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾...، ثم نقل عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: يعني:

ثم قاموا بعد ذلك بعقد هدنة وتركوا القتال -لا للأشهر الحرام!-، وإنما لما اجتمعت عليهم الجيوش، وبقي الخلاف بينهم وبراءة كل واحد من الآخر، والعجيب أنهم جميعًا ينتسبون إلى أسامة بن لادن ويتبنون فكره، فتولوا جميعًا أسامة بن لادن وبرئ بعضهم من بعض! وهذا له مثيل سيأتي إن شاء الله ذكره عند الكلام عن الخوارج الأول، فكن منه على ذُكر.

هذا ما يدور في الساحة إلى كتابة تلك الكلمات! ولعله ما يدور أيضًا وأنت تقرأ هذه السطور!

وبعد هذه النبذة المختصرة الموثقة[١] عن نشأة «داعش» وعن حقيقة الخلاف بينها وبين جبهة النصرة، **وبعد ما تبين أن الخلاف ليس منهجيًّا، وأنهما على منهج واحد**، وعن الأفكار والمناهج التي نبتت منها، لعلك أيها القارئ اللبيب قد استطعت أن تكون فكرة عن عقيدة وفكر «داعش».

ولكن حتى يزداد الأمر وضوحًا؛ فإننا سنتعرف على عقيدة «داعش» وبنودها، وذلك من خلال عقيدتهم التي بثها وبيّنها المؤسس «أبو عمر البغداديّ».

ولنعرض هذه العقيدة على منهج الخوارج الأوائل مرورًا بالمتأخرين منهم، ثم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ لنعلم جميعًا هل «داعش» هي خلافة على منهاج النبوة؟ أم فرقة ضالة على منهج الخوارج؟!

لا تستحلوا قتالًا فيه»؛ فإذا حرم قتال المشركين فيه؛ فكيف بقتال المسلمين؟! بل كيف بقتال أبناء المعتقد الواحد؟! فما الظن بغيرهم ممن يخالفهم في المعتقد أو المنهج أو المسلك من المسلمين؟! كيف بهذه الدماء التي تراق بغير حق؟! تراق ظلمًا وعدوانًا وافتراء وطغيانًا، وما أعظم حرمة دم المسلم!

(١) فكلها بمقاطع صوتية يقرونها وينشرونها عن أمرائهم وقادتهم كما رأيت.

عقيدة «داعش، وجبهة النصرة»

ونحن الآن سنعرض عقيدة «داعش» كما قرروها ثم سنعرض نشأة ومقالات الخوارج ونناقشهما جميعًا على عقيدة ومنهج السلف الصالح من الصحابة ﵃ ومن تبعهم بإحسان؛ ليتبين من خلال هذا العرض وتلك المقارنة والمناقشة: هل «داعش» خلافة على منهاج النبوة؟ أم أنها قرن الخوارج في هذا العصر؟

وهذه العقيدة هي التي قررها أبو عمر البغداديّ -الأمير الأول لدولة الإسلام في العراق كما يسمون أنفسهم- ردًّا منه على ما اتهمت به الدولة من أنها تكفر عوام المسلمين وتستحل دماءهم وتجبرهم على الدخول فيها بالسيف، وسنرى هل هذه العقيدة تنجيه مما رمي به هو ودولته، أم تؤكد ما رمي به؟!

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن أبا بكر البغدادي -الأمير الثاني والحالي لهم- قال في أول كلمة له بعنوان «ويأبى الله إلا أن يتم نوره» قال: «إن دولة الإسلام باقية على عقيدتها ومنهجها لم ولن تبدل أو تحيد». اهـ.

إذن فما زالوا على ما ذكره أبو عمر من عقيدة ومنهج لم يغيروها أو يبدلوها.

كذلك قلنا أنها عقيدة جبهة النصرة أيضا؛ لأن أبا محمد الجولاني حينما قرر أبو عمر البغدادي هذا الاعتقاد كان أحد أفراد تنظيم الدولة، ولم ينكر عليهم حينها هذا الاعتقاد، بل وحتى بعد أن اختلف معهم لم يكن خلافهم من أجل أصول عقيدتهم وإنما لأجل بعض القرارات التي سبق معنا بيانها في النشأة، وعليه فهي عقيدة واحدة وحكمنا على عقيدة داعش يعني حكمنا على جبهة النصرة، فانتبه لذلك والله الموفق.

قال أبو عمر البغداديّ في كلمة له بعنوان «قل إني علىٰ بينة من ربي»:

«وقد رمانا الناس بأكاذيبَ كثيرةٍ(١) **لا أصل لها في عقيدتنا، فادعوا أننا نكفر عوام المسلمين**(٢)**، ونستحل دماءهم وأموالهم، ونجبر الناس على الدخول في دولتنا بالسيف، وعليه فهذه بعض ثوابتنا ترد على تلك الأكاذيب، وحتى لا يبقى لكذاب عذر أو لمحب شبهة.**

أولًا: نرى وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله؛ لما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ؟ «ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته».

تعليق:

نقول: هذا الكلام في ظاهره حق، ولكن! ما هي مظاهر الشرك وما هي وسائله؟!

الجواب: هي القوانين الوضعية والحكم بغير ما أنزل الله، كما قرره سيدهم وقطبهم -وقد مرّ-، وصرّح به متحدثهم العدنانيّ حيث قال: «فلتعلموا يا أهل السنة الثائرين في كل مكان أن داءنا ليس هو الأنظمة الحاكمة **وإنما القوانين الشركية** التي بها يحكمون؛ فلا فرق بين حاكم وحاكم ما لم نغير الحكم، لا فرق بين مبارك ومعمر وابن علي، وبين مرسي وعبد الجليل والغنوشي، فكلهم طواغيت يحكمون بنفس القوانين غير أن الأخيرين أشد فتنة على المسلمين، فهذا هو دائنا وإن علة ذلنا هي: الركون إلى الدنيا وترك الجهاد، فإذا أردنا رفع الظلم ونيل الكرامة فعلينا **نبذ القوانين الوضعية الشركية**، وتحكيم شرع الله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالجهاد في سبيل الله ...

(١) من المتقرر شرعًا أنه لا يجوز الكذب على أحد كائنًا من كان -ولو كان من أضل الناس-؛ ولذلك نحن سنحاكمهم إلى كلامهم هم، لا كلام غيرهم عنهم؛ ليتبين ساعتئذ من الكاذب ومن الصادق؟ ومن الدعي ومن المحق؟ وبالله التوفيق.

(٢) ماذا يقصد بالعوام؟ ونحن سنرى في كلامه ومن معه تكفير الجيوش والشرطة، ولا شك أنهما يحويان في طياتهما العوام، بل غالب جنودهما من العوام كما هو معلوم عند الكافة!

وهذا النسيء الإخوانيّ هو زيادة في الكفر، وليس هو أصل الكفر؛ إذ إن أصل الكفر كما أوضحنا هو: نسبتهم الحكم والتشريع لغير رب العالمين» .اهـ. من كلمته «السلمية دين من؟!».

ولا تعجب من إجمال أبي عمر البغدادي؛ فهذه هي طريقة القطبيين في تقرير ما يريدون أن يتكلموا عنه بثوب مجمل، وهي طريقة أهل البدع قديمًا وحديثًا كما سيأتي -إن شاء الله-.

قال أبو عمر البغدادي:

«ثانيًا: الرافضة طائفة شرك وردة وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة.

تعليق:

إذا كانت الرافضة طائفة شرك وردة، فما حكم موالاتهم ومودتهم والترضي عنهم وعن عقيدتهم ومحاولة التقريب بينهم وبين السنة، وقد علم القاصي والداني أن حسن البنا هو من أوائل الداعين إلى التقريب بين السنة والشيعة في هذا العصر بعد الأفغاني ومحمد عبده، ولا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة علاقة الإخوان منذ كانوا وإلى الآن بالروافض، ولقد اتصفت جماعة الإخوان -مع خارجيتها- بالتمييع العقدي لا سيما في أصل الولاء والبراء، حيث قام منهجها التكتيلي متمثلا في شعارهم «نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»(١) فقام هذا الشعار بهدم عقيدة الولاء والبراء، فكل خلاف هو داخل تحت العذر؛ ولو كان خلافا في أصل الاعتقاد ولذلك كان سيد القمي وهو من كبار جهلاء الشيعة ينزل ضيفا في المركز العام للجماعة!(٢).

---

(١) انظر كتاب «زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة و التعاون» كتبه حمد بن إبراهيم العثمان حفظه الله. راجعه العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله ونفع به- ،وقرظه العلامة الشيخ عبد المحسن العباد البدر -حفظه الله ونفع به-.

(٢) «الملهم الموهوب – حسن البنا» لعمر التلمساني، ص: ٧٨، بواسطة «كشف العلاقة المريبة بين الشيعة

وقد يقول داعشي!: إننا نبرأ من الإخوان بل ربما غلا بعضهم وقال نكفرهم، كما صرح به متحدثهم الرسمي أبو محمد العدناني!.

نقول: أنسيتم أنكم -شئتم أم أبيتم- أصولكم إخوانية فما خرجتم إلا من رحم الإخوان، وأن قاداتكم كعبد الله عزام وابن لادن والظواهري -كما صرحوا بذلك- كلهم نشأوا في حجر الإخوان ورضعوا من لبان أفكارهم.

ثم نقول: وما قولكم في عمود فسطاطكم وإمام منهاجكم سيد قطب**!** وعلاقاته بهم، وترضيهم عنه واحتفائهم به حتى طبعوا الطوابع بصورته واسمه، ووسموا الشوارع برسمه ووسمه؟!!، وقد سار على درب البنا في علاقته بالروافض؛ وما علاقته بنواب صفوي الإيراني الرافضي عنا ببعيد!!.

وإليك أيها القارئ اللبيب هذا المقال الطيب للشيخ علي بن يحيى الحدادي -حفظه الله-، بعنوان "لماذا تحتفي الشيعة الرافضة بسيد قطب؟" يقول -حفظه الله-:

الخلاف العقدي بين السنة والرافضة خلاف جذري، والمسافة بينهما مسافة بعيدة كل البعد.

وعلى سبيل المثال؛ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها عند أهل السنة هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رضي الله عنهم-، ومع ذلك؛ فإن هؤلاء الخلفاء الراشدين ما عدا عليًا -رضي الله عنه- هم شر الخلق لدى الرافضة . [انظر على سبيل المثال "رسالة تخريب لا تقريب"].

فمن البديهي: أن تكون العداوة الدينية حاجزًا يحول بين الثناء على المخالف وتزكيته، والإعجاب به وبتراثه وفكره ؛ فإذا وجد ما يخالف هذه القاعدة كان لابد من البحث عن التفسير الصحيح لهذا الأمر المريب!!.

ومن هنا؛ فقد استوقفني احتفاء رافضة العصر بسيد قطب عبر مظاهر متعددة،

الرافضة وحزب الإخوان المسلمين» للشيخ أبي عبد الأعلى خالد عثمان المصري -وفقه الله- ومن أراد التوسع في هذا الباب فليرجع إلى هذا الكتاب.

ومنها: العناية ببعض كتبه، ولعل من الأمثلة المناسبة لهذا الاحتفاء قيام علي خامنئي بترجمة كتاب: "المستقبل لهذا الدين" لسيد قطب مثنيًا على المؤلِف والمؤلَف بقوله: (هذا الكتاب -رغم صغر حجمه- خطوة رحبة فاعلة على هذا الطريق الرسالي. مؤلفه الكريم الكبير سعى بهذا الكتاب في فصوله المبوبة تبويبًا ابتكاريًا: أن يعطي -أولاً- صورة حقيقية للدين، وبعد أن بيّن أن الدين منهج حياة، وأن طقوسه لا تكون مجدية إلا إذا كانت معبرة عن حقائقه، أثبت بأسلوب رائع ونظرة موضوعية: أن العالم سيتجه نحو رسالتنا، وأن المستقبل لهذا الدين).

ثم أثنى على كتابه الآخر "خصائص التصور الإسلامي" واعدًا بترجمته -أيضًا، فيقول: (أحد مؤلفاته القيمة والمبتكرة تحت عنوان: "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته"، ومترجم هذا الكتاب يعكف على ترجمته، وسيقدم قريبًا إلى قراء الدراسات الإسلامية التحليلية).

إن من الأسباب الوجيهة لهذا الاحتفاء القرب العقدي والتشابه الفكري الذي يظهر جليًا في بعض مؤلفات سيد قطب مع طرح الرافضة في جملة من عقائدها وأفكارها ، ومنها على سبيل الإيجاز:

- أولاً: مشابهته للرافضة في الطعن في خلافة عثمان ، والطعن في معاوية ، وفي عمرو بن العاص -رضي الله عنهم-، وشنه الحرب الشعواء على دولة بني أمية التي حكمت العالم الإسلامي في المائة الأولى وبعض الثانية؛ كما في قوله: (وأخيرًا: ثارت الثائرة على عثمان واختلط فيها الحق بالباطل، والخير بالشر، ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام ، ويستشعر الأمور بروح الإسلام: أن يقرر: أن تلك الثورة في عمومها كانت أقرب إلى روح الإسلام واتجاهه من موقف عثمان أو بالأدق من موقف مروان). "العدالة": (ص ١٨٩ / ط ٥).

وقوله: (وحين يركن معاوية وزميله -يعني عمرو بن العاص- إلى الكذب، والغش، والخديعة، والنفاق، والرشوة، وشراء الذمم لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا

الدرك الأسفل). "كتب وشخصيات" : (ص ٢٠٦).

- ثانيًا: ثناؤه وتزكيته للفئة الفاجرة السبأية التي خرجت على عثمان رضي الله عنه فقتلته، وحكمه لها بأنها أقرب إلى روح الإسلام؛ كما قرر في كلامه المتقدم آنفًا، وانظر -أيضًا- الفقرة التالية.

- ثالثًا: تزكيته للقرامطة الباطنية التي هي إحدى إفرازات المدرسة الشيعية؛ كما في قوله: (والواقع: أن اتهام النظام الإسلامي بأنه لا يحمل ضماناته، إغفال للممكنات الواقعة في كل نظام؛ كما أن فيه إغفالاً لحقائق التاريخ الإسلامي الذي شهد الثورة الكبرى على عثمان، وشهد ثورة الحجاز على يزيد؛ كما شهد ثورة القرامطة وسواها ضد الاستغلال، والسلطة الجائرة، وفوارق الطبقات، وما يزال الروح الإسلامي يصارع ضد هذه الاعتبارات جميعًا على الرغم من الضربات القاصمة التي وجهت إليه في ثلاثمائة وألف عام) . "العدالة الاجتماعية": (ص ٢٢٣).

-رابعًا: أنه يتبنى الثورة وإشعال الفتن في داخل المجتمعات الإسلامية للوصول إلى الحكم؛ كما في قوله: (وهذه المهمة مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصر في قطر دون قطر. بل مما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه: أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة، هذه غايته العليا ومقصده الأسمى، الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها). "الظلال": (٣/ ١٤٥) .

إذن؛ فليحتفوا بسيد قطب وبفكره المنسجم مع كثير من أبرز أفكارهم ليكون سنارة يصطادون بها الشباب السني إلى دائرة الرفض باسم هذه الشخصية التي أبرزها الإعلام الإخواني القطبي على أنها من أئمة السنة وأعلامها.

وليكون حجة لهم يواجهون بها من ينتقدهم في ضلالاتهم الكبرى بأننا لم ننفرد بهذه الآراء؛ فهذا أحد مجددي الإسلام في القرن الهجري المنصرم -حسب شهادتكم-

يقرر ما قررناه، ويقول بما قلناه.

وإلا فلو كان الاحتفاء لمجرد كونه عالمًا سنيًا داعيًا إلى الله؛ فلم لا يحتفون بمن هو أعلم وأعظم جهادًا؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن الوهاب، أو من جاء بعدهم من أئمة الدعوة السلفية حقًا وصدقًا، ولم لم ينشروا كتبهم أو يترجموها!؟

هيهات، ما أبعد ذلك، لأن ميراث هؤلاء الأئمة يمثل السنة الخالصة النقية المحضة التي لم تشبها شوائب الرفض ولا التجهم ولا الاعتزال.

وأخيرًا: فإن من الغش للأمة عامة ولشبابها خاصة: أن ينصحوا ويوجهوا لقراءة كتب هذا الرجل التي حازت على إعجاب أهل الضلال من رفض، وخروج، وتصوف، واعتزال، وفي الوقت نفسه وجهت لها أقلام النقد من قبل ثلة من أئمة السنة وعلمائهم تحذيرًا مما فيها من الباطل والضلال»اهـ.

وقد يقول قائل: لعل هذه مواقف فردية! فما علاقة الخوارج بالروافض؟!

نقول: إنها علاقة وطيدة!، أنسيتم أن جميع الفتن التي حلت بالأمة إنما كانت من جراء فتنة الخروج على عثمان رضي الله عنه، وقد كان سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلا يقال له: عبد الله بن سبأ، كان يهوديا فأظهر الإسلام خديعة ومكرا وكان يحرض الناس على عثمان رضي الله عنه، فكلما دخل مدينة طرد منها حتى صار إلى مصر، وأمر أتباعه بإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال لهم ابدؤوا بالطعن على الولاة حتى يجتمع لكم الناس، وقال بأن لكل نبي وصي ومحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتدٍ في ولايته ما ليس له، فأنكِروا عليه وأظهِروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة؛ فتمالؤوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان رضي الله عنه، فدخل هذا في قلوب كثير من الناس، **ودعا الناس إلىٰ التشيع لآل البيت حتىٰ غلىٰ أتباعه في علي رضي الله عنه**، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه مضمونه أنه

يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بلى! فيقول له: فرسول الله، صلى الله عليه وسلم، أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب؛ فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال برجعة محمد وأنه لم يمت وأن الذي مات شيطان صور لهم.

ثم خرج أهل مصر على إثر ذلك في أربع رفاق على أربعة أمراء؛ المقلل لهم يقول: ستمائة. والمكثر يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شييم الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة السكوني، وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجا، ومعهم ابن سبأ اليهوديّ ابن السوداء-قبحه الله-، وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وأمراؤهم زيد ابن صوحان، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأصم، وخرج أهل البصرة أيضا في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي، وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي، وذريح بن عباد العبدي، وابن محرش الحنفي، وعليهم كلهم **حرقوص بن زهير السعدي**[١]!!.

فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة -كما تواعدوا في كتبهم- وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصادا وعيونا بين أيديهم؛ ليختبروا الناس ويخبروهم أنهم إنما جاءوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله، واستأذنوا في الدخول، فكل الناس أبى دخولهم، ونهى عنه، فتجاسروا واقتربوا من المدينة. فردهم علي وطلحة والزبير فرجع كل فريق منهم إلى قومهم وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياما راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة، فما كان غير قليل حتى

(١) هل تعرف من هو حرقوص هذا؟!، إنه «ذو الخويصرة التميمي» رأس الخوارج الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «يخرج من ضئضئه أناس يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم ...»الحديث وسيأتي الكلام - بإذن الله- عن قصة الخوارج وعن حرقوص بالتفصيل.
والجدير بالذكر هنا، أن الإباضية في عصرنا هذا يدافعون عنه ويرون أنه صحابي مظلوم مفترى عليه!! فالله المستعان.

سمع أهل المدينة التكبير، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن!!.

فكف الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أياما. واستمر عثمان يصلي بالناس في تلك الأيام كلها، وهم أحقر في عينه من التراب، فلما كان في بعض الجمعات وقام على المنبر، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه، وأنزله عن المنبر، فطمع الناس فيه من يومئذ، ولما وقع ما وقع يوم الجمعة، وشج أمير المؤمنين عثمان وهو في رأس المنبر، وسقط مغشيا عليه، واحتمل إلى داره، تفاقم الأمر وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس وألجئوه إلى داره وضيقوا عليه، وأحاطوا بها محاصرين له، ولم يقع في خلد أحد أنه يقتل، إلا ما كان في نفس أولئك الخارجين عليه. وقد استمر الحصار أكثر من شهر. وقيل: أربعين يوما. حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيدا، رضي الله عنه، ثم كان ما سيأتي ذكره –إن شاء الله– من خروجهم على عليّ رضي الله عنه وكفروه ومن معه من الصحابة والتابعين واستحلوا دماءهم وأموالهم **وكانت رؤوس الخوارج الذي خرجوا على علي –رضي الله عنه– من رؤوس أتباع ابن سبأ قبحه الله تعالى الذين خرجوا على عثمان وتشيعوا لآل البيت!!!!.**

والمراد بيانه أن أمر الخوارج والروافض قريب من قريب وأن أصل منشئهم واحد، وقد رأيت القرب الشديد بينهم وبين المُنَظّر العام! لما يسمى بالتيار الجهادي في هذا العصر، بما يسقط شبهة أن تنظيم الدولة داعش ما نشأ إلا لمحاربة النصيرية والعلوية والرافضة الإثنى عشرية(١)! والله المستعان.

ثالثًا: نرى كفر وردة الساحر ووجوب قتله، وعدم قبول توبته في أحكام الدنيا

(١) وقد يقول قائل: إن كثيرا من الشباب الذين تستهويهم أفكار الدواعش لا يدركون حقيقة خطورة المخطط الذي رسم لهم من العدو الكافر.

نقول: نعم وهذا لا يعفيهم من وصمة ومعرة الخارجية، كما أن أجدادهم من الخوارج الأول كان كثير منهم مغررا به ولا يدرك خطورة المخطط السبأي (الكافر) الذي لعب بعواطفهم على وتر الإنكار على ولاة الأمور الذي يؤدي إلى فكر الحاكمية والخروج، وكذلك اليوم اتفق خوارج العصر مع روافض الزمان على فكرة فاسدة وهي شغور الزمان = ولاية الفقيه، والحاكمية = الإمامة.

بعد القدرة عليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حد الساحر ضربة بالسيف».

تعليق:

نقول: وهذا ليس من كلام عمر رضي الله عنه، إنما هو من كلام جندب رضي الله عنه، والصحيح أنه موقوف على جندب، وأما رفعه إلى النبي ﷺ فضعيف، كما في سنن الترمذي (١٤٦٠)، قال أبو عيسى: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع: هو ثقة. ويروى عن الحسن أيضا، والصحيح عن جندب موقوفًا، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملًا دون الكفر فلم نر عليه قتلا».اهـ.

وقال العلامة العثيمين رحمه الله عن السحر: «في الشرع ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف؛ فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئًا فشيئًا حتى يهلك، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله؛ فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

فالسحر قسمان:

- شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

- عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها.

وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل به إلى مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟ اختلف في هذا أهل العلم: فمنهم من قال: إنه يكفر. ومنهم من قال: إنه لا يكفر.

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبين به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها؛ فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيًا معتديًا.

وأما قتل الساحر: فإن كان سحره كفرًا؛ قُتِلَ قَتْلَ ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته، وهو الصحيح.

وإن كان سحره دون الكفر؛ قُتِلَ قَتْلَ الصائل؛ أي: قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض، وعلى هذا يرجع في قتله إلى اجتهاد الإمام». «القول المفيد» (١/ ٤٨٩).

قال أبو عمر البغدادي:

«رابعًا: ولا نكفر أحدًا من المسلمين صلىٰ إلىٰ قبلتنا بالذنوب كالزنا وشرب الخمر والسرقة ما لم يستحلها، وقولنا في الإيمان وسط بين الخوارج الغالين وبين أهل الإرجاء المفرطين، ومن نطق بالشهادتين وأظهر لنا الإسلام ولم يتلبس بناقض من نواقض الإسلام عاملناه معاملة المسلمين، ونكل سريرته إلىٰ الله تعالىٰ، وأن الكفر كفران: أكبر وأصغر، وأن حكمه يقع علىٰ مقترفه اعتقادًا أو قولًا أو فعلًا، لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف علىٰ ثبوت شروط

التكفير وانتفاء موانعه».

تعليق:

نقول: وبهذا حاول أبو عمر البغدادي النجاة والعصمة من أن يرمى بالخارجية، يحسب أن هذا هو الفاصل والفارق بينه وبين منهج الخوارج، والحق أنه ليس هذا بمنج ولا عاصم من مذهبهم، فقد قال به طوائف من الخوارج، ولم يعصمهم أو ينجيهم من الوصم بالخارجية، كما سيأتي -إن شاء الله- من قول النجدات والحمزية والإباضية، وكلهم خوارج، فانتبه لهذا الأمر جيدا فإنهم يدندنون دائما على أنهم لا يكفرون الزاني والسارق فكيف يكونون خوارج؟ وسيأتي بيان ذلك بإذن الله في فصل «مقالات الخوارج وأصلهم الذي اجتمعوا عليه».

قال أبو عمر البغدادي:

«خامسًا: نرىٰ وجوب التحاكم إلىٰ شرع الله من خلال الترافع إلىٰ المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلىٰ الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشائرية ونحوها من نواقض الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]».

تعليق:

نقول:

أولًا: قوله: «**نرىٰ وجوب التحاكم إلىٰ شرع الله**» نقول: والتحاكم إلى شرع الله واجب على كل المسلمين؛ فيأثم كل من لم يتحاكم إلى شرع الله في كل كبيرة وصغيرة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠]، ولكن أحوال الحاكمين والمتحاكمين إلى غير شرع الله -نعني: إيمانًا وكفرًا- فيها تفصيل عند أهل السنة والجماعة سيأتي معنا -إن شاء الله تعالى-.

ثانيًا: وهؤلاء يزعمون أنهم الطائفة المنصورة على منهاج النبوة، وأن مشربهم سلفي نقي، وإذا كان ذلك كذلك؛ فلابد ألا يخالفوا فهم السلف لنصوص الكتاب

والسنة، لاسيما في مسائل الأصول، وهذا أصل عظيم انبنى على مخالفته ضلال فرقة هي أول فرقة فرّقت جماعة المسلمين، وقد ثبت هنا مخالفتهم للسلف في هذا الأصل العظيم.

فقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبيّ ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»، ولا تنس أنه من أرسله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الخوارج فناظرهم وأقام الحجة عليهم؛ فتاب من تاب منهم؛ ولذلك يقول هنا: «يذهبون إليه» أي الخوارج.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ كفر دون كفر». أخرجه الحاكم وغيره، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وعلق الألباني -رحمهم الله جميعًا- قائلًا: «وحقهما أن يقولا: على شرط الشيخين؛ فإن إسناده كذلك. ثم رأيت الحافظ ابن كثير نقل في «تفسيره» (٦/ ١٦٣) عن الحاكم أنه قال: صحيح على شرط الشيخين، فالظاهر أن في نسخة «المستدرك» المطبوعة سقطا. «السلسلة الصحيحة» (٦/ ١١٣).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣١٢): «وإذا كان من قول السلف: إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قولهم: إنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قالوا: كفروا كفرًا لا ينقل عن الملة، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة».اهـ.

نقول: ويظهر بهذا كذبهم في دعواهم عدم التكفير بالذنوب لاسيما والتكفير بهذه الآية على عمومها وإطلاقها تكفير بآحاد ذنوب كثيرة ربما تأبى على الحصر في كل من حكم أو تحاكم لغير شرع الله؛ مستحلًّا أو غير مستحل؛ في مسألة واحدة أو أكثر؛ سواء في نفسه أو غيره؛ بين أبنائه أو زوجاته أو غير ذلك، وهكذا فتنبه.

ولذلك استمع إلىٰ قول هذا الحبر من السلف –رحمه الله تعالىٰ– يقول سعيد بن جبير: «أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية[1] من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية». أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤)، وسيأتي معنا شيء من التفصيل في هذه المسألة –إن شاء الله–.

قال أبو عمر البغدادي:

«سادسًا: نرىٰ وجوب توقير النبيّ ﷺ، وتحريم التقدم بين يديه، وكفر وردة من نال من مقامه وجنابه الشريف، أو مقام آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار من الخلفاء الأربعة وسائر الصحب والآل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٨ – ٩]، **وقال في وصف أصحابه:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]».

---

(١) يعني الخوارج الأول نسبة إلى حروراء (مكان نزلوا به)، كما لو قيل اليوم (الربعاوية) نسبة إلى مكان بالقاهرة نزلوا به!!.

تعليق:

نقول:

أولًا: قوله: «**نرى وجوب توقير النبيّ ﷺ، وتحريم التقدم بين يديه**»، هذاالكلام حقّ لا يدفع، ولكن يكذِّبه واقعهم ومواقعهم[1] وما يصدر منهم من التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لاسيما في التكفير الذي هو حق لله تعالى؛ فلا ينبغي أن يُكفّر إلا من كفّره الله تعالى ورسوله ﷺ؛ وإلا كان التقدم بين يديه ﷺ، وهو من أعظم المحرمات كما في صدر سورة الحجرات!، وصور هذا التقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا، ومن أبرزها تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومعلوم أن الدين دائر على الضروريات الخمس التي هي: «الدين والنفس والعرض والعقل والمال»، وهذه الضروريات الخمس استبيحت في التكفير وحده، فتأمل!

وهل من توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتوقير شرعه الاعتداء بالطعن في إخوانه من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والإشادة بقدر! وجهد! من سب وطعن في أنبياء الله ورسله؟! ومعلوم أن الطعن في واحد منهم طعن فيهم جميعا!

فهذا سيدكم وقطبكم يقول:

«فلنستعرض بعض القصص على وجه الإجمال، ولنعرض بعضها على وجه التفصيل.

١ – لنأخذ موسى؛ إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج.

(١) ولقد رأينا جميعا وسمعنا كمال زروق الخطيب الداعشي الذي قال بملء فيه: «لو كان رسول الله حي [كذا] لانضم إلى دولة الإسلام»!!، وقبل أن يلفظ بهذه الكلمة أكد أنه لا يداري وأنه يدرك ما يقول!، فنقول: كيف ينضم إليكم؟ أينضم إليكم رسول الله ويبايع على ما تبايعون؟ ويتبع ما تتبعون؟!! لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا ما وسع أحدا إلا أن يكون تابعا له صلى الله عليه وسلم منضما إليه، لو كان كل الأنبياء أحياء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ما وسعهم إلا اتباعه، فأين توقير النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان ذلك من «الشرعيين» الذين يصعدون المنابر فما بالكم بغيرهم!!!.

فها هو ذا قد رُبي في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره، وأصبح فتىً قوياً.

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص: ١٥].

وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي.

وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية، فيثوب إلى نفسه؛ شأن العصبيين:

قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٥ - ١٧].

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ١٨].

وهو تعبير مصور لهيئة معروفة: هيئة المتفزع المتلفت المتوقع للشر في كل حركة، وتلك سمة العصبيين أيضاً.

ومع هذا، ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيرًا للمجرمين؛ فلننظر ما يصنع... إنه ينظر:

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ [القصص: ١٨] مرة أخرى على رجل آخر! ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٨].

ولكنه يهم بالرجل الآخر كما هم بالأمس، وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقُّبه، لولا أن يذكره من يهم به بفعلته، فيتذكر ويخشى:

قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩].

وحينئذ ينصح له بالرحيل رجل جاء من أقصى المدينة يسعى، فيرحل عنها كما علمنا.

فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات؛ فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع حليم النفس.

كلا! فها هو ذا يُنادي من جانب الطور الأيمن: أن ألق عصاك. فألقاها؛ فإذا هي حيةٌ تسعى، وما يكاد يراها حتى يثب جرياً لا يعقبُ ولا يلوى... إنه الفتى العصبي نفسه، ولو أنه قد صار رجلاً؛ فغيره كان يخاف نعم، ولكن لعله كان يبتعد منها، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى.

ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه.

لقد انتصر على السحرة، وقد استخلص بني إسرائيل، وعَبَرَ بهم البحر، ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور، وإنه لنبي، ولكن ها هو ذا يسأل ربه سؤالاً عجيباً قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾[الأعراف: ١٤٣].

ثم حدث مالا تحتمله أية أعصاب إنسانية، بله أعصاب موسى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٣].

عودة العصبي في سرعة واندفاع!

ثم ها هو ذا يعود، فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلاً إلهاً، وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه، فما يتريَّث وما يني، ﴿ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وإنه ليمضي منفعلاً يشدُّ رأس أخيه ولحيته ولا يسمع له قولاً: ﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾ [طه: ٩٤].

وحين يعلم أن السامري هو الذي فعل الفعلة؛ يلتفت إليه مغضباً، ويسأله مستنكراً، حتى إذا علم سر العجل:

﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه: ٩٧].

هكذا في حنق ظاهر وحركة متوترة.

فلندعه سنوات أخرى.

لقد ذهب قومه في التيه، ونحسبه قد صار كهلاً حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طلب إليه أن يصحبه ليعلمه مما آتاه الله علماً، ونحن نعلم أنه لم يستطع أن يصبر حتى ينبئه بسرٍّ ما يصنع مرة ومرة ومرة، فافترقا...

تلك شخصية موحدة بارزة، ونموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جميعاً.

٢ – تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم.. إنه نموذج الهدوء والتسامح والحلم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود: ٧٥]. (١)

«والظاهر أن سيداً ساق قصة إبراهيم عليه السلام في مقابل ما صوَّر فيه موسى من باب: (وبضدها تتبين الأشياء)!»(٢).

إن العجب كل العجب أن ترى من يغضب للطعن في سيده وقطبه، ما لا يغضب للطعن في أنبياء الله ورسله، وصحاب النبي وصهره.

ونسأل هل يرضى أنصار سيد ومحبيه أن يوصف سيد بهذه الأوصاف؟ .

هل يقبل أنصار سيد ومحبيه أن يوصفوا هم بذلك؟ فكيف بنبي الله وكليمه؟ أسيد وأنفسكم أعز عندكم من الله ورسوله؟!.

إن نبي الله موسى هو مثل للصبر والحلم الذي كان يتأسى به نبينا –صلى الله

(١) التصوير الفني في القرآن ص (٢٠٠– ٢٠٤)

(٢) من تعليق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه أضواء إسلامية.

ونقول: ولقد كفى الشيخُ ربيع بن هادي –حفظه الله– أهلَ العلم وطلابه في بيان أخطاء وضلالات سيد قطب وانحرافاته العقدية في أربعة كتب له ، هي : « أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب»، و»مطاعن سيد قطب في الصحابة»، و والعواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم»، و»والحد الفاصل بين الحق والباطل».

عليه وسلم- ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قسم النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قسماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه، فأتيت النبي فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: «**يرحم الله موسىٰ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[١].

وما زال عليه السلام يؤذى من جهلة المسلمين، وبدلا من أن يغضب له ويذب عنه ينتصر للساب الطاعن وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال مجدد القرن -نعم قرن الخوارج-! عن نبيين كريمين من أنبياء الله جل وعلا وهما: داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ما نسرده لك بطوله على سخافته وسماجته فضلا عما فيه من مروق من الدين!!

يقول سيد قطب: «إن سليمان النبي لملك، وإنه كذلك لرجل ... وهنا يستيقظ «الرجل» الذي يريد أن يبهر «المرأة» بقوته وبسلطانه «وسليمان هو ابن داود صاحب التسع والتسعين نعجة الذي فتن في نعجة واحدة»[٢]. فها هو ذا يريد أن يأتي بعرش الملكة قبل أن تجيء. وأن يمهد لها الصرح من قوارير ... ثم ها هو ذا «الرجل» يستيقظ في سليمان مرة أخرى:

﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[النمل: ٤١].

وهنا يتهيأ المسرح لاستقبال الملكة؛ ونمسك نحن أنفاسنا في ارتقاب مقدمها:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٠٥).

(٢) وهنا علق سيدكم تعليقا يدل على جهله وعدم تصونه لجناب الأنبياء، فقال: «في قصة داود في القرآن إشارة إلى فتنته بامرأة -مع كثرة نسائه- فأرسل الله إليه ملكين يتخاصمان عنده ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾... وعرف داود أنها الفتنة ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾»اهـ

نقول: وكلامه هذا كذب على الله وعلى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وقد برأهم من ذلك وهم معصومون عما هو أدنى من ذلك فكيف بالتدني إلى مستنقع الرذائل التي يتصورها ويصورها سيئكم، وحقا كل إناء بما فيه ينضح!، وإنما هذه من الإسرائيليات المكذوبة على الأنبياء.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ... ﴾ [النمل: ٤٢].

ثم ماذا؟ إن الملكة لم تسلم بعد من هذه المفاجأة -فيما يبدو:

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[النمل: ٤٣].

.وهنا تتم المفاجأة الثانية للملكة ولنا معها:

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل:٤٤].

وهكذا كانت بلقيس «امرأة» كاملة: تتقي الحرب والتدمير؛ وتستخدم الحيلة والملاطفة، بدل المجاهرة والمخاشنة؛ ثم لا تسلم لأول وهلة. فالمفاجأة الأولى تمر فلا تسلم؛ فإذا بهرتها المفاجأة الثانية، وأحست بغريزتها أن إعداد المفاجأة لها دليل على عناية «الرجل» بها، ألقت السلاح، وألقت بنفسها إلى الرجل الذي بهرها، وأبدى اهتمامه بها، بعد الحذر الأصيل في طبيعة المرأة، والتردد الخالد في نفس حواء!

وهنا يسدل الستار(١).

فأين توقيركم للنبي صلى الله عليه وسلم؟ وأنتم تعظمون رجلا يطعن في إخوانه من أنبياء الله ويصفهم بأقبح الأوصاف!

ونحن نعلم أن كلامنا هذا سيثير الغيرة الكامنة في النفوس؛ ولكن على من ؟! على الأنبياء والرسل، أم على سابهم ومنتقصهم ؟!!!

ثانيًا: وأما قوله: «وكفر وردة من نال من مقامه وجنابه الشريف، أو مقام آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار من الخلفاء الأربعة وسائر الصحب والآل».

نقول:

وكل هذا قد فعله سيد قطب!، فقد طعن في الأنبياء كما مر، وطعن في أصحاب

(١) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب(ص: ٢١٣).

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، بل طعن في الخليفة الراشد المشهود له بالجنة ضمن العشرة المبشرين بها! وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنتيه، الذي تستحي منه الملائكة، ولم يستح سيد أن يقول فيه العظائم والقبائح[١]!!.

لقد طعن سيد قطب في الخليفة الراشد الشهيد المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأقذع في طعنه في أكثر من عشرين موضعا، وما ترضى عنه في موضع واحد ومعلوم أن الترضي عن الصحابة عامة وعن العشرة المبشرين بالجنة خاصة فضلا عن الخلفاء الأربعة وهم خاصة الخاصة شعار أهل السنة والجماعة، وتركه شعار أهل البدعة والفرقة، لا سيما الروافض، ومن هذه المواضع:

١ – أسقط خلافته فقال: «ونحن نميل إلى اعتبار خلافة عليّ امتدادًا طبيعيًا لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان كان فجوة بينهما»[٢].

٢ – زعم أن التصور لحقيقة الحكم قد تغير شيئًا ما بدون شك على عهد عثمان رضي الله عنه، ثم قال: «ولقد كان من سوء الطالع[٣] أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ

(١) ولا بد من بيان أمر مهم وهو أن الفكر قرين العمل؛ فلو كان صاحب هذا الكلام موجودا إبان الفتنة الكبرى –فتنة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه– فأين يكون موقعه؟!، وندع الإجابة للقاريء اللبيب.

(٢) «العدالة الاجتماعية» ص (٢٠٦/ الطبعة الخامسة).

(٣) وهذا من نتاج جهله بحقيقة توحيد الألوهية التي حصرها في الحاكمية، فخالفها في الحاكمية الكونية!! أي أن الحكم الكوني لله جل وعلا وحده لا شريك له فلا يتصرف في الكون أحد سواه؛ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «**هذه الكلمة يقولها من لا يعرف الشريعة**، يقول للشخص إذا نجح: هذا من حسن الطالع، وإذا رسب: هذا من سوء الطالع، وهذا من التنجيم الذي هو نوع من الشرك؛ وذلك لأن الطالع والغارب ليس له تأثير في الحوادث الأرضية، بل الأمر بيد الله، سواء ولد الإنسان في هذا الطالع أو في هذا الغارب أو في أي وقت.

وهذا الذي يدعي أن فوز الرجل أو فشله لحسن الطالع أو سوء الطالع من هذا النوع الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم إنه كافر بالله.

كبير، ضعفت عزيمته عن عزائم الإسلام، وضعفت إرادته عن الصمود لكيد مروان وكيد أمية من ورائه»[١].

٣ – وقال في سياق نقده لعثمان رضي الله عنه: «فهم عثمان – يرحمه الله – أن كونه إماماً يمنحه حرية التصرف في مال المسلمين بالهبة والعطية، فكان رده في كثير من الأحيان على منتقديه في هذه السياسة: «وإلا؛ ففيم كنت إماماً؟»، كما يمنحه حرية أن يحمل بني معيط وبني أمية من قرابته على رقاب الناس وفيهم الحكم طريد رسول الله، لمجرد أن من حقه أن يكرم أهله ويبرهم ويرعاهم»[٢].

إلى غير ذلك مما افتراه على الخليفة الراشد الذي بلغ من المناقب أن تستحي منه الملائكة فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه

فالواجب على من قاله أن يتوب إلى الله من ذلك، وعلى من سمعه أن ينكر عليه وأن يبين ذلك في المجالس العامة والمجالس الخاصة بالشباب؛ لأن بعض الناس لا يعرف معنى هذه الكلمة ولا يعرف على أي شيء بنيت» انتهى من «لقاء الباب المفتوح» (٦٤ / ١٢).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٣٦٨): «يحرم استعمال عبارتي (من حسن الطالع) ، و (من سوء الطالع) ؛ لأن فيهما نسبة التأثير في الحوادث الكونية حسنا أو سوءا إلى المطالع، وهي لا تملك من ذلك شيئا، وليست سببا في سعود أو نحوس، قال الله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) الأعراف/ ٥٤ ، فإن كان القائل يعتقد أن هذه المطالع فاعلة بنفسها من دون الله تعالى فهو شرك أكبر، **وإن كان يعتقد أن الأمور كلها بيد الله وحده ولكن تلفظ بذلك فقط فهو من شرك الألفاظ الذي ينافي كمال التوحيد الواجب**، والأصل في ذلك ما خرجه مسلم في «صحيحه» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر**)، وما ثبت في «الصحيحين» عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: **هل تدرون ماذا قال ربكم**؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال: (**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**)» انتهى.

وانظر تفسير أهل العلم لآية سورة الواقعة: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾.

(١) «العدالة الاجتماعية» ص (١٨٦/ الطبعة الخامسة).

(٢) «العدالة الاجتماعية» ص (١٨٦/ الطبعة الخامسة).

وسلم مضطجعا في بيتي ، كاشفا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[١]، ألا يستحي سيد من رجل تستحي منه الملائكة، ألا يستحي هؤلاء الذين يدافعون عنه؟.

ونحن نعلم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عثمان رضي الله عنه: «ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم»[٢] فجاء سيد ليقول بل ضر وأضر!!.

ولاتحسب أن طعن سيد توقف عند هذا الحد؟! أو أنه لم يطعن إلا في عثمان؟! لقد واصل سيد الطعن في أصحاب رسول الله؛ فتناول عَمرا ومعاوية رضي الله عنهما!

قال سيد قطب: «إن معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا عليًّا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع.

وحين يركن معاوية وزميله إلى **الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم** لا يملك على أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.

على أن غلبة معاوية على عليّ، كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر. وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي عليّ في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار. من هنا كانت هزيمته،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٥١٩).
(٢) أخرجه الترمذي غي سننه برقم (٣٧٠١) وحسنه الألباني رحمهما الله.

وهي هزيمة أشرف من كل انتصار».

ثم يقول: «لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس. ولو قد قدر لعلي أن ينتصر لكان انتصاره فوزًا لروح الإسلام الحقيقية: الروح الخلقية العادلة المترفعة التي لاتستخدم الأسلحة القذرة في النضال. ولكن انهزام هذه الروح ولما يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضى عليها فلم تقم لها قائمة بعد -إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز- ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية.

لقد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعده. ولكن روح الإسلام قد تقلصت، وهزمت، بل انطفأت.

فإن يهش إنسان لهزيمة الروح الإسلامية الحقيقية في مهدها، وانطفاء شعلتها بقيام ذلك الملك العضوض... فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها.

على أننا لسنا في حاجة يومًا من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية. فهي جزء من طبائع الناس عامة. إنما نحن في حاجة لأن ندعوهم إلى خطة عليّ، فهي التي تحتاج إلى ارتفاع نفسي يجهد الكثيرين أن ينالوه.

وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية، فلن يكون هذا الجيل الحاضر على وجه العموم. فروح «مكيافيلي» التي سيطرت على معاوية قبل مكيافيلي بقرون، هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها! لأنها روح «النفعية» التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات!.

وبعد فلست شيعياً لأقرر هذا الذي أقول. إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي والخلقي، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعياً لينتصر للخلق الفاضل المترفع عن «الوصولية» الهابطة المتدنية، ولينتصر لعليّ على معاوية وعمرو. إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة»[١].

(١) كتب وشخصيات ص: ٢٤٢ .

وبعد هذا السب والطعن في أصحاب رسول الله يريد أن يبرئ نفسه من التشيع الذي يستحي كثير من أهله أن يقع في مثل هذا المستنقع العفن بالطعن في أصحاب رسول الله! ؛أو هي التقية الرافضية في ثوب قطبيّ؛ ولكنه ثوب «سابريّ» = رقيق غير ساتر؛ بل هو فاضح كاشف للعورة!!

ولكن من يحترم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يحكم بالرفض الخبيث على من انتقص واحدًا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكيف وهو يحكم على الكثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين بأنهم قد ارتدوا إلى المنحدر الذي انتشلهم منه الإسلام قبل!.

وإليك حكم السلف علىٰ من ينتقص أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أو واحدًا منهم:

قال أبوزرعة الرازي -رحمه الله-: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء؛ فاتهمه على الإسلام».

وقال أبوالحسن الأشعري -رحمه الله-: «وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من ينتقص أحداً منهم، رضي الله عن جميعهم»[2].

وقال الإمام يحيى بن معين رحمه الله تعالى: «تليد كذاب، كان يشتم عثمان، وكل

(١) «الكفاية» للخطيب (ص ٩٧).

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٦٨/ طبعة الجامعة الإسلامية ١٩٧٥م).

من يشتم عثمان أو طلحة أو أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دجال، لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(١).

وقال الإمام أحمد: «من قال: أبوبكر وعمر وعثمان؛ فهو صاحب سنة، ومن قال: أبوبكر وعمر وعلي وعثمان؛ فهو رافضي (أو قال: مبتدع)»(٢).

فكيف بمن يسقط خلافة عثمان ويقول: إن خلافته كانت فجوة بين الشيخين وعلي؟!.

وقال الإمام أحمد بعد أن ذكر الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة: «ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، الذين بعث فيهم، كل من صحبة سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه؛ فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظرة؛ فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال؛ كان هؤلاء الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبتهم من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير، ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساويه؛ كان مبتدعًا، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليمًا»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى»(٤): «لكن المنصوص عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي، وقال: هو أضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه، ونهى عن مناكحته، ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه، ولا شكوا في ذلك؛ فتصويب أحد لا بعينه تجويز لأن يكون

(١) «التاريخ» ليحيى بن معين (ص ٦٦/ ترجمة رقم ٢٦٧٠).
(٢) «السنة» للخلال (٢/ ٣٨١/ أثر رقم ٥٣٢).
(٣) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص ١٦١).
(٤) (٤/ ٤٣٨).

غير علي أولى منه بالحق، وهذا لا يقوله إلا مبتدع ضال فيه نوع من النصب، وإن كان متأوِّلاً».

ففي هذا تبديع من الإمام أحمد لمن يتوقف في خلافة علي دون أن يطعن فيه؛ فكيف بمن يسقط خلافة عثمان رضي الله عنه، ويطعن فيه أشد أنواع الطعن، ويتنقصه في عدد من المرات.

وعند ابن تيمية أن الذي لا يقطع بأن عليًّا أولى بالحق من معاوية وسائر من خالف عليًّا مبتدع ضال فيه نَصْب، وإن كان متأولًا؛ فكيف بمن يسقط خلافة عثمان، ويرى أن الثوار من الرعاع ومن تلاميذ ابن سبأ أقرب إلى روح الإسلام من عثمان؟!(١).

وإليك تفصيل القول في ساب الصحابة رضي الله عنهم:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في سب أصحاب رسول الله: «فصل: في تفصيل القول فيهم.

- أما من اقترن بسبه دعوى أن عليًّا إله أو أنه كان هو النبيّ وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

- وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

- وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك؛ فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

- وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

---

(١) أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب للشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله-.

- وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضا عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نَقَلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الأمة التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مثلات، وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك، وممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب.

وبالجملة: فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه، وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك، وإنما ذكرنا هذه المسائل لأنها في تمام الكلام في المسألة التي قصدنا لها». «الصارم المسلول» (ص: ٥٨٦).

قال أبو عمر البغدادي:

«سابعًا: ونؤمن أن العلمانية على اختلاف راياتها وتنوع مذاهبها؛ كالقومية والوطنية والشيوعية والبعثية هي كفر بواح مناقض للإسلام مخرج من الملة، وعليه نرى كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية كحزب المطلق والدليميّ والهاشميّ وغيرهم، لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله تعالى وتسليط لأعداء الله من الصليبيين والروافض وسائر المرتدين على عباد الله المؤمنين، قال تعالى في شأن من وافق في تبديل شيء من شرع الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام:١٢١]، **كما نرى أن منهج الحزب**

الإسلاميّ منهج كفر وردة لا يختلف في منهجه وسلوكه عن سائر المناهج الكافرة والمرتدة كحزب الجعفريّ وعلاويّ، وعليه فقيادتهم مرتدون لا فرق عندنا بين مسئول في الحكومة أو مدير فرع، ولا نرىٰ كفر عموم الداخلين فيه ما لم تقم عليهم الحجة الشرعية.

تعليق:

نقول:

أولًا: قوله: «**ونؤمن أن العلمانية ...[إلىٰ] كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية**».

نقول: لا شك أن هذه المذاهب كفرية، وكلام أهل العلم فيها مبسوط في غير هذا الموضع؛ ولكن لابد من بيان الفرق بين كفر النوع والتعيين؛ ولا يخفى عليك أن السلف حكموا على مذهب الجهمية وغيرهم بالكفر، وأما تكفير الواحد المعين منهم فلا، إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ط/ مجمع الملك فهد (١/ ١٠): «ولهذا كنت أقول لأكابرهم: لو وافقتكم على ما تقولونه لكنت كافرًا مرتدًا -لعلمي بأن هذا كفر مبين- وأنتم لا تكفرون لأنكم من أهل الجهل بحقائق الدين؛ ولهذا كان السلف والأئمة يكفرون الجهمية في الإطلاق والتعميم، وأما المعين منهم فقد يدعون له ويستغفرون له لكونه غير عالم بالصراط المستقيم، وقد يكون العلم والإيمان ظاهرًا لقوم دون آخرين، وفي بعض الأمكنة والأزمنة دون بعض بحسب ظهور دين المرسلين».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «بغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة والقرامطة والباطنية» (ص ٣٥٣): «فهذه المقالات هي كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التي يكفر تاركها، وإن أطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل إطلاق القول بنصوص الوعيد، مع أن ثبوت حكم الوعيد في حق الشخص المعين

موقوف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه؛ ولهذا أطلق الأئمة القول بالتكفير مع أنهم لم يحكموا في عين كل قائل بحكم الكفار، بل الذين امتحنوهم وأمروهم بالقول بخلق القرآن وعاقبوا من لم يقل بذلك إما بالحبس والضرب والإخافة وقطع الرزق، بل بالتكفير أيضًا لم يكفروا كل واحد منهم، وأشهر الأئمة بذلك الإمام أحمد وكلامه في تكفير الجهمية مع معاملته للذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف».

ثانيًا: قوله: «**لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله تعالىٰ**».

نقول: إن تبديل شرع الله هو أن ينسب للشريعة ما ليس منها ويدعي أنه حكم الله، وليس هو مجرد الحكم بغير ما أنزل الله، كما «قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، قال: من حكم بكتابه الذي كتب بيده، وترك كتاب الله، **وزعم أن كتابه هذا من عند الله، فقد كفر**». رواه الطبريّ بسنده في تفسيره «جامع البيان» ت شاكر (١٠/ ٣٥٢) رقم (١٢٠٣٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم»» (٤/ ١١٤٢) رقم: (٦٤٢٨).

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو مقدم على كل تفسير قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[البقرة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٧٨]، فنص على أن تبديلهم كان بنسبة ما أتوا به إلى الله جلا وعلا، ومن هنا نعلم أن تفسير ابن زيد إنما هو مأخوذ من نص كلام الله تعالى.

وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٦٧): «والإنسان متى حلل الحرام -المجمع عليه- أو حرم الحلال -المجمع عليه- أو بدّل الشرع -المجمع عليه- كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [أي: **هو المستحل للحكم بغير ما**

أنزل الله ولفظ الشرع يقال في عرف الناس على ثلاثة معان:

«الشرع المنزل» وهو ما جاء به الرسول، وهذا يجب اتباعه ومن خالفه وجبت عقوبته.

والثاني «الشرع المؤول» وهو آراء العلماء المجتهدين فيها كمذهب مالك ونحوه؛ فهذا يسوغ اتباعه ولا يجب ولا يحرم، وليس لأحد أن يلزم عموم الناس به ولا يمنع عموم الناس منه.

والثالث «الشرع المبدل» وهو الكذب على الله ورسوله ﷺ أو على الناس بشهادات الزور ونحوها والظلم البين **فمن قال إن هذا من شرع الله فقد كفر بلا نزاع.** كمن قال: إن الدم والميتة حلال -ولو قال هذا مذهبي- ونحو ذلك».اهـ.

ثالثًا: وأما استدلاله بالآية فنقول: نعم الآية على ظاهرها فيمن بدّل أو استحل على المعنى الذي مضى بيانه.

وزيادة في البيان إليك كلام شيخ المفسرين الإمام الطبريّ في «جامع البيان» ت: شاكر (١٢/ ٨٧): «وأما قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، يعني: إنكم إذن مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة **استحلالًا**. فإذا أنتم أكلتموها كذلك، فقد صرتم مثلهم مشركين».اهـ.

وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٣٨٠) عن سعيد بن جبير: قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني: **استحلالًا في أكل الميتة** ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ مثلهم».

وبسنده عن عيسى بن عبد الرحمن، قال: سألت الشعبي عن هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ قال: قلت: **تزعم الخوارج أنها في الأمراء، قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين،** كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلون منه يعني: الميتة، وأما ما قتلتم فتأكلون منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون». اهـ، ومدار كلام

المفسرين على ذلك.

رابعًا: وقوله: «**وعليه فقيادتهم مرتدون ...**»إلخ.

نقول: لقد فرقتم بين قيادتهم وبين عموم الداخلين؛ فما الدليل على هذا التفريق في اشتراط قيام الحجة؟! ومن سلفكم في ذلك؟ فإنا لا نعلم لكم أسلافًا في ذلك إلا الخوارج وأهل الزيغ والبدع، أما أهل السنة والجماعة فهاهو سبيلهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم **والدعاء إلىٰ القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم**؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع.

وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة **صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق**، وأن الله لا يرى في الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قومًا معينين، فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال: **من كفر بعينه فلقيام الدليل علىٰ أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه**، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم» «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٨٩).

ويقول أيضًا: «ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفرون من لم يجبهم، حتى أنهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتى يقر بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وغير ذلك ولا يولون متوليًا، ولا يعطون رزقًا، من بيت المال إلا لمن يقول ذلك، **ومع هذا فالإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنهم لم يُبَيَّن لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به ولكن تأولوا فأخطئوا وقلدوا من قال**

لهم ذلك» «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٤٨-٣٤٩).

وقال أيضًا: «والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة إنما هو تكفير الجهمية المشبهة وأمثال هؤلاء، ولم يكفر أحمد الخوارج ولا القدرية إذا أقروا بالعلم وأنكروا خلق الأفعال وعموم المشيئة لكن حكي عنه في تكفيرهم روايتان.

وأما المرجئة فلا يختلف قوله في عدم تكفيرهم **مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية، ولا كل من قال إنه جهمي كفره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلىٰ خلف الجهمية الذين دعوا إلىٰ قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ويرىٰ الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة**، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة وإن كانوا جهالًا مبتدعين وظلمة فاسقين». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٧-٥٠٨).

يقول أبو عمر البغدادي:

«ثامنًا: نرىٰ كفر وردة من أمد المحتل وأعوانه[١] بأي نوع من أنواع المعونة من لباس أو طعام أو علاج أو نحوه مما يعينه ويقويه، وأنه بهذا الفعل صار هدفًا لنا مستباح الدم».

---

(١) **قال أبو بكر البغدادي في كلمة بعنوان: «ولو كره الكافرن» عن حكام المسلمين**: «إنهم أذناب أمريكا وحلفاؤها وأنهم «عبيد مرتدون»، و«عملاء خونة»، وأنهم «عبيد وكلاب»، وأنهم «طواغيت»، وأن آل سعود هم «آل سلول»، وأن ملك السعودية هو «رأس الأفعى ومعقل الداء»، وأن جيوشهم «جيوش المرتدين».

تعليق:

نقول: إن الأمر في إعانة الكافرين وموالاتهم ليس على هذا الإطلاق المشين، كما هي عادة القوم! ولكن المسألة فيها تفصيل عند أهل السنة والإيمان، فالموالاة تنقسم إلى قسمين:

أولًا: موالاة مطلقة عامة، وهذه كفر صريح، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكفار، وأن من والاهم فقد كفر.

ثانيًا: موالاة خاصة، وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والردة كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سر رسول الله ﷺ في غزو مكة كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة.

ومن كلام العلامة القصيميّ محمد بن عبد الله بن سليم في هذا المعنىٰ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**النوع الأول:** أن يودهم ويود ما هم عليه من الكفر، ويطمئن إلى ذلك ويرضى به، فهذا كفر بلا ريب.

النوع الثاني: أن يودهم لغرض دنيويّ، مع كراهته لما هم عليه، وتضليلهم، فهذا قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، متعرض للوعيد». «الدرر السنية» (١٥/ ٤٧٩).

وقد يقول قائل: إن الموقف عصيب والأمر أمر حرب؛ فيقال له: وكذلك كان الموقف في حديث حاطب؛ كما هو ظاهر؛ فتأمل!

وفي كتاب «الأم» للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ **(٤/ ٢٦٣) ط/ دار المعرفة - بيروت:** «قيل للشافعي: أرأيت المسلم يكتب إلى المشركين من أهل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم أو بالعورة من عوراتهم هل يحل ذلك دمه ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين؟

قال الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-: لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام إلا أن يقتل، أو يزني بعد إحصان، أو يكفر كفرًا بينًا بعد إيمان ثم يثبت على الكفر، وليس

الدلالة على عورة مسلم ولا تأييد كافر بأن يحذِّر أن المسلمين يريدون منه غرة ليحذرها أو يتقدم في نكاية المسلمين بكفر بين.

فقلت -أي: الربيع- للشافعي: أقلت هذا خبرًا أم قياسًا؟ قال: قلته بما لا يسع مسلمًا عَلِمَه عندي أن يخالفه بالسنة المنصوصة بعد الاستدلال بالكتاب.

فقيل للشافعي: فَذِكْرُ السنة فيه. قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت عليًّا يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والمقداد والزبير فقال: «**انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب**»، فخرجنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالظعينة فقلنا لها: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين ممن بمكة يخبر ببعض أمر النبي ﷺ قال: «**ما هذا يا حاطب؟**» قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرأ ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لي بمكة قرابة؛ فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدًا، والله ما فعلته شكًّا في ديني، ولا رضًا ولا كفرًا بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد صدق**» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «**إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله عَزَّوَجَلَّ قد اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، قال: فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] .

قال الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-: في هذا الحديث مع ما وصفنا لك طرح الحكم باستعمال الظنون؛ لأنه لما كان الكتاب يحتمل أن يكون ما قال حاطب كما قال من أنه لم يفعله شاكًّا في الإسلام وأنه فعله ليمنع أهله.

ويحتمل أن يكون زلة لا رغبة عن الإسلام.

واحتمل المعنى الأقبح كان القول قوله فيما احتمل فعله وحكم رسول الله ﷺ

فيه بأن لم يقتله ولم يستعمل عليه الأغلب، ولا أحد أتى في مثل هذا أعظم في الظاهر من هذه؛ لأن أمر رسول الله ﷺ مباين في عظمته لجميع الآدميين بعده.

فإذا كان من خابر المشركين بأمر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يريد غرتهم. فصدقه ما عاب عليه الأغلب مما يقع في النفوس؛ فيكون لذلك مقبولًا كان من بعده في أقل من حاله وأولى أن يقبل منه مثل ما قبل منه.

قيل للشافعي: أفرأيت إن قال قائل: إن رسول الله ﷺ قال: «**قد صدق**» إنما تركه لمعرفته بصدقه لا بأن فعله كان يحتمل الصدق وغيره.

فيقال له: قد علم رسول الله ﷺ أن المنافقين كاذبون وحقن دماءهم بالظاهر، فلو كان حكم النبي ﷺ في حاطب بالعلم بصدقه كان حكمه على المنافقين القتل بالعلم بكذبهم، ولكنه إنما حكم في كل بالظاهر وتولى الله ﷻ منهم السرائر، ولئلا يكون لحاكم بعده أن يدع حكمًا له مثل ما وصفت من علل أهل الجاهلية، وكل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو عام حتى يأتي عنه دلالة على أنه أراد به خاصًّا، أو عن جماعة المسلمين الذين لا يمكن فيهم أن يجعلوا له سنة، أو يكون ذلك موجودًا في كتاب الله ﷻ».اهـ.

قال الإمام ابن بطال -رحمه الله تعالىٰ- في «شرحه علىٰ صحيح البخاريّ» (٥/ ١٦٢)ط/ مكتبة الرشد: «قال الطبريّ... وقد روي مثل ذلك عن الأئمة [أي: فعل النبيّ ﷺ مع حاطب رضي الله عنه]، روى الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب أن عامله على البحرين أتى برجل قامت عليه بينة أنه كاتب عدوًّا للمسلمين بعورتهم، وكان اسمه: أضرباس، فضرب عنقه وهو يقول: يا عمر، يا عمراه، فكتب عمر إلى عامله فقدم عليه فجلس له عمر وبيده حربة، فلما دخل عليه علا لجبينه بالحربة وجعل يقول: أضرباس لبيك، أضرباس لبيك. فقال له عامله: يا أمير المؤمنين، إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهَمَّ أن يلحق بهم. فقال له عمر: قتلته على هذه، وأيّنا لم يَهمّ، لولا أن تكون سيئة لقتلتك به» اهـ.

وقال الإمام القرطبيّ في «تفسيره» ط/ دار الكتب المصرية (١٨/ ٥٢): «من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرًا إذا كان فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين».اهـ.

وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٢٢): «إن شُعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف؛ فإذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله أوجب بغض أعداء الله.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].

وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة: ٢٢].

وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرًا، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبيّ ﷺ وأنزل الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أُبي في قصة الإفك. فقال لسعد بن معاذ: كذبت والله؛ لا تقتله ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبلُ ذلك رجلًا صالحًا ولكن احتملته الحمية.

ولهذه الشبهة سمى عمر حاطبًا منافقًا فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال: «**إنه شهد بدرًا**» فكان عمر متأولًا في تسميته منافقًا للشبهة التي فعلها.

وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «كذبت لعمر الله لنقتلنه؛ إنما

أنت منافق تجادل عن المنافقين»؛ هو من هذا الباب.

وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم: منافق وإن كان قال ذلك لما رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين.

ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا بل فيهم المنافق المحض؛ وفيهم من فيه إيمان ونفاق؛ وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق، وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان؛ ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك؛ صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك.

ومن هذا الباب: ما يروى عن الحسن البصريّ ونحوه من السلف؛ أنهم سموا الفساق منافقين؛ فجعل أهل المقالات هذا قولًا مخالفًا للجمهور؛ إذا حكوا تنازع الناس في الفاسق الملي هل هو كافر؟ أو فاسق ليس معه إيمان؟ أو مؤمن كامل الإيمان؟ أو مؤمن بما معه من الإيمان فاسق بما معه من الفسق أو منافق؟

والحسن -رحمه الله تعالى- لم يقل ما خرج به عن الجماعة، لكن سماه منافقًا على الوجه الذي ذكرناه.

والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق؛ ولهذا كثيرًا ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال: الشرك شركان أصغر وأكبر...». ا.هـ.

ويقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في «مصباح الظلام» (١/ ١٣٣):

«إن جنس الموادة للمشركين قد تقع من مسلم قد برئ من النفاق الأكبر، وآية سورة الممتحنة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وهو بريء من النفاق بشهادة رسول الله ﷺ؛ فإنه لما اعتذر إليه، وقال: «إني لم أفعل هذا رغبةً عن الإسلام ولا شكًّا فيه، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يد تحمي أقاربي ومن لي بمكة» أو نحو هذا الكلام، فقال النبي ﷺ: «**صدق**» فكيف يجعله هذا المعترض منافقًا وقد شهد بدرًا، وقال النبي ﷺ لعمر: «**ما يدريك أن الله اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم...**» وأول السورة يدل على إيمانه، وأن المشركين من أعدائه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]».اهـ.

قال أبو عمر البغدادي:

«تاسعًا: نرىٰ أن الجهاد في سبيل الله فرض علىٰ التعيين منذ سقوط الأندلس لتحرير بلاد المسلمين، وهو مع كل بر وفاجر، وأعظم الآثام بعد الكفر بالله النهي عن الجهاد في سبيل الله في زمن تعينه، قال ابن حزم: «ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهىٰ عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم، من أجل فسق رجل مسلم لا يحاسب غيره بفسقه»[(١)].

تعليق:

(١) وكما برئت **الأزارقة** من القعدة (الذين لم يحملوا السيف!) -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- وامتحنوا الناس بذلك وكفروا من لم يبرأ منهم؛ فعلت كذلك داعش حيث برئت من القاعدين عن الجهاد -بزعمهم- (الذين لم يحملوا السيف) ممن هم خوارج مثلهم كالإخوان وحزب النور وغيرهم؛ كما في «السلمية دين من؟!» لأبي محمد العدنانيّ.

بل قال في «عذرًا أمير القاعدة» ردًّا علىٰ أيمن الظواهريّ رأس خوارج «القاعدة»: «كفاك حتّى لا تؤدي إلى ضلالٍ كبيرٍ وفسادٍ عريض، كما أوصانا وحذّرنا الزرقاويّ والليبيّ أمراء القاعدة، وأن تدعوَ المسلمين لجهاد وقتال أولئك كلّهم دعوةً صريحة بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين كالمقاومة الشعبية والانتفاضة الجماهيرية والحركة الدعوية والشعب والجماهير والكفاح والنضال وغيرها... بألفاظ الجهاد الشرعية الواضحة، والدعوة الصريحة **لحمل السلاح ونبذ السلميّة وخصوصًا في مصر لقتال جيش الردّة، جيش السيسي فرعون مصر الجديد، وإلىٰ التبرؤ من مرسي وحزبه والصدع بردَّته وكفاكَ تلبيسًا علىٰ المسلمين.**

نعَم... مرسي المرتدّ الطاغوت الذي خرجَ بنفسه على رأس جيشه إلى سيناء، لا لحرب اليهود، بل لحرب المجاهدين الموحّدين هناك، فدكَّ بطائراته ودباباته بيوتهم وبيوتَ المسلمين، نعَم.. ذلك الطاغوت الذي من شدَّة حقده على المجاهدين الموحّدين عيّن قاضيًا نصرانيًّا صليبيًّا ليحكم على مَن أُسِرَ منهم، وطبعًا جاء الحُكم بالإعدام، فوقّع عليه ذلك **المرتدّ الطاغوت** ليشفي غليله منهم.

فعلامَ لم تُنكِر عليه، ولم تدعُ للقصاص منه؟! بل صوّرتَهُ مظلومًا وترفّقْتَ بِه، ودعوتَ له! أم أنّك راضٍ عن فعلِهِ ودستورِهِ الذي حكمَ به؟ وما سفكَه من دماء المجاهدين المرابطين الموحّدين في سيناء، ولا نحسبُكَ كذلك».اهـ.

نقول:

أولًا: قوله: «**نرىٰ أن الجهاد في سبيل الله فرض علىٰ التعيين**»، قد تابعه على ذلك أبو محمد العدنانيّ -المتحدث الرسميّ باسم الخوارج- في كلمة له بعنوان «الآن الآن جاء القتال» بل زاد فقال: «إنَّ كل جنديٍّ في دولة العراق الإسلامية وكل مجاهد يعتقد أن الجهاد في زماننا من أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله ﷻ، ويعتقد أن عليه أن يقاتل في سبيل الله **حتىٰ ولو لم يبق مجاهدٌ غيره في هذا الزمان**؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى أمره قائلًا: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، وإنَّ كل مجاهدٍ على يقين أنَّ الله تبارك وتعالى سينصره ويكفُّ عن المسلمين بأس الذين كفروا **حتىٰ لو لم يُبقِ علىٰ وجه الأرض مقاتلًا سواه**». ا.هـ.

نقول: انظر -رحمك الله- إلى هذا الاعتقاد الذي لم يقل به أحد قبل هؤلاء الأحداث السفهاء، فلم يسبقهم إلى هذا القول والاعتقاد أحد من أهل العلم قط، وإنما هي الجرأة والتقوُّل في دين الله، والتقدم بين يدي رسول الله -ولا تنس ما ذكروه قبل هذا من حرمة التقدم بين يدي رسول الله-.

وأما هذه الآية التي استدل بها فانظر إلى تفسير العلماء والأئمة سلفًا وخلفًا لهذه الآية.

قال شيخ المفسرين الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «تفسيره» (٨/ ٥٧٩):** «لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك، إلا ما حمَّلك من ذلك دون ما حمَّل غيرك منه، أي: أنك إنما تُتَّبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كُلِّفته دون ما كُلِّفه غيرك».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص ٦٥):** «فلما أمره بالقتال وأخبره أنه لا يكلف بغيره، بل وإنما يكلف بنفسه أتبعه بقوله: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، لئلا يتوهم سامع أنه وإن لم يكلف بهم فإنه يهملهم ويتركهم».

وقال السعديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره لهذه الآية:** «ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن

تُكلَّف بفعل غيرك».اهـ.

فتأمل الفرق بين كلام العلماء وبين كلام هؤلاء! فإن أهل العلم لم يفهموا من هذه الآية أن المسلم مأمور بالجهاد ولو لم يكن هناك غيره، بل فهموها على نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وأن الإنسان لا يكلف في الجهاد ولا في غيره إلا ما يطيق ويستطيع، فإذا أمر الإنسان أن يجاهد ولو كان وحده فهذا مما لا يطاق أصلًا؛ فإن الجهاد ليس عبادة فردية، وإنما عبادة جماعية مناطة بجماعة المسلمين وإمامهم.

ولذا تأمل كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفي أي سياق ذكر هذه الآية واستدل بها! حيث يقول كما في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٦): «ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي، كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، أي: وإن وقع في الأمر تكليف، فلا يكلف إلا قدر الوسع».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣١٤): «إن الله لا يجعل الذنب ذنبًا لمن لم يفعله فإنه هو القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. فمن الممتنع أن يضاف إلى محمد ﷺ ذنب آدم ﷺ أو أمته أو غيرهما.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ولو جاز هذا لجاز أن يضاف إلى محمد ذنوب الأنبياء كلهم».اهـ.

كذلك يتبين بطلان هذا الاستدلال بما ورد من الأدلة الكثيرة الصريحة على اشتراط القدرة والاستطاعة على الجهاد ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ

﴿يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

ففي «**تفسير الطبري**» **(١٤/ ٥٢) عن عبد الله بن عباس، قال:** «لما نزلت هذه الآية، ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفف الله عنهم؛ فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ﴾، قال: وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم». وانظر: تفسير ابن كثير للآية.

وفي «**تفسير ابن أبي حاتم**» **(٥/ ١٧٢٨) عن ابن عباس قال:** «لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] فكتب عليهم ألا يفر عشرون من المائتين ولا يفر واحد من عشرة ثم قال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ فكتب عليهم ألا يفر واحد من اثنين ومائة من المائتين، فإن فر من ثلاثة فلم يفر».

وقال الشافعيّ: «وهذا كما قال ابن عباس إن شاء الله تعالى مستَغْنًى فيه بالتنزيل عن التأويل وقال الله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ الآية، فإذا غزا المسلمون أو غُزُوا فتهيئوا للقتال فلقوا ضِعْفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا عنهم إلا متحرفين إلى فئة فإن كان المشركون أكثر من ضِعْفهم لم أحب لهم أن يولوا عنهم، ولا يستوجب السخط عندي من الله عز وعلا لو ولوا عنهم إلى غير التحرف للقتال والتحيز إلى فئة؛ لأنا بينا أن الله ﷻ إنما يوجب سخطه على من ترك فرضه، وأن فرض الله ﷻ في الجهاد إنما هو على أن يجاهد المسلمون ضعفهم من العدو، ويأثم المسلمون لو أطل عدو على أحد من المسلمين وهم يقدرون على الخروج إليه بلا تضييع لما خلفهم من ثغرهم إذا كان العدو ضعفهم وأقل». اهـ. من «الأم» للشافعيّ -رحمه الله تعالى- (٤/ ١٧٨).

وقال ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا

يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

أخرج البخاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» برقم (٤٤٢٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «**إن بالمدينة أقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**».

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض وعدم القدرة على السفر، وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ: «**حبسهم المرض**» وكأنه محمول على الأغلب». «فتح الباري» (٦/ ٤٧).

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

قال الشنقيطيّ في «أضواء البيان» (١/ ٢٤٨): «يؤخذ من قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾، أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين؛ لأن القاعدين لو كانوا تاركين فرضا لما ناسب ذلك وعده لهم الصادق بالحسنى؛ وهي الجنة والثواب الجزيل».اهـ.

وهذا هو الأصل في الجهاد أنه فرض على الكفاية، وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يمكن بحال أن يكون فرضَ عينٍ على كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

ولكنه يتعين على بعضهم في أربع حالات بينها العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في مجموع «فتاويه ورسائله» (٢٥/ ٣١٦)**: «سئل فضيلة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حكم الجهاد في

زماننا هذا؟ وهل هو فرض كفاية أم فرض عين؟ وإذا كان الجهاد فرض كفاية فمتى يكون فرض عين على هذه الأمة؟.

فأجاب بقوله:

أولًا: يجب أن تعلم أن الجهاد لا يكون فرض عين على جميع المسلمين، هذا شيء مستحيل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وبيّن گ الحكمة، فقال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ أي: القاعدون في المدينة [ويفقهوا] ﴿قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾؛ لأنهم لو انصرفوا كلهم إلى الجهاد لتعطلت بقية الشرائع والشعائر.

لكن يكون فرض عين في مواضع:

الموضع الأول: إذا حضر الإنسان صفَّ القتال فإنه يجب عليه أن يواصل الجهاد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

الموضع الثاني: إذا حاصر العدوُّ بلده، فهنا يجب عليه أن يقاتل دفاعًا عن نفسه، وبلده الإسلامي.

الموضع الثالث: إذا استنفره الإمام؛ يجب عليه أن يخرج. فمثلًا: يقول الإمام لأهل البلد: هيا اخرجوا للجهاد، فيجب أن يخرجوا؛ لأن معصية ولاة الأمور محرَّمة، ولما وجه الخطاب لهؤلاء وجب عليهم أن يقوموا بذلك.

الموضع الرابع: إذا احتيج إليه بأن يكون هذا الرجل يعلم من استعمال هذا النوع من السلاح وغيره ما لا يعلمه غيره، فهنا يتعين عليه أن يباشر.

وفي غير هذه المواضع الأربع لا يكون الجهاد فرض عين، ثم إن الجهاد لابدَّ له من راية إمام، وإلا كانت عصابات(١)؛ فلابد من إمام يقود الأمة الإسلامية، ولذلك

(١) وهذا عين الواقع لا سيما في الشام والعراق من هذه العصابات التي أذيقت بسببها الأمة الويلات، وهذا

تجد الذين قاموا بالجهاد من غير راية إمام لا يستقيم لهم حالٌ، بل ربما يُبادُون عن آخرهم، وإذا قُدِّر لهم انتصار صار النزاع بينهم.

فعلى كل حال نسأل الله أن يُعيننا على جهاد أنفسنا، فنحن الآن في حاجة إلى جهاد النفس، فالقلوب مريضة، والجوارح مقصِّرة، والقلوب متنافرة، وهذا يحتاج إلى جهاد قبل كل شيء». اهـ.

ثانيًا: قوله: «**منذ سقوط الأندلس لتحرير بلاد المسلمين**».

نقول: لقد سقطت الأندلس من عدة قرون، وكان العلماء آنذاك متوافرين، ولا نعلم قولًا لعالم معتبر من أهل الاجتهاد أوجب على جميع المسلمين وجوبًا عينيًّا أن ينفروا إلى الأندلس ليحرروها!

وهنا لابد من بيان أمر مهم متعلق بالجهاد به تزول كثير من الإشكالات وهو مراحل تشريع الجهاد وهديه ﷺ مع الكافرين والمنافقين.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد» (٣/ ١٤٣): «أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١، ٢]، فنبأه بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وأرسله بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح. ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .

ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفي لهم به ما

يبين لنا أن أهل السنة لا يتكلمون بأهوائهم وإنما بالسنة التي أشربتها قلوبهم فلا تكاد تخطئ فراستهم لله درهم.

استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأمر أن يقاتل من نقض عهده.

ولما نزلت سورة (براءة) نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان.

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام:

قسمًا أمره بقتالهم، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم.

وقسمًا لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم.

وقسمًا لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم... فقتل الناقض لعهده، وأجَّل من لا عهد له، أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتم للمُوفي بعهده عهده إلى مدته، فأسلم هؤلاء كلهم، ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضرب على أهل الذمة الجزية.

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول (براءة) على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب».اهـ.

فهذه مراحل الجهاد، ولكل مرحلة حالها الذي مرت به.

وهذه المراحل متعلقة بهذه الأحوال كلما وجد حال وجدت المرحلة، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في الصارم المسلول (ص ٢٢١): «فمن كان من المؤمنين بأرض

هو فيها مستضعف؛ أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». اهـ.

فإن قال قائل: إن هذه الأحوال منسوخة بآية السيف!

نقول: إن من شرط النسخ تحقُّق التعارض بين الناسخ والمنسوخ، ولا يكون النسخ إلا إذا كان الحكم الناسخ مناقضًا للمنسوخ، والأمر بالقتال في حال القوة لا يناقض الأمر بالكف في حال الضعف.

ولذلك قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] .

ردًّا على من زعم أن الآية منسوخة بآية السيف ط/ الكتب العلمية (٤/ ٧٤):

«وهذا فيه نظر؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفًا فإنه يجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم».اهـ.

قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ في «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ٤٢) مبينًا أقسام النسخ:

«ما أمر به لسبب ثم يزول السبب؛ كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين يرجون لقاء الله، ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخه إيجاب لذلك، وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسء كما قال تعالى: ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ فالمنسَّأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك، بل هي من المنسأ بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة

إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنما النسخ، الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا». اهـ.

قال أبو عمر البغدادي:

«عاشرًا: ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته؛ فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبيّ، ولذا وجب التنبيه أننا سنقاتل أي قوات غازية لدولة الإسلام في العراق، وإن تسمت بأسماء عربية أو إسلامية، وننصحهم ونحذرهم ألا يكونوا كبش فداء للمحتل كما هو مقترح لحل أزمة المحتل الصليبيّ في العراق».

تعليق:

نقول:

أولًا: قوله: « ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر»...إلى: « فهي ديار كفر».

نقول: من أين لهم أن الديار يحكم عليها بالشرائع والأحكام؟!

بل الديار بساكنيها والغالب فيها، فما دامت الغالبية لأهل الإسلام يقيمون الشعائر الظاهرة من أذان وجُمع وجماعات فهي دار إيمان وإسلام.

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -مقررًا اعتقاد أهل السنة والفرق بينه وبين غيره- في «اعتقاد أهل السنة»، (ص:٥٦) ط/ دار ابن حزم: «ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر -كما رأتها المعتزلة-، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين، وأهلها ممكَّنين منها آمنين».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٨٢-٢٨٤): «وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها؛ بل هي صفة عارضة بحسب سكانها؛ فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها

الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت؛ فإن سَكَنَها غيرُ ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم.

وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة أو صار دار فسق أو دار ظلم أو كنيسة يشرك فيها بالله كان بحسب سكانه؛ وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها إذا جعلت مسجدًا يعبد الله فيه جل وعز كان بحسب ذلك، وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقًا والكافر يصير مؤمنًا أو المؤمن يصير كافرًا أو نحو ذلك، كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال.

وقد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية نزلت في مكة لما كانت دار كفر وهي ما زالت في نفسها خير أرض الله وأحب أرض الله إليه وإنما أراد سكانها...

فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلمًا وتارة كافرًا وتارة مؤمنًا؛ وتارة منافقًا وتارة برا تقيًّا وتارة فاسقًا وتارة فاجرًا شقيًّا وهكذا المساكن بحسب سكانها». اهـ.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السيل الجرار» (ص ٩٧٦، ط/ دار ابن حزم): «قوله: «فصل ودار الإسلام... » إلخ.

أقول: الاعتبار بظهور الكلمة؛ فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع مَن فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذونًا له بذلك من أهل الإسلام؛ فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم، كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية، وإذا كان الأمر العكس فالدار بالعكس». اهـ.

ثانيًا: قوله: «**ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار**».

نقول: فما فائدة وصم هذه الديار بأنها ديار كفر؟! أليس لتكون دار حرب؟!

وساكن دار الحرب حلال الدم حلال المال حلال العرض! فماذا تقصد بقولك ديار كفر ولا يلزم من ذلك أن نكفر ساكنيها، فهذا كلام لا معنى له، أو هي مراوغة مكشوفة للفرار من وصم الخارجية، -ومع ذلك فهو قول الإباضية من الخوارج كما سيأتي إن شاء الله-، وإلا فما الذي يترتب على ذلك؟! وهل الديار إلا بساكنيها، أم أنك ستحارب الجدار والأشجار والبحار والأنهار؟!

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السيل الجرار»، (ص ٩٧٧): «واعلم أن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر قليل الفائدة جدًّا لما قدمنا لك في الكلام على دار الحرب، وأن الكافر الحربي مباح الدم والمال على كل حال ما لم يؤمَّن من المسلمين، وأن مال المسلم ودمه معصومان بعصمة الإسلام في دار الحرب وغيرها.

وإن كانت الفائدة هي ما تقدم من كونهم يملكون علينا ما دخل دارهم قهرًا؛ فقد أوضحنا لك هنالك أنهم لا يملكون علينا شيئًا .

وإن كانت الفائدة وجوب الهجرة عن دار الكفر فليس هذا الوجوب مختصًّا بدار الكفر، بل هو شريعة قائمة وسنة ثابتة عند استعلان المنكر، وعدم الاستطاعة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم، وجود من يأخذ على أيدي المنتهكين لمحارم الله فحق على العبد المؤمن أن ينجو بنفسه ويفر بدينه إن تمكن من ذلك ووجد أرضًا خالية عن التظاهر لمعاصي الله، وعدم التناكر على فاعلها؛ فإن لم يجد فليس في الإمكان أحسن مما كان، وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، كما أرشد إلى ذلك الصادق المصدوق فيما صح عنه، وإذا قدر على أن يغلق على نفسه بابه ويضرب بينه وبين العصاة حجابه، كان ذلك من أقل ما يجب عليه، وقد أوضحت أمر الهجرة وما هو باق منها وما قد نسخ في «شرحي للمنتقى» فليرجع إليه».اهـ.

ثالثًا: قوله: «**وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام ...** » إلخ.

نقوله له: بما في ذلك مكة؟! فجوابهم: نعم!

قال أبو محمد المقدسي في وقفات مع «ثمرات الجهاد» (ص٨٦): «الدنيا كلها اليوم دار كفر، والمسلمون فيها مستضعفون وديارهم كلها مسلوبة محتلة مغتصبة، إما من كفار خارجيين أو من كفار داخليين موالين للكفار الخارجيين، ولا أستثني من ذلك حتى مكة والمدينة».اهـ.

وقد كتب في ذلك أبو أسامة الغريب -وهو منهم- رسالة بعنوان «هل مكة دار كفر» يرد فيها على مرجئة العصر -بزعمه- الذين يقولون: إن مكة دار إسلام وليست بدار كفر، وذكر أن القول بأنها دار كفر قول علمائهم!

وقال أبو محمد العدناني في كلمة بعنوان: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: «فيا أيها الأسود في الأنبار ونينوي وصلاح الدين وكركوك وديالى وبغداد والجنوب: واصلوا زحفكم، وأعيدوا رسم الخارطة، فإنكم اليوم بتُّم أمل المستضعفين في كل مكان، وإن الأسارى ينتظرونكم في بغداد ورومية وحلب والحائر وأبي زعبل، **وإن لكم موعدًا في بغداد ودمشق والقدس ومكة والمدينة**، إن لكم موعدًا في دابق والغوطة وروما إن شاء الله».اهـ.

ويقول أيضًا في كلمة بعنوان: «ما كان هذا منهجنا ولن يكون»: «عازمين على تحكيم شرع الله، أجسادهم في العراق، وأرواحهم في **مكة الأسيرة**، وأفئدتهم في بيت المقدس، وعيونهم على روما».اهـ.

فهذا المقدسي يصرح بأن مكة دار كفر، والعدناني يصفها بالأسيرة! أي: أسرها الكفار فهي دار كفر! ويعد جنوده بغزوها! وهذا من عظيم جهلهم! فإنه كما سبق ديار الكفر هي ديار حرب، ومكة لا يجوز أن تكون دار حرب بعد فتحها إلى يوم القيامة فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: «**لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده،**

ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلىٰ خلاها». متفق عليه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

قال ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام» (٢/ ٦٣): «وفي ضمن الحديث: الإخبار بأن **مكة تصير دار إسلام أبدًا**».

وقال ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٤/ ٥٠٤): «قال الطبريّ: فيه الإبانة عن أن مكة غير جائز استحلالها، ولا نصب الحرب عليها لقتال بعدما حرمها رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، وذلك أنه عليه السلام أخبر حين فرغ من أمر المشركين بها أنها لله حرم، وأنها لم تحل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعده بعد تلك الساعة التي حارب فيها المشركين، وأنها قد عادت حرمتها كما كانت، فكان معلوم بقوله هذا أنها لا تحل لأحد بعده بالمعنى الذي أحلت له به، وذلك محاربة أهلها وقتالهم وردهم عن دينهم.

إن قال قائل: قد رأينا الحَجَّاج وغيره قاتل مكة ونصب الحرب عليها، وأن القرمطي الكافر قلع الحجر الأسود منها وأمسكه سبعة عشر عامًا، فما وجه ذلك؟

قيل له: معناه بَيِّن بحمد الله، وذلك أن الحَجَّاج وكل من نصب الحرب عليها بعد الرسول ﷺ لم يكن ذلك مباحًا ولا حلالًا كما حل للنبي عليه السلام وليس قول الرسول ﷺ: «**وقد عادت حرمتها كما كانت، ولا يحل القتال بها لأحد بعدي**»: أن هذا لا يقع ولا يكون، وقد يَرِدُ ذلك، وقد أنذرنا عليه السلام أن ذا السويقتين من الحبشة يهدم الكعبة حَجَرًا حَجَرًا، وإنما معناه أن قتالها ونصب الحرب عليها حرام بعد النبي ﷺ على كل أحد إلى يوم القيامة، وأن من استباح ذلك فقد ركب ذنبًا عظيمًا، واستحل محرمًا شنيعًا».اهـ.

وفي حديث أصرح قال رسول الله ﷺ: «**لا تغزىٰ هذه**» -يعني: مكة- «**بعد اليوم إلىٰ يوم القيامة**». أخرجه الترمذي (١٦١١) وغيره، وقال الترمذيّ: «حسن صحيح».

ولابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٦٨) بلفظ: «**لا تغزىٰ مكة بعد هذا**

العام أبدًا» يعني عام الفتح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٢٧).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في «البداية والنهاية» ط/ هجر (٦/ ٥٨٢)**: «فإن كان نهيًا، فلا إشكال، وإن كان نفيًا، فقال البيهقي: معناه على كفر أهلها».

وقال الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ١٦٢): «قال سفيان: تفسيره أنهم لا يكفرون أبدًا، ولا يُغزون على الكفر قال أبو جعفر: وكذلك معنى «**لا يقتل قرشيّ بعد العام صبْرًا**» إنما يراد به هذا المعنى أنهم لا يُعودون كفارًا يُغزون حتى يقتلوا على الكفر، **كما لا تعود مكة دار كفر تغزىٰ عليه** وبالله عَزَّ وَجَلَّ التوفيق».

وأمام الحديث «**لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت، حتىٰ يخسف بجيش منهم**» أخرجه النسائيّ (٢ /٣٢) والحاكم (٤ /٤٣٠)، وصححه الألبانيّ في «الصحيحة» (٥/ ٥٥٩)، ثم قال: «اعلم أنه لا منافاة بين هذا الحديث والحديث المتقدم (٢٤٢٧): «**لا تغزىٰ مكة بعد إلىٰ يوم القيامة**» لأن المثبَت من الغزو في هذا غير المنفي في ذاك، ألا ترى إلى تفسير سفيان إياه بقوله: «إنهم لا يكفرون أبدًا ولا يغزون على الكفر». ويؤيده قوله في هذا الحديث: «**يخسف بجيش منهم**».

فهو صريح في أن هذا الجيش من الكفار، أو البغاة، وإن كان فيهم مؤمنون مكرهون، فهم يؤُمُّون البيت ليغزوا مَن فيه من المسلمين، فلا تعارض، والحمد لله». اهـ.

رابعًا: قوله: «**فإننا نرىٰ كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبيّ**».

نقول: يؤكد ذلك أبو محمد العدنانيّ المتحدث الرسميّ للخوارج «داعش» حيث يقول: «إن جيوش الطواغيت من حكام ديار المسلمين **هي بعمومها جيوش ردة وكفر!** وإن القول اليوم بكفر هذه الجيوش وردتها وخروجها من الدين بل **ووجوب قتالها وفي مقدمتها الجيش المصري** هو القول الذي لا يصح في دين الله خلافه، وهو الذي تشهد له الأدلة الشرعية من القرآن والسنة وكلام العلماء الأفذاذ الفحول

المعتبرين، وليس هو قطعًا من أقوال أهل الغلو والتكفير بغير وجه حق»! من كلمة له بعنوان «السلمية دين من؟!».

فتأمل -رحمك الله- في جرأة هؤلاء أحداث الأسنان سفهاء الأحلام! كيف يكفرون الحكام والجيوش بغير مكفر! ثم يستحلون منهم ما يستحلون من الكفار، بل هم عندهم أشد من اليهود والنصارى! وقتالهم أوجب من قتال اليهود والنصارى، فإنهم كفروا المسلمين الذين لم يكفرهم الله ولم يكفرهم رسوله، وزعموا أنهم مرتدون ثم بنوا على ذلك أن قتال المرتد أوجب من قتال الكافر الأصلي!

وإن هذا ليصدق عليهم حديث رسول الله ﷺ: «**يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام**»!

ثم انظر إلى التناقض -الذي هو صفة لازمة لمن خالف منهاج رسول الله ﷺ- فإنه أولًا زعم أن الديار ديار كفر ولكن لا يلزم تكفير ساكنيها! فلماذا كفرتم الحكام وجيوشهم الآن؟ أليسوا من ساكنيها؟! ثم أين استيفاء الشروط وانتفاء الموانع التي تحدثتم عنها في "رابعًا!" وأين إقامة الحجة التي كنتم تتحدثون عنها في "سابعًا"؟! فإن قالوا: نحن نفرق بين الرؤوس وغيرها!

قلنا: من أين لكم هذا التفريق؟ وقد سبق الرد عليه، ثم أين هذا وأنتم تكفرون الجيوش قادتها وجنودها! بل أكثر الجيش جنود وليس قادة! كما هو معلوم.

فانظر أيها القارئ الفطن إلى تناقض هؤلاء وهو كما سبق وصف لازم لكل من خالف منهاج النبوة، فإن وحي الله لا يتناقض كتابًا ولا سنة، ومن تمسك به، وسار على نهجه، ولم يصدر إلا عنه، ولم يقل إلا به؛ فكذلك لا يتناقض قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

يقول أبو عمر البغدادي:

«**الحاديَ عشرَ: نرىٰ وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة وما انبثق عنهما من مسميات كحماية المنشآات النفطية وغيرها، ونرىٰ وجوب هدم**

وإزالة أي مبنىٰ أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقرًّا له».

تعليق:

نقول:

قال العدنانيّ في «السلمية دين من؟!»: «**ثالثًا**: لابد لنا أن نصدع بحقيقة مرة لطالما كتمها العلماء واكتفى بالتلميح لها الفقهاء؛ ألا وهي: كفر الجيوش الحامية لأنظمة الطواغيت، وفي مقدمتها الجيش المصريّ، والجيش الليبيّ، والجيش التونسيّ، قبل الثورة وبعدها، وهذا الجيش السوريّ قد بات كفره واضحًا حتى عند العجائز». اهـ.

وانظر إلى غمزهم ولمزهم في العلماء والفقهاء هربًا من أن يرد عليهم كلامهم بأنهم أول من ابتدعوا الكلام به؛ إذ لا سلف لهم فيما ذكروه -إلا الخوارج-، ولذلك فإنهم بدلًا من أن يكونوا تبعًا لمن سبق من العلماء والفقهاء فيما حرروه من المسائل والأقوال، ابتدعوا هذا القول ثم طعنوا في العلماء، وصدق من قال: لا يخرجون على الأمراء إلا بعد أن يخرجوا على العلماء!

يقول أبو عمر البغدادي:

«الثاني عشر: نرىٰ أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام[(١)] اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعليه إن أرادوا الأمن والأمان فعليهم أن يُحدثوا عهدًا جديدًا مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية التي نقضوها.

تعليق:

نقول: إن الناظر في الشروط العمرية وما ورد فيها من إلزامات، لاسيما مع

(١) هذا تناقض عجيب؛ إذ ماذا يريد بدولة الإسلام؟! المتبادر إلى الأذهان أنها دولته المزعومة! فما الذي يمنعهم أن يكونوا أهل ذمة؟!؛ وإن كان يريد بلاد المسلمين فهذا تناقض أيضًا؛ لأن الديار عندهم جميعًا ديار كفر!

علمه بأن الذي كتب هذه الشروط وفرضها هم أهل الكتاب أنفسهم على أنفسهم ذلًّا وضعفًا وانكسارًا بين يدي عزة المسلمين وقوتهم؛ فالنظر فيها يحزن أشد الحزن على ما أصاب الأمة في هذا الزمان بسبب ذنوبهم ومخالفاتهم وبدعهم وإحداثهم في دين ربهم، ومن أعظم هذه المخالفات والبدع: بدعة الخوارج.

ولابد أن يعلم أن الشروط العمرية -مع ما كان من كلام في سندها- فإننا لا نردها لاسيما وقد تلقاها العلماء بالقبول، ولكن لابد من اعتبار الحالة التي فرضت فيها هذه الشروط، أي: حال القوة والتمكين، كما يظهر ذلك من عدة أوجه منها: أن أهل الكتاب هم الذين فرضوا ذلك على أنفسهم وكذلك ما في الشروط نفسها من بيان ذلهم وانكسارهم، وهذا في نفسه دال على قوة المسلمين حينئذ وعزتهم، وانظر نصها في: «أحكام أهل الذمة» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ١١٥٩).

ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم أن النبيّ ﷺ لم يشترطها -حتى بعد نزول آية السيف!- لذلك عدَّها الجمهور من الاجتهاد الذي يرجع فيه إلى الإمام، وما يراه من حال المسلمين قوة وضعفًا لاسيما وهي ليست من اشتراط عمر، وإنما هي من إقراره على ما اشترطه أهل الكتاب على أنفسهم.

ولذلك فالشيء بالشيء يذكر؛ فهناك ما يعرف بالعهدة العمرية لأهل إيلياء وليس فيها هذه الشروط إلا شرط الجزية فقط، وهو ما ورد في الكتاب والسنة، وكل ذلك يؤكد على أن هذه الشروط ترجع إلى ولي الأمر اجتهادًا.

فإن لم يرضوا بذلك؛ فعلى الأقل هؤلاء أهل عهد مع ولاة الأمر لا يجوز خفر عهدهم «**فمن قتل معاهدًا في عهده لم يرح رائحة الجنة...**» الحديث؛ فإن قالوا: هؤلاء ليسوا حكامًا مسلمين بل هم كفار مشركون عدنا حينئذ لأصلهم -التكفير بالحكم- الذي ترجع إليه سائر بدعهم؛ ولو سلمنا أنهم أهل حرب فقد مضى بيان مراحل الجهاد وأحوال المسلمين معها واعتبار المصالح والمفاسد من قوة المسلمين وضعفهم؛ ونذكر هاهنا (كتابه ﷺ بين المهاجرين والأنصار وموادعة يهود) وفيه:

١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بخليفة.

٦- وإن النصر للمظلوم.

٧- وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨- وإن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ﷻ، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

١١- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.... على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلهم.

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. «الرحيق المختوم» (ص: ١٧٣) وانظر «سيرة ابن هشام» ت السقا (١/ ٥٠١).

يقول أبو عمر البغدادي:

«الثالثَ عشرَ: نرىٰ أن أبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة إخوة لنا في الدين، ولا نرميهم بكفر ولا فجور إلا أنهم عصاة لتخلفهم عن واجب العصر وهو الاجتماع تحت راية واحدة».

تعليق:

أولًا: قوله: «**نرىٰ أن أبناء الجماعات الجهادية...**» إلى «**إخوة لنا**».

نقول: وهذا إقرار ودعوة إلى غير ما أنزل الله! فهل في كتاب الله وسنة رسول

الله إقرار لتعدد الجماعات!، أم أن كل ما جاء في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله فيما يتعلق بهذا الأمر ليس فيه إلا الذم والتوبيخ لمن فرق المسلمين إلى جماعات وأحزاب، ليس فيه إلا الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة، والنهي عن الفرقة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣١، ٣٢]، وفي «صحيح مسلم»، برقم (١٧١٥) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضىٰ لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

وانظر في هذه المسألة كتاب العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- «جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات» تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-.

ثانيًا: قوله: «**ولا نرميهم بكفر ولا فجور**».

وقال أبو محمد العدناني: «ومن أعظم وأقبح ما يُفتَرى علينا ونُتَّهَمُ به: أن الدولة تجبر الناس على بيعتها، وتزعم أنها حصرًا للطائفة المنصورة، والأقبح من ذلك: أنها تعتبر من يخالفها الرأيَ مِنَ الجماعاتِ وَالفصائلِ أو مَن يأبى مبايعتَها أو لا يرى المصلحة في وجودها: أنه أصبحَ مِنَ الأعداءِ ومن الصحوات... حلالَ الدم، ولابد من التعامل معه بطريقة التعامل مع الصحوات، نعوذ بالله من هذه الافتراءات! أو أن نعادي أية جماعة أو فئة أو كتيبة: لمجرد أنها تخالفنا الرأي، أو لمجرد أنها تأبى مبايعة الدولة... بل إن سياسة الدولة الإسلامية في العراق والشام في هذه المرحلة: هي نصرة

المظلومين، ودفع العدو الصائل، والكف عمن كف عنها»(١).

نقول: يكفي في بيان كذب ذلك -مع ما مر من بيان ضلاله- أن ترى هذا التناحر بينهم والخلاف الحاصل في أوساطهم مع القاعدة والنصرة، فقد قارب الأمر الرميَ بالكفر، فضلًا عما حصل من استحلال للدماء من أبناء جلدتهم ومنهجهم وما ذلك إلا لأنهم ليسوا تحت رايتهم!

ثالثًا: قوله: «**لتخلفهم عن واجب العصر**» ...إلخ.

نقول له: رحم الله هذا المصطلح المظلوم الذي يزعمه كل واحد منهم على حسب هواه؛ فمرة يكون واجب العصر الجهاد، ومرة يكون الاجتماع تحت راية واحدة! ومرة يكون البيعة لخليفة المسلمين! ومرة ومرة! والحق أن واجب العصر وكل عصر وكل زمان وكل مكان، هو التوحيد والدعوة إليه وإلى تصحيحه عند المسلمين ممن جهلوه أو نقضوه، وكذلك كان واجب عصر الأنبياء من قبل، ولذلك فواجب عصر كل وارثي الأنبياء وأتباعهم من بعد؛ هو الدعوة إلى التوحيد والمنهج السديد وتصحيح المعتقد عند المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأما الاجتماع فإنه لا يحمد إلا ما كان على منهاج النبوة وهو اجتماع القلوب على المعتقد الصحيح، وما يغني اجتماع الأبدان والقلوب متنافرة؟! والعقائد متناحرة؟! فالاجتماع الحقيقي هو اجتماع القلوب لا الأبدان قال تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر: ١٤]، فلو كانوا يعقلون لعملوا على استئصال الخلاف من جذوره، لا مجرد التظاهر بالاجتماع! ولذلك فإن الله رب العالمين ألف بين قلوب الصحابة لما اجتمعوا على عقيدة واحدة وهي ما جاء به محمد ﷺ، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي

(١) كلمة بعنوان: «لن يضروكم إلا أذى».

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٢،٦٣] فليت قومي يعلمون!

وأما ما يقع اليوم من تناحر وتباغض بل وتقاتُل بين أبناء هذه الجماعات؛ فإنما هو مصداق ما نقول من أنه لا توحيد للكلمة إلا بكلمة التوحيد، إلا بالسير على المنهج السديد، إلا بالإرشاد إلى الاعتقاد الرشيد.

يقول أبو عمر البغدادي:

«الرابع عشر: كل جماعة أو شخص يعقد اتفاقية مع المحتل الغازي فإنها لا تلزمنا في شيء بل هي باطلة مردودة، وعليه نحذر المحتل من عقد أي اتفاقات سرية أو علنية بغير إذن دولة الإسلام».

تعليق:

نقول:

أولًا: قوله: «**فإنها لا تلزمنا في شيء بل هي باطلة مردودة**».

نقول: أخرج الإمام البخاريّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه» برقم (٣١٧٩)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ما كتبنا عن النبي ﷺ إلا القرآن وما في هذه الصحيفة، قال النبي ﷺ: «... **وذمة المسلمين واحدة، يسعىٰ بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل...**».

قال ابن بطال في «شرحه علىٰ صحيح البخاري» (٥/ ٣٥٠): «وقال ابن المنذر في قوله ﷺ: «**يسعىٰ بها أدناهم**» قال: الذمة: الأمان، يقول: إن كل من أمَّن أحدًا من الحربيين جاز أمانه على جميع المسلمين دَنيًّا كان أو شريفًا، حرًّا كان أو عبدًا، رجلًا أو امرأة، وليس لهم أن يخفروه.

واتفق مالك والثوري والأوزاعي والليث والشافعيّ وأبو ثور على جواز أمان العبد قاتل أو لم يقاتل، واحتجوا بقوله ﷺ: «**يسعىٰ بها أدناهم**»... قال المهلب: وقوله: «**فمن أخفر مسلمًا**» يعني: فيمن أجاره «فعليه لعنة الله والملائكة». وهذا اللعن وسائر

لعن المسلمين إنما هو متوجه إلى الإغلاظ والترهيب لهم عن المعاصي، والإيعاد لهم من قبل مواقعتها، فإذا وقعوا فيها دعي لهم بالتوبة، يبين هذا حديث النعمان، وقوله: «**لا يقبل منه صرف ولا عدل**» يعني: في هذه الجناية أي: لا كفارة لها؛ لأنه لم يشرع فيها كفارة فهي إلى أمر الله إن شاء عذب فيها وإن شاء غفرها، على مذهب أهل السنة في الوعيد». اهـ.

قال النووي في «شرحه على مسلم» (٩/ ١٤٤): «المراد بالذمة هنا الأمان معناه: أن أمان المسلمين للكافر صحيح؛ فإذا أمنه به أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم وللأمان شروط معروفة... قوله ﷺ: «**فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله**» معناه: من نقض أمان مسلم فتعرض لكافر أمنه مسلم قال أهل اللغة: يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته إذا أمنته».

وفي «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢٧٤): «ودخل في قوله: «**أدناهم**» أي: أقلهم؛ كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى ».اهـ.

بل ولو أجارت امرأة كما في «الصحيحين» أن أم هانئ أجارت رجلًا مشركًا؛ فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ...**».

فتأمل رحمك الله في هذا الوعيد الشديد فيمن نقض عهود المسلمين على أي حال كان هذا المسلم! فهذا كلام رسول الله ﷺ وهذا شرح العلماء له، فعلى أي أساس لا تلزمهم هذه العهود والاتفاقيات؟ هل هذا من الحكم بما أنزل الله؟! هل هذا من التحاكم إلى شرع الله؟! هل هذا هو التسليم لحكم رسول الله؟!

ثانيًا: قوله: «**بغير إذن دولة الإسلام**».

نقول: لا زال الشعور بالنقص يراودهم! يريدون أن يكونوا شيئًا مذكورًا! حسنًا؛ فليكن؛ ولكن ألم تكفروا حكام المسلمين بالمعاهدات والاتفاقات مع الكافرين؛ فلمَ تطلبوه لأنفسكم اليوم، ومع من؟ مع المحتل! أنسيتم قول إمام من أئمتكم -أئمة الخوارج- وهو عبد الله عزام في رسالته «الدفاع عن أراضي المسلمين

أهم فروض الأعيان» والتي قدم لها جملة من رجال الخوارج؛ يقول: «لا يجوز أن لا [كذا والصواب بدون: لا] تتضمن المعاهدة شرطًا فيه اعتراف أو إقرار الكفار بشبر من أراضي المسلمين... وإذا تعين الجهاد بطل الصلح كما إذا دخل العدو أرض المسلمين أو كان طالبًا لهم... وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالبًا على المسلمين، وكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ».اهـ.

ولا تنسوا أن هذا هو أهم فروض الأعيان عندكم! فما حكمكم الآن بناء على أصولكم؟!.

فضلا عن أن هذا القول يرده المنقول والمعقول والتاريخ، فأما المنقول فما حدث في الأحزاب فقد أهم أن يصالحهم على ثلث ثمار المدينة.

وأما المعقول فلئن الأمم في حال استضعافها تحتاج إلى مراحل كي ما تقوم وتقوى وحينئذ لابد لها من معاهدات ونحوها مع عدوها تحافظ فيه على نفسها حتى تعد العدة ومن قرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام علم ذلك علم اليقين، والتاريخ الذي دائما يتفاخر به الخوارج ويشعلون به حماس الشباب ينقض ذلك لا سيما صلاح الدين، الذي دائما يقولون: «أين صلاح الدين؟ أين صلاح الدين؟»، فنقول: فما تقولون في معاهدته الصليبيين فيصلح الرملة ولماذا لم تكفروه كما كفرتم السادات وغيره؟!.والله الموفق والمستعان.

يقول أبو عمر البغدادي:

«الخامسَ عشرَ: نرىٰ وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين ونذبُّ عنهم ونَصدر عنهم في النوازل والملمّات، ونُعري من سار علىٰ نهج الطاغوت أو داهنه في شيء من دين الله».

تعليق:

نقول:

أولًا: قوله: «**نرىٰ وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين ونذبُّ عنهم ونَصدر عنهم في النوازل والملمّات**».

نقول: لقد ثبت بكل ما مضى أن هؤلاء قرن من قرون الخوارج، ومعلوم أن الخوارج ليس فيهم عالم، بل الصفة العامة الجامعة لهؤلاء الخوارج في كل زمان ومكان هي: الجهل، ولذلك لما ذهب إليهم ابن عباس يناظرهم قال لهم: «جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين أنزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم وليس فيكم منهم أحد» أي: ليس فيكم عالم، لذلك تتخبطون وتنحرفون وتفشلون.

وهذا ما اعترف به رجل من رجالات هؤلاء الخوارج وهو أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة» فاستمع إليه يقول في (ص٨٥٨)، وهو يعد الأخطاء والإشكاليات والمعوقات لما أسماه بالتيار الجهادي فقال:

١-افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فيسدون ثغرة التربية والفتوى والكتابة والتوجيه. ويكونون رموزًا شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالاسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاهل أو عالم... فما من مسلم إلا وعنده علم.

٢- انخفاض مستوى العلم الشرعي عمومًا في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات، حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

٣- انخفاض مستويات التربية العبادية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجهاد من الشباب، وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التجمعات الجهادية...

٤- تفشي الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلًا عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي... ومعظم مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين!

٥- اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على برامج التدريب العسكري شبه المحض. حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج. رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية...

٦- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة... إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل، وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، **أن الفجوة بين هذه النماذج ومجتمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها**. ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة...».

وقال أيضًا في «دعوة المقاومة» (ص٨٠٣): «حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديين خلال تلك الفترة».

وقال أيضًا وهو يعد مسالب تياره الجهادي في «دعوة المقاومة» (ص ٨٤١): «مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي، وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي

على تعميمات وقواعد عقدية، صارت **مع توافر عوامل الجهل** والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين **متكًا لأفكار «تكفيرية»**... مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و(الفكر التكفيري) رقيقًا».

ومما ذكر في كتابه هذا من ملاحظات حول تياره (ص٨٤٧): «وقد لاحظت... أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه... وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات، وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جدًّا من المواصفات في هذه المجالات».

وقال أيضًا في (ص: ٨٤٩): «ونظرًا لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عمومًا، وضيق مجالات الشورى والاستفادة من الكوادر... وتفضيل كثير من الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية».

وقال في «مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر» (ص:٧١): «أثبتت لي التجربة الجزائرية كما غيرها. أن الثغرة الكبرى في التجارب الجهادية كلها بلا استثناء، وهي في التجربة الجزائرية أشد أثرًا وفظاعة. هذه الثغرة هي غياب العلماء وكبار الدعاة عن قيادة تلك التجارب الجهادية، وعدم دعمها والانخراط فيها... ولقد أدى غياب هؤلاء العقلاء وأصحاب العلم والتجربة والخبرة عن ريادة التجارب، إلى ضعف التربية وتيه القرارات لدى الشباب، وتخبطهم وارتكابهم للأخطاء».

ومما ذكر أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة» (ص٧٤١): «ولا أنسى أن أسجل شكري وتحيتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام الشريف) مفتي جماعة الجهاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري بالغ الأثر، فرج الله عنه».اهـ.

وقد أثنى عليه في عدة مواضع من كتابه هذا، ومع ذلك فهذا سيد إمام وهو

رجل من كبارهم بشهادة مؤرخهم؛ فانظر إلى حكم هذا الكبير على أمراء القاعدة حيث قال في كتابه «التعرية لكتاب التبرئة» (ص: ١٤): «يا معشر المسلمين هذه كلها خيارات مشروعة، والاختيار منها بحسب العلم والقدرة، **وابن لادن والظواهري ليسا من أهل العلم والفتوى ولا من أهل التقوى**، الذي يتقي الله لا يتسلق الجدران كاللصوص كي يصل إلى هدفه فيخون أميره ويغدر بعدوه ويجلب الكوارث على المسلمين، من فعل ذلك -كهؤلاء- لا يكون من أهل البر والتقوى، وهذا حكم ربنا فيهم لمن كان مؤمنًا به.

وأنا أعرفهم من عشرات السنين، فلا تغتروا بكلامهم وشبهاتهم، هل يفهمان في الفقه والجهاد مثل عُمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما؟ لا تدعوهم يستخفون بعقولكم، إنهم جُهال يستغلون العاطفة الإسلامية لدى الشباب مع قلة إلمامهم بالعلوم الشرعية، ولهذا تجد الظواهري من أشد الناس كراهية للكلام في الشروط والموانع وإظهارها للناس، مع أنها من أركان الحكم الشرعي كما في قاعدة (يترتب الحكم على السبب إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع)، إلا أن الظواهري لا يريد أن يعرف الشباب هذه العلوم الشرعية ليسهل عليه اصطيادهم وتحريضهم بخطبه الحماسية».

وقال في (ص: ٤٥): «يا معشر المسلمين نحن أمام طائفة من الجهال (ابن لادن والظواهري وأتباعهما) حملهم جهلهم على ابتداع مذهبٍ إجرامي يبرر القتل بالجملة، ويريدون فرضه على المسلمين ويهاجمون من ينتقدهم بأنه يخدم (الحملة الصليبية الصهيونية على الأمة الإسلامية)، ولقد نبه النبي ﷺ على أن الجهل بالدين من أعظم أسباب كثرة القتل وهذا هو ما يحدث في هذا الزمان، ويؤصل له الظواهري».

وقال في (ص٥٢): «إذا كان من المسلمين من يُفتتن بابن لادن والظواهري وبأمثالهما وتخفى عليهم جهالاتهما، فكيف سيثبت هؤلاء لفتنة المسيح الدجال».

وقال في (ص٥٥): «وقد رأيت في هذا الزمان ومن قبله أن بعض الجهال بالدين

كابن لادن والظواهري قد فرضوا أنفسهم موجهين ومعلمين للمسلمين، وهم ليسوا أهلًا لذلك، ويكفيك فيهم ما ذكرته في هذه المذكرة خاصة في الفصل الثاني منها، فأردت أن أحذرك منهم هنا».

وقال في (ص٥٣): «ثم ما جهاد ابن لادن؟ والله يا معشر المسلمين لقد انسحب من كل المعارك التي خاضها وأصحابه وحدهم بدون دعم من الأفغان أمام الشيوعيين بعد سقوط عشرات القتلى من الإخوة العرب، وكاد ابن لادن، نفسه أن يقع أسيرًا في إحدى المعارك. ولا تصدقوا من يقول إن العرب كان لهم أي دور عسكري مؤثر في الجهاد الأفغاني ضد الروس، هذه أكذوبة.

وما علم ابن لادن؟ في عام ١٩٩٤ بالسودان **كان هناك موضوع محل اهتمام ابن لادن، فأرشدته إلىٰ قراءة كتاب معين فيه، فقال لي: (إنه لا يطيق أن يكمل قراءة كتاب). أما خطبه فأتباعه يكتبونها له**».

وقال في (ص٨): «وقبل تعرية مغالطات الظواهري الفقهية، أحب أن أنبه القارئ إلى أن الأمر ليس مجرد رجل أخطأ في بعض المسائل الفقهية، وإنما نحن أمام تأسيس مذهب فاسد منحرف لتأصيل الإسراف في سفك الدماء، وسوف أذكر كيف نشأ هذا المذهب، وما هي أركانه مع الرد عليها إن شاء الله، وهذا المذهب الفاسد هو ما يطلق عليه البعض: فكر القاعدة».

وقال في (ص٢١): «وقارن ذلك بقول الظواهري إن اللفظ المذكور في الموسوعة لا ينص على أن التأشيرة أمان، لتعرف مبلغ الرجل من العلم وكيف حَمَله جهله بالشريعة على معارضة أحكامها المستقرة لتبرير غدر شيخه ابن لادن، رغم عدم ثقته به حتى أنه لم يخبره بعمليات الغدر (١١/ ٩) قبل وقوعها».

وقال في (ص١٣): «والظواهري بحصره الخيارات المشروعة للمسلمين مع أعدائهم في خيار واحد وهو استعمال القوة لا غير، هو كالطبيب الجاهل الذي لا يعرف من العلاجات إلا دواءً واحدًا يصفه لجميع المرضى من دون مراعاة لاختلاف

أحوالهم، فلابد من سقوط كثير من الضحايا بين يديه، فإذا رأى هذا الطبيب الجاهل طبيبًا آخر يصف أدوية مختلفة بحسب اختلاف حالات المرضى شنّع عليه بجهله واتهمه بأنه يروج أدوية أميركية من إنتاج المخابرات الأمريكية».

نقول: ونحن لسنا في حاجة إلى كلام هؤلاء الخوارج وحكمهم واعترافهم بأنهم جهال ليس فيهم علماء، فيكفينا ما نعلمه عن رسول الله ﷺ من أوصاف هؤلاء الخوارج، وما قاله الصحابة وعلماء الأمة سلفًا وخلفًا، ولكن هذا من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦].

ثانيًا: قوله: «**ونعري من سار علىٰ نهج الطاغوت**»...إلخ.

نقول: يقصدون بهذا الغمز واللمز علماء أهل السنة والجماعة؛ وهذا يذكرنا بالخوارج الأُوَل يكفرون الصحابة أهل العلم والدين ويوالون الجهلة الطغام، ومع ما مضى من اعترافات من مؤرخهم السوري فانظر إلى طعنهم في العلماء وخروجهم عليهم وصدق من قال: لا يخرجون على الأمراء إلا بعد الخروج على العلماء!

وإليك مصداقه من كلام أبي مصعب السوري في كتاب «دعوة المقاومة» (ص٦٣٧): «كانت المشكلة أن تلك الصحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدينية الرسمية وتخرجت على علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدينية تلك **وعلىٰ رأسها سيئا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دورًا مشينًا إلىٰ** جانب الحملات الغازية والحكومات العميلة القائمة في السعودية وغيرها. حتى ضج من بلاء هذه المؤسسة الكهنوتية كبار قادة المجاهدين والدعاة في السعودية ذاتها، بعد أن أفتت بزج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود، وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدريس والخطابة». اهـ.

وقال كلامًا كثيرًا من هذا القبيل في كتابه هذا! وفي غيره مما نقله عن شيخهم الجاهل ابن لادن في كتاب سماه «شهادة قادة المجاهدين ... على علماء السلطان في

بلادهم المسماة (سعودية)» وذكر فيه جملة من السب والشتم والطعن مما لا نحتمل سرده حفظًا لجناب هؤلاء العلماء الأكابر الذين بذلوا حياتهم في خدمة دين الله والجهاد في سبيله؛ جهاد الحجة والبيان، وهو أعظم الجهاد كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فانظر كم استفادة الأمة في معرفة دينها وعقيدتها وما نشر من دعوة التوحيد وبيان المنهج السديد على يد أولئك العلماء الكبار العظام، ومع ذلك يأتي أمثال هؤلاء الصغار الضلال حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام ويطعنون فيهم وفي دينهم وإخلاصهم، فماذا قدم هؤلاء الضلال للإسلام والمسلمين إلا سفك الدماء وانتهاك الحرمات والأعراض، وتهييج الكافرين على المسلمين؛ فبطشوا وأسروا وقتلوا الشيوخ والولدان واستحيوا النساء بسبب حماقات من هؤلاء زعموا أنها جهاد في سبيل الله، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا: إن كان هذا جهادًا فهو في سبيل الشيطان الذي يؤزهم، فهو في سبيل البدعة التي تسيرهم والله المستعان.

ولقد استمر هذا الخارجي في سلسلة الطعن والغمز واللمز والنبذ بالألقاب القبيحة للعلماء الذين كشفوا خارجيتهم وبينوا بدعتهم فيقول في (ص٧١٨): «جبهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحاكمية، وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعيين، ويدعو إلى احترام العلماء الرسميين ولاسيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثم (المدخلية)...».اهـ. نقول: جزاهم الله خيرًا لدعوتهم إلى نبذ فكر الخوارج، ودعوتهم إلى انتهاج نهج أهل السنة والجماعة!

ويقول هذا الخارجي في (ص٧٦٨): «السلفيون: والذين كان شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الذي يستمد انحرافاته من علماء السعودية الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية».اهـ.

ونقول: هذا لتعلم حقيقة هذا اللقب الذي رمي به أهل السنة وهي سنة أسلافهم من أهل البدع من رمي أهل السنة بالألقاب القبيحة.

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»

(ص١٠١): «رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلًا من الله ومنة، سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله؛ فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحرًا وبعضهم كاهنًا، وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا وبعضهم مفتريًا مختلقًا كذابًا، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بريئًا... وكذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره، ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته المعروفين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة زكية نقية». اهـ.

ونقول: سمانا بعضهم وهابية، وبعضهم جامية، وبعضهم مدخلية، ولا يلحقنا بإذن الله إلا أصحاب الحديث أهل السنة رغم أنف أهل البدع!

ولم يتوقف الأمر عند هذا المؤرخ لهؤلاء الخوارج، بل هذا أبو بكر البغداديّ رأس خوارج داعش الآن يقول في كلمة بعنوان «ولو كره الكافرون» عن العلماء بأنهم «سحرة مجرمون» وأنهم «علماء الطواغيت»، و«علماء السلاطين»، وأن فتاويهم «صادرة عن اليهود، ومعممة من الصليبيين». **وذلك حين وصفهم العلماء الربانيون في المملكة وغيرها بأنهم «خوارج مفسدون».**

ومن العجب -ولا عجب- أن إخوانهم من الخوارج كأبي محمد المقدسيّ وأبي قتادة الفلسطينيّ وغيرهم من كبار منظري التكفير يصمونهم -أي: داعش- بأنهم «خوارج مفسدون»! كما سيأتي - إن شاء الله- فهل أبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني من علماء السلاطين أيضًا عندكم؟!

يقول أبو عمر البغدادي:

«السادسَ عشرَ: نعرف لمن سبقنا بالجهاد حقّه، وننزله منزلته، ونخلفه بخير في أهله وماله.

السابعَ عشرَ: نرىٰ وجوب إنقاذ أسرىٰ وحريم المسلمين من أيدي الكافرين(١) بالغزو أو الفداء قال رسول الله ﷺ: «فكوا العاني» كما نرىٰ وجوب كفالة أسرهم وأسر الشهداء، قال عليه الصلاة والسلام: «من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا».

الثامنَ عشرَ: نرىٰ وجوب تعلم الأمة أمور دينها وإن فاتها بعض حظوظ الدنيا، ونوجب من العلم الدنيويّ ما احتاجت إليه الأمة، وما سوىٰ ذلك فهو مباح ما لم يخرج عن ضوابط الشرع الحنيف.

التاسعَ عشرَ: نرىٰ تحريم كل ما يدعو إلىٰ الفاحشة ويعين عليها كجهاز الستالايت ونوجب علىٰ المرأة وجوبًا شرعيًّا ستر وجهها والبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطهر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والله غالب علىٰ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أخوكم أبو عمر الحسينيّ القُرشيّ البغداديّ». اهـ.

---

(١) إن كان يقصد بالأسرى المعتقلين في ديار الإسلام فهذا راجع منهم إلى تكفيرهم للمسلمين وديارهم، وإن قصد بالأسرى من في أيدي الكفار الأصليين، فنقول: نعم هذا واجب على ولاة الأمور بحسب استطاعتهم، ويأثمون إن استطاعوا وقصروا، ولا يُجعل هذا للجماعات والتنظيمات فيصير الأمر فوضى كما هو حاصل ويحصل، ولا يتحصل المسلمون منه إلا على الشر أضعافا مضاعفة، سلم الله المسلمين في كل مكان.

نظرة عامة على ما سبق

بعد ما مضىٰ ذكره من بيان نشأة «داعش»، وبيان عقيدتهم؛ فإليك نظرة عامة على النشأة والاعتقاد، **فبالنسبة للنشأة:**

أولا: إن المتأمل فيما مضى ذكره من النشأة والأرض التي نبتت فيها «داعش»، والأفكار والمناهج التي كانت تسقي وتغذي هذه النبتة؛ يجد أن أصل الأصول عند هؤلاء القوم هو (الخلافة ومسألة الحكم)، المعروفة بينهم بـ«الحاكمية»، وأن جميع الحكام للبلاد العربية والمسلمة حكام كفرة، وأن الديار ديار كفر، بداية من المؤسسين كحسن البنا وسيد قطب، مرورًا بالمنظرين كعبد الله عزام وأبي محمد المقدسيّ وأبي قتادة الفلسطينيّ وغيرهم، إلى الجنود المجاهدين -جهاد البدعة والضلالة- كأسامة بن لادن وأيمن الظواهريّ وأبي عمر البغداديّ المؤسس لتنظيم الدولة، ثم أبي بكر البغداديّ الأمير الحالي لها[1].

حتىٰ قال أبو محمد العدنانيّ المتحدث الرسميّ باسمها قال: «تلك حقيقة الاستخلاف، **الذي مِن أجله خلقنا الله**، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم ...وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو **الغاية التي لأجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وسُلّت سيوف الجهاد**».اهـ.

ومعلوم عند أصغر طلبة العلم بل عند كثير من العوام أن أصل الأصول في منهاج النبوة والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل

(١) **قال أبو بكر البغداديّ في كلمة بعنوان «رسالة إلىٰ المجاهدين والأمة الإسلامية في شهر رمضان»:** «لقد انكسر المسلمون بعد أن سقطت خلافتهم ثم زالت دولتهم، فاستطاع الكفر إذلال المسلمين وإضعافهم والسيطرة عليهم في كل مكان... وذلك عن طريق غزوهم واحتلالهم وتنصيب حكام عملاء خونة».

ونصبت سوق الجهاد هي عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]، وهذا هو منهاج النبوة، لا منهاج هؤلاء الخوارج!

ثانيا: كما أننا نجد أن «داعش» و«جبهة النصرة» على منهج تنظيم القاعدة، وأنهما انبثقا منها، ثم هم جميعًا -أعني: داعش والنصرة والقاعدة- على منهج وعقيدة وفكر حسن البنا وسيد قطب والمودودي[(١)]، وهذا يبين لك حقيقة منهج الإخوان، وأثره في الأمة وقد قيل قديمًا: من آثارهم تعرفوهم!

والملاحظ أيضًا: أن مقصد تحقيق الخلافة عند هؤلاء جميعًا مقدم على مقصد تحقيق التوحيد! بل الملاحظ أن التوحيد والدعوة إليه لم يمر ذكرهما أصلًا! اللهم إلا أن التوحيد عندهم هو الحكم لله (توحيد الحاكمية)، وأن الشرك عندهم الحكم بغير ما أنزل الله! (شرك القصور) بزعمهم، فإذا علمت ذلك فلا تغفل عن أن مقصد الدعوة عند الأنبياء وفي منهاج النبوة هو تحقيق التوحيد وتعبيد الناس للعزيز المجيد فيعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فانتبه![(٢)].

---

(١) **يقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٦٨٩)**: «الجماعات الجهادية الحركية: ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أسس الولاء والبراء والحاكمية، والذي كان من أوائل وأعظم منظريه الشهيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان».

(٢) وانظر في ذلك الكتاب القيم للشيخ المجاهد بحق -جهاد الحجة والبيان- ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل» وقد قدم له فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-.

وقال في هذه المقدمة: «من هؤلاء الذين بينوا ونصحوا فضيلة الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي في هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو بعنوان: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل» فقد بين- وفقه الله وجزاه خيرًا- منهج الرسل في الدعوة إلى الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وعرض عليه منهج الجماعات المخالفة ليتضح الفرق بين منهج الرسل وتلك المناهج المختلفة والمخالفة لمنهج

ثالثا: كذلك نجد أن الخلاف الحاصل بين «جبهة النصرة» و«داعش» ليس خلافًا عقديًّا ولا منهجيًّا، وإنما كل يرى أنه صاحب الولاية على أرض الشام! وأنهما -على ما يقع بينهما من قتال- على منهج وعقيدة واحدة، فهما وجهان لمنهج واحد.

قال أبو قتادة الفلسطيني الخارجي -هداه الله-: «وما فعلته جماعةُ (الدولة) هو إذهاب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة جماعات الجهاد -أي: جماعة القاعدة- إلى الدم الصريح وإعطاءِ هذا السفكِ للدم الحرام صفةَ الشرعيةِ حيث سنجد فقه (البغاة) كما **أعلن الجاهلُ المركبُ العدنانيُّ في بيانه هذا**؛ حيث حذَّر من شق عصا الطاعة، وأن حكمَها الدمُ والقتلُ، بل سنجدُ كلابَ أهلِ النار يكفرون المخالفَ لإمامهم وأميرهم كما فعل أشياعُهم القدماءُ وجماعةُ (الخلافة)، وسيكونُ هذا في هؤلاء كذلك، وإن كان مثل هذه الأمور لا تَظهر رأسًا بل تتسللُ تباعًا كما رأينا منهم ذلك قبل إعلان الخلافة؛ **إذ كان خلافهم مع جبهة النصرة علىٰ الإمارة والقيادة ثم تحوَّل تباعًا إلىٰ التكفير واستحلال الدماء**، ومن قرأ تاريخَ الجماعاتِ فلن يتعجبَ من تلبيس الأهواء أدلةَ الشرعِ والدين فهذا أسهلُ ما يأتيه هؤلاء»[1].

وإذا علمنا ذلك فإن مما لا ينبغي الغفلة عنه: ما وقع بين هؤلاء من الاقتتال في الأشهر الحرم، التي حرم الله فيها جهاد الكفار -جهاد الطلب- وما وقع بينهما من اقتتال ليس جهادًا للكافرين أصلًا فضلًا عن أن يكون جهاد دفع، وإنما هو قتال بين طائفتين من المسلمين فإن كلًّا من «داعش» و«جبهة النصرة» يصرحان بأنهما لا يكفر بعضهما بعضًا؛ وعليه فالقتال الحاصل بينهما في الأشهر الحرم هو كبيرة من الكبائر، فهل تقوم الخلافة الراشدة على مخالفة ومعصية أمر الله رب العالمين؟!

الرسل، وناقش تلك المناهج مناقشة علمية منصفة مع التعزيز بالأمثلة والشواهد، فجاء كتابه -والحمد لله- وافيًا بالمقصود، كافيًا لمن يريد الحق، وحجة على من عاند وكابر، فنسأل الله أن يثيبه على عمله، وينفع به وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه». اهـ.

(١) «ثياب الخليفة» (ص٨).

ونقف هنا على أمر مهم جدًّا، وهو أنه إذا ثبت -وقد ثبت- أن داعش قد خرجت من رحم تنظيم القاعدة، فإننا نعلم بذلك أن أبا محمد العدناني المتحدث الرسمي الذي هو لسان تلك الدولة أو الخلافة، قد وقع في الكذب حين نفى تبعية تنظيم الدولة لتنظيم القاعدة! وقد ثبت بكلامه هو وكلام غيره -كما مر- أن قادة تنظيم القاعدة هم قادتهم، وأن أمراء تنظيم القاعدة هم أمراؤهم، فيكون قد وقع في الكذب، والكذب من علامة النفاق! ويهدي إلى الفجور! فكيف يكون لسان «الخلافة الراشدة» كذابًا؟!

إذا كان رب البيت بالإفك ناطقا ... فشيمة أهل البيت كلهم الكِذْب

رابعا: كذلك يلاحظ كثرة الخلاف بينهم والشقاق والانشقاق! وما هو إلا نتاج مخالفة منهاج النبوة، ألم يقل جل وعلا مخاطبًا رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧]، فكل من خالف منهاج الرسول وأصحابه كانت ألفته الشقاق! ومهما أظهروا الوفاق فما هم إلا في فراق، وافتراق!

وإذا تجاوزنا النشأة وصولًا إلى العقيدة نلحظ:

أولا: أن أبا عمر البغدادي عبر عما قاله في بيان عقيدته بقوله: «فهذه بعض ثوابتنا»؛ وعليه فكل ما قال وبيَّن هو من الثوابت والقواعد التي يقوم عليها بنيانهم ومنهاجهم، ومعلوم أن العقيدة لا يجوز ولا يقبل ولا يسوغ الخلاف فيها، وأن الخلاف فيها هو خلاف ضلال وهدى، فانتبه لذلك.

ثانيا: ومما يلاحظ أيضًا: أنه ساق هذه العقيدة وتلك الثوابت بثوب مجمل؛ فمثلًا لم يفصل ما هي مظاهر الشرك؟ وما هي وسائله؟! ومعلوم أن الإجمال لا يفي ولا يصلح في مثل هذه الأمور لاسيما أمور العقيدة! إذ أكثر الناس يتفقون عند المجملات، وأما الخلاف فلا يأتي إلا عند التفصيل، وإلا فإن النصارى يتفقون معنا على تحريم مظاهر الشرك، ولكن ما هو الشرك؟ هل عبادة المسيح الذي في اعتقادهم

ابن الله تعد شركًا؟! والصوفية من عباد القبور كذلك يفعلون، يحرمون الشرك، ولا يرون أن دعاء المقبورين والنذر والذبح لهم شركًا...إلخ.

ولكننا إذا رجعنا إلى الأب الروحيّ لتلك الجماعات، والمنظِّر لها وهو سيد قطب، وبيانه لحقيقة الشرك ومظاهره، وهو الحكم بغير ما أنزل الله -بزعمه-! علمنا المقصود من كلام أبي عمر البغداديّ!

ثالثا: كذلك نجد أن أول ما بدأ به أبو عمر البغداديّ عقيدته وثوابته هو: «وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله» ثم عقب ببيان كفر الروافض، ثم بيان كفر الساحر، وهذا وإن كان حقًّا إلا أن عليه عدة ملاحظات:

الأولىٰ: أنها وإن كانت كلمة حق في الظاهر، فإنها لا تكفي وحدها في التدليل على أن قائلها والمتكلم بها على الحق المبين، فإن النبيّ ﷺ قال في شرار الخلق وهم الخوارج: «**يقولون من قول خير البرية**».

كذلك لما خرج هؤلاء الخوارج على عليٍّ رضي الله عنه وقالوا: «لا حكم إلا لله» قال علي رضي الله عنه: «كلمة حق أريد بها باطل».

الثانية: أنه لم يبدأ ببيان وجوب التوحيد وتفاصيل ذلك، فإن النهي عن الشرك لا يكفي في بيان دعوة التوحيد؛ إذ الأنبياء لم يأتوا إلى قومهم بقول: «لا تشركوا»، وإنما بقول: ﴿**ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ**﴾ فمبنى دعوتهم على أصلين: التأصيل والتحذير، التأصيل للتوحيد؛ والتحذير من الشرك؛ ولذلك فإن كلمة التوحيد تقوم على ركني: النفي والإثبات، فلم تكن نفيًا فقط ولا إثباتًا فقط!

وهكذا في كل أمر من أمور هذا الدين فتأمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمَن نهى عن المنكر أو انتهى عنه ولم يأمر بالمعروف أو يأتمر به فمذموم مردود.

وفي اتباع السنة والتحذير من البدعة، من حذَر البدعة وحذَّر منها، ولم يتبع السنة أو يدعو إليها فمذموم مردود.

والشاهد أن الإنسان قد لا يكون مشركًا، ومع ذلك لا يكون موحدًا، وإنما

يكون مثلًا ملحدًا كافرًا، فالملحد وإن لم يكن مشركًا مع الله! فإنه ليس بموحد لله ولا عابدًا له، وإنما هو كافر به!

الثالثة: أن أبا عمر البغداديّ لم يبين لنا عقيدته في الله وصفاته، لم يبين لنا عقيدته في القضاء والقدر، لم يبين لنا عقيدته في الشفاعة، لم يبين لنا عقيدته في الميزان، لم يبين لنا عقيدته في الغيبيات... إلخ، ولا شك أنه في مقام بيان عقيدة الدولة الإسلامية أو الخلافة الراشدة التي يؤثمون من لم يدخل فيها لتخلفه عن واجب العصر -كما زعموا-، وإذا كان ذلك كذلك، فلابد لمن أرد أن يدخل في هذه الدولة أن يكون على بصيرة من أمره.

الرابعة: أنها عقيدة هدم لا بناء، فيها[1] ونذارة لا بشارة فيها، فبدأ بهدم مظاهر الشرك، كفر الروافض، كفر الساحر، كفر وردة من أمد المحتل ... إلخ فأين التأصيل والبناء، وهذا يبين لك المشرب والمنظار الذي ينظر منه هؤلاء!

وإذا كانت هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، فإن منهاج النبوة يقوم على البشارة والنذارة كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

وهذا حال النبي ﷺ في مكة وما قام فيها سنين عددًا يدعو إلى التوحيد مبشرًا ومنذرًا؛ فإن كان الكفر قد عم على البشرية والجهل قد غلب على حال الناس، فأين منهاج النبوة من الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أمر دينهم عشرين سنة حتى فتح مكة!

رابعا: وإذا أعدت النظر في عقيدة «داعش» وجدت أنهم يكفرون كل حكام بلاد

(١) **يقول سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/ ١٤٥١)**: «غاية الجهاد في الإسلام، هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة.. مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام. غير منحصرة في قطر دون قطر، بل مما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة..

هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره...»

المسلمين وأن جيوشها جيوش كفر وردة وأن قتالهم أوجب من قتال الصليبيين![1]، وأن الديار تكون ديار كفر أو إسلام بحسب شرائعها وقوانينها!

وهذا لا شك امتداد لعقيدة سيد قطب التي سبق الإشارة إليها في النشأة، وتطبيق لما سبق ذكره من أن أصل الأصول عندهم هو مسألة الحكم، وهي أيضًا سبب نشأة الخوارج والأصل المتفق عليه عندهم كما سيأتي -إن شاء الله-، ولكن تذكر ذلك جيدًا فسنحتاج العودة إليه!

كذلك تجد أنهم جعلوا الحكم بغير ما أنزل الله من نواقض الإسلام بإطلاق من غير تفصيل، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا عين ما فعلته الخوارج الأول كما سيأتي -إن شاء الله-.

ويلاحظ أن الاستدلال بالكتاب والسنة في بيان عقيدته قليل! ومعلوم أن العقيدة ليس إلا كتاب وسنة! وهو مع قلته في غير موطنه وبعيد عن فهم السلف،

---

(١) حتى قال قائلهم فيما نشر عبر وسائل الإعلام عامة ووسائلهم خاصة تحت عنوان «صولة الأنصار» [والحق أنها صولة الفجار!] قال: «والطريق بدا واضحا بيّن [كذا] أنه لا تحرير لبيت المقدس حتى تطهر الأرض من العملاء في مصر؛ جند السيسي عملاء اليهود»اهـ وهذا على ما عرف بينهم بنظرية «العدو القريب قبل العدو البعيد»! ونحن نقول لقد بدا الطريق واضحا بيِّنًا أنه لا تحرير لبيت المقدس حتى تطهر الأرض من المعاصي والبدع والشرك! نسأل الله أن يحفظ مصر وأهلها من كل سوء وأن يوفق ولاة أمورها لما يحب ويرضى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبمناسبة ذكر صولة الفجار هذه؛ وما كان حولها من هالة وفرح من الخوارج بما حدث فيها واعتباره نصرا مؤزرا وجهادا في سبيل الله أن أصابوا غرة جبانة غادرة وطعنوا الجنود المصريين من الخلف ومقراتهم فارغة إلا من بعض الحراس ولو كانوا شجعانا لأنذروهم؛ ولكنها شنشنة الخوارج وديدنها! والأمر كما قال أبو محمد العدناني المتحدث باسم الخوارج: «يا من وقعتم على قتال المجاهدين لا تغتروا إن أصبتم منا غرةً جبانةً غادرة فقد طعنتمونا من الخلف ومقراتنا فارغةٌ إلا من بعض الحراس ولو كنتم شجعانًا لأنذرتمونا ولكنها شِنشنة الصحوات وديدنها» اهـ من كلمة بعنوان «والرائد لا يكذب أهله».

والغدر حرام حتى بالعدو الكافر والأدلة على ذلك كثيرة جدا.

وما ذلك إلا لأن هؤلاء الخوارج لم يتربوا على التزام الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة يحسبون القرآن لهم وهو عليهم!

خامسا: والملاحظ أيضًا فيما مر بيانه من نشأة وعقيدة «داعش»: أنها مشتملة على إجمال، وعلى حق وباطل، واستدلال بعمومات الكتاب والسنة، وهذا لا يخوِّل ولا يعطي لها الحكم بالحقية المزعومة! بل العكس بها أولى ولها ألزم.

ومعلوم أن البدعة: إجمال مكون من حق وباطل! واستدلال بعمومات الكتاب والسنة.

كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم، التي هي في الحقيقة جهليات، إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة، تحتمل معاني متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى، والإجمال في اللفظ يوجب تناولها بحق وباطل، فبما فيها من الحق يَقْبَلُ -مَن لم يُحِطْ بها علمًا- ما فيها من الباطل، لأجل الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء، وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا، وهو منشأ البدع كلها، فإن البدعة لو كانت باطلًا محضًا لَمَا قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها، ولو كانت حقًّا محضًا لم تكن بدعة، وكانت موافقة للسنة، ولكنها تشتمل على حق وباطل، ويلتبس فيها الحق بالباطل، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. فنهى عن لبس الحق بالباطل وكتمانه، ولبسه به خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر، ومنه التلبيس، وهو التدليس والغش، الذي يكون باطنه خلاف ظاهره، فكذلك الحق إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بلفظ له معنيان: معنى صحيح، ومعنى باطل، فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح، ومراده الباطل، هذا من الإجمال في اللفظ.

وأما الاشتباه في المعنى فيكون له وجهان، هو حق من أحدهما، وباطل من الآخر، فيوهم إرادة الوجه الصحيح، ويكون مراده الباطل، فأصل ضلال بني آدم

من الألفاظ المجملة، والمعاني المشتبهة، ولا سيما إذا صادفت أذهانًا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب؟ فسل مثبت القلوب أن يثبت قلبك على دينه، وألا يوقعك في هذه الظلمات»[١].

سادسا: تنبيه مهم جدًّا:

لقد حاول أبو عمر البغداديُّ جاهدًا لا مجاهدًا -كما يحاول غيره من الخوارج قديمًا وحديثًا- أن يَظهر للمسلمين في صورة حسب أنها تبعده عن صورة الخوارج؛ فذكر أمورًا ظن أنها فارقة بين مذهب أهل السنة والخوارج؛ ولكنها في الحقيقة قد قال بها بعض الفرق من الخوارج قديمًا وموَّهوا بها؛ فلم تخرجهم عن كونهم خوارج ضالين من الدين مارقين؛ وذلك كعدم تكفير بعضهم للزاني والسارق وشارب الخمر ونحو ذلك، أو تقسيم الكفر إلى كفرين! واشتراط إقامة الحجة على المخالف، والعذر بالجهل، ونحو ذلك حتى قال بعضهم بعدم تكفير مرتكب الكبيرة كفرًا يخرج من الملة؛ كما سيأتي-إن شاء الله تعالى- بيانه بوضوح[٢].

وبعد هذه النظرة العامة في نشأتهم وعقيدتهم، وبعد معرفة أن أصل الأصول عندهم مسألة الحكم والخلافة، فلنا عدة وقفات مع الخلافة.

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٢٥).

(٢) فصل بيان مقالات الخوارج، والأصل الذي أجمعوا عليه، من هذا الكتاب.

وقفات مع الخلافة

لقد مضى أن سبب ظهور هذه الجماعات والتنظيمات هو سقوط الدولة العثمانية التي يسمونها خلافة(١)، أملاً منهم في عودتها على أيديهم(٢)، وجعلوا ذلك رأس منهاجهم وعمود فسطاطهم، بل جعله العدناني الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل! كما مرّ النقل عنه.

وهنا لنا عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: حقيقة الخلافة:

إن الخلافة الراشدة في الإسلام ليست مجرد لقب أو اسم يلقب أو يسمى به رجل من المسلمين، وإنما هي حقيقة لها أركانها وشروطها، وكل شيء لابد له من حقيقة وإلا كان عدمًا، ولو لم يكن الأمر كذلك لاستطاع كل أحد أن يدعي ما يدعيه بلا حقيقة! وأظهر مثال على ما نقول هو: الروافض؛ وذلك في ادعائهم الإمامة في معدوم أو موهوم لا حقيقة له.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخليفة الفعيلة من قولك: خلف فلان فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده. كما قال جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤]، يعني بذلك: أنه أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم.

(١) الخلافة عند هؤلاء لا تكون خلافة إلا إذا كانت راشدة، وليس مجرد الملك العام على جميع المسلمين، وإلا فمجرد الحكم بغير ما أنزل الله يخرجها من دائرة الإسلام فضلا عن أن تكون خلافة وذلك على مقتضى قواعدهم وعقائدهم، وسيأتي تحرير مصطلح الخلافة قريبا -إن شاء الله- .

(٢) ونحن نحب ذلك ولا نعاديه -كما مر في ذكر النشأة-، ولكن ما يصنعونه إضاعة لمقومات الخلافة التي لا تكون إلا على منهاج النبوة وهم بمبعدة عنها، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة، لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلَفًا. يقال منه: خلف الخليفة، يخلُف خِلافة وخِلِّيفَى»[١].

إذن فخلفاء النبي هم من قاموا مقامه، وساروا على نهجه، وهذه هي حقيقة الخلافة التي تكون على منهاج النبوة.

إن الخلافة إنما وردت في نصوص الكتاب والسنة مقيدة بمعنى إذا تحقق هذا المعنى تحقق الاسم، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص: ٢٦]، فمقتضى الخلافة الحكم بالحق والعدل بين الناس أي: بالوحي والنبوة، وهو حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية».اهـ.

ولهذا فرق النبي ﷺ بين الخلافة وبين الملك سواء كان عضوضًا أو جبريًّا بأن الخلافة تكون على منهاج النبوة، فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة**» ثم سكت[٢].

وكذلك ما رواه سفينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا**» ثم يقول سفينة: أمسك: خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٣)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥).

عشرة وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستة[(١)].

فهذا قدر مكتوب أخبر عنه النبي ﷺ!

فإن قال قائل: قد صح عن النبي ﷺ قوله: «**لا يزال هذا الأمر عزيزًا ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»[(٢)]، فقد سمى ما بعد الخلافة الراشدة خلفاء.

نقول:

أولًا: قد جاءت الرواية في صحيح البخاري «**يكون اثنا عشر أميرًا**»[(٣)]، فيكون هذا من باب التصرف من الرواة، لاسيما وقد جرى اصطلاح الناس على ذلك فيمن ليسوا بخلفاء؛ فضلًا عن أن يكونوا على منهاج النبوة، كما تسمى العبيديون بالخلفاء وهم كذبة أدعياء.

ثانيًا: أن المقصود بالخلافة في الحديث الأول خلافة على منهاج النبوة، وليست أي خلافة، وهذه تكون في أول عهد الإسلام، ثم تكون في آخر الزمان على الوصف الذي وصفه رسول الله ﷺ، وما يقع بينهما ما هو إلا الملك سواء كان عاضًّا أو جبريًّا، وإن تسمى بالخلافة فليست على منهاج النبوة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين «خلفاء» وإن كانوا ملوكًا؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر**»؛ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوا ببيعة الأول فالأول؛ ثم أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

فقوله: «**فتكثر**» دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيرًا.

وأيضًا قوله: «**فوا ببيعة الأول فالأول**» دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٠، ٢٢١)، وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (٥٣٩٥) وغيرها.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (١٨٢١).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٢٢٢).

يختلفوا.

وقوله: «**فأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**» دليل على مذهب أهل السنة؛ في إعطاء الأمراء حقهم؛ من المال والمغنم»(١).

وقد أورد الإمام ابن القيم الحديثين ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإن قيل**: فكيف الجمع؟

قيل: لا تعارض بين الحديثين؛ فإن الخلافة المقدرة بثلاثين سنة هي خلافة النبوة كما في حديث أبي بكرة ووزن النبي ﷺ بأبي بكر ورجحانه وسيأتي، وفيه فقال النبي ﷺ: «**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**» وأما الخلفاء الاثنا عشر فلم يقل في خلافتهم إنها خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء وهو مشترك واختص الأئمة الراشدون منهم بخَصِيصة في الخلافة وهي خلافة النبوة وهي المقدرة بثلاثين سنة؛ خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر واثنتين وعشرين يومًا، وخلافة عمر بن الخطاب عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال، وخلافة عثمان اثنتي عشر سنة إلا اثني عشر يومًا، وخلافة علي خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يومًا وقتل علي سنة أربعين فهذه خلافة النبوة ثلاثون سنة.

وأما الخلفاء اثنا عشر؛ فقد قال جماعة -منهم أبو حاتم ابن حبان وغيره-: إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعة ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته على رأس المائة وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون، وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة، ثم وقع ما وقع.

والدليل على أن النبي ﷺ إنما أوقع عليهم اسم الخلافة بمعنى الملك في غير خلافة النبوة قوله في الحديث الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة: «**سيكون من بعدي خلفاء يعملون بما يقولون ويفعلون ما يؤمرون، وسيكون**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٠).

من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يقولون ويفعلون ما لا يؤمرون، من أنكر برئ ومن أمسك سلم، ولكن من رضي وتابع»[(١)].

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا ينافي مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة، فهؤلاء هم المعنيون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح... قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز تسمية مَن بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكًا؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء»[(٢)] »[(٣)]، فتبين لك أنها تسمية اصطلاحية.

فضلًا عن أن ما ورد في صفة الاثنى عشر خليفة أمران ذكرهما الحافظ في «الفتح»؛ فقال: «... وقد عرفت من الروايات التي ذكرتها من عند مسلم وغيره: أنه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم وهو كون الإسلام عزيزًا منيعًا، وفي الرواية الأخرى صفة أخرى وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس كما وقع عند أبي داود»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنهم -أي: ملوك بني أمية- استولوا على جميع المملكة الإسلامية، وقهروا جميع أعداء الدين، وكانت جيوشهم جيشًا بالأندلس يفتحه، وجيشًا ببلاد الترك يقاتل القان الكبير، وجيشًا ببلاد العبيد، وجيشًا بأرض الروم، وكان الإسلام في زيادة وقوة، عزيزًا في جميع الأرض؛ وهذا تصديق ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا ما تولىٰ اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»[(٥)].

وكل ذلك يبين لك بطلان دعوى أن الدولة العثمانية كانت خلافة نبوة، بل حتى لم تكن ملكًا عضوضًا؛ وإنما ملكًا جبريًّا، ولا تحكم بما أنزل الله كما سيأتي بيانه؛

---

(١) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١١/ ٢٤٣)، مع «عون المعبود».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٠)

(٣) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٢٧).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٢١١).

(٥) «منهاج السنة» (٨/ ٢٤٠).

فما وجه التباكي عليها ممن يكفر من لم يحكم بما أنزل الله تعالى؟!

وكذلك يبين هذا بطلان ادعاء «داعش» أنهم دولة الخلافة الراشدة؛ لأنهم لا يستحقون هذا الوصف -أعني: الخلافة- لا لأنهم خوارج فحسب؛ بل لأن هذا الاسم والوصف لابد له من حقيقة -كما مر- فإن هؤلاء يشبه حالهم حال من يضع العربة قبل الحصان!!.

«فإن قال قائل: إن اسم الإمارة واقع بلا خلاف على من ولي جهة من جهات المسلمين، وقد سمي بالإمارة كل من ولاه رسول الله ﷺ جهة من الجهات أو سرية أو جيشًا، فما المانع من أن يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين؟

فجوابنا وبالله تعالىٰ التوفيق: أن الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا قائمًا؛ فهو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم، فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبًا، لأن هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك، وإنما هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز ألبتة أن يوقع اسم الإمامة مطلقًا ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القرشي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم، أو الواجب له ذلك... وكذلك اسم الخلافة بإطلاق لا يجوز أيضًا إلا لمن هذه صفته وبالله التوفيق»[(١)].

الوقفة الثانية: حقيقة الخلافة العثمانية:

إن هذه الخلافة -نعني العثمانية- لم تكن إلا مجرد تسمية لا حقيقة لها، فضلًا عن أن تكون خلافة نبوة لا سيما في آخر عهدها؛ فإنها كانت تتبنى العقيدة الصوفية وتنشر الشرك وتحارب التوحيد، فلم تكن خلافة حقيقة لأنها ليست على منهاج النبوة، وإنما هي ملك جبري، ولكن التباكي من الإخوان وأتباع هذه التنظيمات عليها وتصويرها بصورة الخلافة وراءه ما وراءه مما سيأتي بيانه -إن شاء الله- من لهثهم خلف السلطة والإمارة = «الحاكمية»[(٢)].

---

(١) بتصرف يسير واختصار من «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٧٥).

(٢) فاللهث الفكري خلف هذا المصطلح (الحاكمية) خَلْفه شبق سياسي وغرام بالكراسي.

قال أبو مصعب السوري: «ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها، وحملت راية الجهاد دفعًا وطلبًا في مواجهة دول وممالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القسطنطينية.

ومهما كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية، إلا أن مما لا شك فيه أنها كانت امتدادًا لدولة الإسلام ورايته وحضارته، وامتدادًا لمسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولة العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوربية سنة ١٩٢٤م»[(١)] .اهـ.

إن الخلافة أو الإمامة العظمىٰ هي: حمل الكافّة على مقتضى النّظر الشّرعي في مصالحهم الأخرويّة والدُّنيويّة الرّاجعة إليها؛ إذ أحوال الدّنيا ترجع كلّها عند الشّارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به، كذا عرفها ابن خلدون[(٢)] .

وأما الماوردي فقال: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع»[(٣)] .

فإذا علمت ذلك فاعلم بطلان تلك الدعوى -أعني: دعوى أن الدولة العثمانية كانت خلافة- لأنها لم تكن تحرس الدين ولا تسوس الدنيا به، بل كانت تسوس الدنيا بالتصوف والخرافات، وتحارب التوحيد والدعوة إليه، وكانت تحكم بالقوانين ومن سلاطينها من سمي بذلك، وهو: «سليمان القانوني»[(٤)] ، وعليه فيلزم على قولهم بالحاكمية: أنهم كفار، فكيف يدعون أنها كانت خلافة؟!

بل قال الإمام سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلىٰ والي بغداد: «وأما

---

(١) «دعوة المقاومة»، (ص ٣٥٨).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (١/ ٢٣٩) ط: دار الفكر، بيروت.

(٣) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ١٥)، ط:دار الحديث، القاهرة.

(٤) وسمي بذلك لإدخاله القوانين الأوربية في حكمه!

قولكم: فنحن مسلمون حقًّا، وأجمع على ذلك أئمتنا أئمة المذاهب الأربعة، ومجتهدو الدين والملة المحمدية.

فنقول: قد بيَّنا من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام أتباع الأئمة الأربعة، ما يدحض حجتكم الواهية، ويبطل دعواكم الباطلة، وليس كل من ادعى دعوى، صدقها بفعله؛ فما استغنى فقير، بقوله: ألف دينار، وما احترق لسان، بقوله: نار، فإن اليهود أعداء رسول الله ﷺ قالوا لرسول الله لما دعاهم إلى الإسلام، قالوا: نحن مسلمون، إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى المسيح، وقالت: النصارى مثل ذلك؛ وكذلك فرعون، قال لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وقد كذب وافترى في قوله ذلك.

وحالكم، وحال أئمتكم، وسلاطينكم تشهد بكذبكم وافترائكم في ذلك، وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام اثنين وعشرين، رسالة لسلطانكم: سليم، أرسلها ابن عمه، إلى رسول الله ﷺ يستغيث به، ويدعوه، ويسأله النصر على الأعداء، من النصارى وغيرهم؛ وفيها من الذل، والخضوع، والعبادة، والخشوع، ما يشهد بكذبكم. وأولها: «من عُبَيدِك السلطان سليم، وبعد: يا رسول الله، قد نالنا الضر، ونزل بنا من المكروه ما لا نقدر على دفعه، واستولى عباد الصلبان على عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم، والعون عليهم، وأن تكسرهم عنا»، وذكر كلامًا كثيرًا، هذا معناه وحاصله.

فانظر إلى هذا الشرك العظيم، والكفر بالله الواحد العليم، فما سأله المشركون من آلهتهم؛ العزى واللات، فإنهم إذا نزلت بهم الشدائد، أخلصوا لخالق البريات.

فإذا كان هذا حال خاصتكم، فما الظن بفعل عامتكم، وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم كتبًا كثيرة، في الحجرة، للعامة والخاصة، فيها من سؤال الحاجات، وتفريج الكربات، ما لا نقدر على ضبطه...»[(١)].

(١) انظر «الدرر السنية» (١/ ٣٠٣).

وأما آخر سلاطينهم السلطان «عبد الحميد الثاني» الذي يثني عليه الإخوان، وهذه الجماعات ومن على شاكلتهم ويمجدونه بدعوى أنه رفض بيع فلسطين، فقد كان صوفيًّا شاذليًّا محترقًا، وقد نشروا وثيقة في ذلك عبارة عن رسالة منه إلى شيخ الطريقة الشاذلية محمود أبي الشامات، يقول في مطلعها: «أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، وإلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجيًا دعواته الصالحة. بعد تقديم احترامي أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ في (٢٢) مايس من السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلًا ونهارًا، وأعرض أنني ما زلت محتاجًا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة».

فانظر إلى ثنائهم على عدم بيع فلسطين وتعاميهم عن الكفر والشرك المبين[(١)]، ولا عجب فقد كان شيخهم ومؤسسهم صوفيًّا حصافيًّا، يتهاون في الشركيات؛ ولذلك أذنابهم يهونون من شرك القبور ويعظمون ما يسمونه شرك القصور![(٢)].

فهذه هي حقيقة الدولة العثمانية وحقيقة خلافتها، فليست خلافة على منهاج النبوة وإنما هي ملك جبري فانتبه لذلك رحمنا الله وإياك.

الوقفة الثالثة: الخلافة الراشدة في آخر الزمان، والمهدي:

إن الخلافة على منهاج النبوة في آخر الزمان لن تكون إلا بعد نهاية الملك الجبري ونهايته على يدي المهدي، وهذا ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة في هذا الباب، ومن

---

(١) وليس في هذا تكفير لهم؛ ففرق بين كفر النوع وكفر التعيين.

(٢) ومن هؤلاء هذا الداعية إلى الضلال «محمد حسان» الذي هون من التحذير من شرك القبور، وادعى أنه لا وجود له في واقع الدعاة، وأن الواجب إذا أراد أن يحذر منه أن يمر عليه مرورًا سريعًا وألا يستغرق محاضرة أو خطبة! وقد رد عليه العلامة الفوزان وقال عن كلامه: «لا يقوله إلا جاهل أو منافق»، ويمكنك سماعه عبر الشبكة بعنوان: «العلامة الفوزان يقول عن كلام محمد حسان لا يقوله إلا منافق».

قام بجمع الروايات الواردة في هذا الشأن تبين له ذلك.

فأما أن الخلافة الراشدة في آخر الزمان لن تكون إلا بعد الملك الجبري: فقد دل على ذلك حديث النبي ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة**». ثم سكت[(١)].

فقد بين ﷺ أن أول الخير في هذه الأمة هي النبوة التي أنزلت عليه ﷺ، ثم يتبعها خلافة على منهاج هذه النبوة، ثم يتبعها ملك عاض، ثم يتبعه ملك جبري، ثم تتبعه خلافة على منهاج النبوة، فلا يسبق هذه الخلافة الأخيرة التي هي على منهاج النبوة إلا الملك الجبري، ولن يلحق هذه الخلافة شيء، إذن فالخلافة على منهاج النبوة تكون في آخر الزمان، وكل ما كان قبل هذه الخلافة فليس إلا ملكًا جبريًّا مهما سماه أتباعه وأنصاره بأسماء أو وصفوه بأوصاف فهو ملك جبري!

ومما يتصف به هذا الملك الجبري الظلم والجور الذي يملأ الأرض شيئًا فشيئًا حتى يخلص الله عباده الصالحين منه بأن يبعث فيهم رجلًا من نسل النبوة يتفق اسمه مع اسم جده ﷺ فيملأ هذه الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وذلك ما جاء في الحديث الصحيح: «**لتملأن الأرض جورًا وظلمًا، فإذا ملئت جورًا وظلمًا، بعث الله رجلًا مني، اسمه اسمي، فيملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت جورًا وظلمًا**»[(٢)].

فدل هذا الحديث على أن العدل والقسط الذي هو من لوازم الخلافة الراشدة لن يكون إلا على يد المهدي، وأنه لا يسبق بعثته -أي: المهدي- إلا الجور والظلم، اللذان لا يمكن بحال من الأحوال أن يكونا صفة لخلافة على منهاج النبوة! إذن فما

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٥).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (١٥٢٩).

سبق المهدي من حكم -وإن سماه أنصاره خلافة- فليس إلا ملكًا جبريًّا.

قال العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الخلافة ستكون لابد، ولكنها بقدر الله متى شاء أن تحصل حصلت، وقد دلت الأدلة على أنها ستكون على يدي المهدي الذي يوطِّئ لنزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام»(١).

فإن قيل: فإن ثمة أحاديث تدل على وجود خلفاء يعز في عهدهم الإسلام ويكون قويًّا منيعًا، وهم قبل المهدي، كحديث: «**لا يزال هذا الأمر عزيزًا ما تولىٰ اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»(٢).

وقد سبق الجواب عن هذا الإشكال في الوقفة الأولى حول حقيقة الخلافة، ولكن ننقل شيئًا مما سبق -باختصار- مع بعض الإضافات التي لا تغني عن الرجوع إلى ما سبق، فنقول:

إن هذا الحديث ولو سماهم خلفاء؛ فإنها ليست خلافة على منهاج النبوة، وإنما هي مجرد تسمية والحقيقة أنها ملك دل على ذلك:

أولًا: حديث النبي ﷺ: «**سيكونُ بعدي خلفاءُ يَعملونَ بما يَعلمونَ، ويَفعلون ما يُؤمرُونَ، وسيكونُ بعدي خلفاءُ يَعملونَ بما لا يَعلمون، ويَفعَلون ما لا يُؤمرونَ، فمن أنكرَ عليهم برِئَ، ومن أمسك بيده سلم، ولكنْ من رضِيَ وتابع**»(٣).

فقد سمى هؤلاء الحكام الذين يَعملونَ بما لا يَعلمون ويَفعَلون ما لا يُؤمرونَ خلفاء، ولا شك أن هذه صفات تنافي صفات الخلافة الراشدة، وإلا فقد بين صفات الذين يلونه ﷺ بأنهم يَعملونَ بما يَعلمونَ، ويَفعلون ما يُؤمرُونَ، وهم الخلفاء الراشدون.

(١) انظر: «جمع الشتات فيما كتب عن الإخوان من ملاحظات»، (ص ٧٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (١٨٢١).

(٣) صححه الألباني، وانظر تخريجه في: «السلسلة الصحيحة» رقم: (٣٠٠٧).

ثانيًا: ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي، خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر**»؛ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فوا ببيعة الأول فالأول؛ ثم أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

فهذه الأحاديث دلت على جواز تسمية مَن بعد الخلفاء الراشدين بالخلفاء، وإن كانت مجرد تسمية.

ونحن لا ننازع في جواز تسمية الملك أو الحاكم أو ولي الأمر خليفة، ولكن النزاع في أن توصف خلافته بالخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويجوز تسمية مَن بعد الخلفاء الراشدين «خلفاء» وإن كانوا ملوكًا؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وأما الخلفاء الاثنا عشر فلم يقل في خلافتهم إنها خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء، وهو مشترك واختص الأئمة الراشدون منهم بخَصِيصة في الخلافة وهي خلافة النبوة»[٣].

قال العلامة الألباني رحمه الله: «فلا ينافي مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة، فهؤلاء هم المعنيون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح»[٤].

وأما ما قاله بعض أهل العلم من أن هؤلاء الخلفاء ليسوا على التوالي وأن المهدي أحدهم فهو بعيد يرده لفظ الحديث نفسه بأكثر من وجه:

الأول: قوله: «**لا يزال**» وهو يدل على الاستمرار دون الانقطاع.

الثاني: أنه على هذا المعنى يكون المسلمون أعزة بداية من الخلافة إلى آخر الزمان،

(١) البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٠).

(٣) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١١/ ٢٤٣) مع «عون المعبود».

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٢٧).

وهذا ما ترده الأحاديث الصحيحة المؤيدة بالواقع المشاهد؛ فإن المسلمين مروا بسنين ضعف وذل لاسيما بعد زوال دولة بني أمية إلى يومنا هذا؛ ولذا فلعل الأقرب إلى الصواب أن نقول: الخلفاء الأربعة ومعاوية رضي الله عنهم وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وعمر بن عبد العزيز هؤلاء اثنا عشر خليفة، وقد كان الإسلام في زمانهم عزيزًا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأما الخلفاء اثنا عشر؛ فقد قال جماعة -منهم أبو حاتم ابن حبان وغيره-: إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعة ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته على رأس المائة، وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة، ثم وقع ما وقع»[1].

وقال ابن أبي العز -رحمه الله تعالىٰ-: «وكان الأمر كما قال النبي ﷺ، والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسدًا منغصًا، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود! وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزًا في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر»[2].

وفي تقرير بديع من العلامة عبد المحسن العباد -حفظه الله- يقول: «وأما ما قاله الحافظ إسماعيل بن كثير -رحمة الله عليه- في كتابه التفسير في سورة المائدة عند ذكر النقباء، وأن المهدي: يمكن أن يكون أحد الأئمة الاثنا عشر فهذا: محل نظر، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا ما ولي عليهم اثنا**

---

(١) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١١/ ٢٤٣)، مع «عون المعبود».

(٢) «شرح الطحاوية» ت الأرنؤوط (٢/ ٧٣٦).

عشر خليفة كلهم من قريش» فقوله: «**لا يزال أمر هذه الامة قائمًا**» يدل على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تفرق بسببه الناس، وجعل نكبة على المسلمين وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين: خلافة في الأندلس وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**لا يزال أمر هذه الامة قائمًا**» ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة حتى اختل نظام الخلافة وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم وصارت دويلات كثيرة، وفي زماننا هذا أعظم وأكثر.

والمهدي حتى الآن لم يخرج؛ فكيف يصح أن يقال: إن الأمر قائم إلى خروج المهدي؟! هذا لا يمكن أن يقوله من تأمل ونظر.

والأقرب في هذا كما قاله جماعة من أهل العلم: أن مراد النبي ﷺ بهذا الحديث «**لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**» أن مراده من ذلك: الخلفاء الأربعة ومعاوية رضي الله عنه وابنه يزيد، ثم عبد الملك ابن مروان وأولاده الأربعة وعمر بن عبد العزيز هؤلاء اثنا عشر خليفة.

والمقصود: أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبد الملك؛ فإن الدين في زمانهم قائم والإسلام منتشر والحق ظاهر والجهاد قائم، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز لم يضر المسلمين في ظهور دينهم؛ فدينهم ظاهر وأمرهم قائم، وعدوهم مقهور مع وجود هذا الخلاف الذي جرى ثم زال بحمد الله بتمام البيعة لعبد الملك واجتماع الناس بعدما جرى، من الخطوب على يد الحجاج وغيره، وبهذا يتبين أن هذا الأمر الذي أخبر به ﷺ قد وقع ومضى وانتهى، وأمر المهدي يكون في آخر الزمان وليس له تعلق بحديث جابر بن سمرة»[1].

(١) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»، (ص ١٦٢).

تنبيه مهم جدًّا:

ليس معنى أن الخلافة الراشدة لا تكون إلا في آخر الزمان، أو أنها تقوم بقدر الله على يدي المهدي؛ أن ندع العمل والدعوة انتظارًا لخروج المهدي! كما هو عند الشيعة الروافض وأذنابهم من الصوفية! وإنما نحن في سبيلنا على منهاج النبوة، من الدعوة إلى التوحيد، والمنهج السديد، وتعبيد الناس للعزيز المجيد، لا نريم ولا نحيد ولا نبدل ولا نستبدل حتى نقيم الدولة المسلمة دولة التوحيد، وحتى تنصر السنة وتنشر، وتموت البدعة وتقهر.

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه ﷺ.

فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض.

بل على العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماءهم -إلا القليل منهم- اتخذهم الناس رؤوسًا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به.

فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ومنهم -وفيهم بعض الخاصة- من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة، ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال:

وداوني بالتي كانت هي الداء

وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر!

وطائفة منهم رأوا أن عقيدة المهدي قد استُغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالًا سيئًا، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق!

وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأن بعض الدجاجلة ادعاها، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلًا صراحة، كالشيخ شلتوت.

وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضًا، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين.

وما مثل هؤلاء المنكرين جميعًا عندي إلا كما لو أنكر رجل ألوهية الله عَزَّ وَجَلَّ بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنة! ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾»[1].

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٤٢).

فينبغي التفريق بين عودة الخلافة الراشدة التي تسير على منهاج النبوة، والتي أخبر النبي ﷺ أنها تكون في آخر الزمان بقدر الله رب العالمين، وبين الدعوة إلى إقامة الدولة المسلمة على التوحيد والسنة في كل بلاد المسلمين، ولو لم يكونوا تحت إمام واحد.

وبهذا يعلم أن خلافة «داعش» المزعومة! ليست هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ولا الملك العضوض «ملك ورحمة»[1]؛ وإنما هي خلافة على منهاج الخوارج الذين يخلف بعضهم بعضًا على منهجهم الفاسد؛ فكلما قطع منهم قرن خرج آخر، حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم!

الوقفة الرابعة: أصل الأصول بين منهاج النبوة ومنهاج الخوارج:

لابد للعبد إن أراد الفلاح أن يلزم منهاج النبوة ولا يحيد عنه ولا ينحرف عن أصوله لاسيما أصل أصوله.

قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة، وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله ﷻ فيعذبه، وما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكره -يعني الرحمن سبحانه- في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله -إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاتَّ عنها ورقها، إلا حط عنه خطاياه كما تحاتُّ عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا أو اقتصادًا، أن **يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم**»[2].

إن أصل الأصول في منهاج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة إلى

(١) كما في الحديث الصحيح. انظر: «الصَّحِيحَة»: ٣٢٧٠.

(٢) رواه الإمام ابن المبارك في «الزهد»، باب: لزوم السنة (٢/ ٢١)، والإمام اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٥٤)، والإمام ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٥٩)، والإمام أبو نعيم في «الحلية» عند ترجمة أُبَيٍّ رضي الله عنه (١/ ٢٥٣).

التوحيد ونبذ الشرك؛ فالتوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ.

ومن الآيات الدَّالَّة إجمالًا على دعوة الرسل أممهم إلى إفراد الله بالعبادة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولًا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿الطَّاغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدْكم عن سبيل الله، فتضلوا»(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولًا، **وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له**».

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وغير ذلك.

فالأنبياء مع اختلاف ضلال أقوامهم وتنوع انحرافاتهم إضافة إلى شركهم؛ كانت أول دعوتهم جميعًا إلى التوحيد، وذلك أن أعظم الذنب الشرك بالله والكفر به سبحانه، قال ﷺ حين سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»(٢).

فما فائدة النجاة من كل ذنب وقد وقع الأبعد في أعظم ذنب لا يغفره الله ويغفر ما دونه لمن يشاء؟!.

(١) «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (٨٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فلأجل هذه الحقيقة كانت دعوة الأنبياء جميعًا واحدة وكلمتهم واحدة ومنهاجهم واحدا؛ لأن دينهم واحد، كما قال ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**»[1].

وقد جاء في القرآن تفصيل دعوة كل واحد منهم فمن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].

وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقالها عيسى عليه السلام لقومه: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٤٣).

أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

وفي خاتم الأنبياء ﷺ في أول ما نزل عليه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١ - ٥].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، أي: عظمه بالتوحيد. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أي: طهر أعمالك عن الشرك. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، الرجز: بالأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها»[(١)].

وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**»[(٢)].

وكما كانت هذه دعوة الرسل فقد كانت دعوةَ رسل الرسل، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم**»[(٣)]. وفي رواية: «**أن يوحدوا الله**»[(٤)]، وهذا قبل الصلاة والصيام والزكاة وسائر الفرائض.

وبيان أهمية التوحيد والدعوة إليه أمر مستفيض في السنة النبوية؛ ولهذا كان الصحيح أن **أول واجب يجب علىٰ المكلف شهادة أن لا إله إلا الله**، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف

---

(١) «ثلاثة الأصول» مطبوع ضمن «مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، الجزء الأول (ص١٩٣).

(٢) البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

(٣) البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٤) البخاري (٧٣٧٢).

كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

كما قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١).

وهو أول واجب وآخر واجب(٢)، وأعظم الواجبات، وأفضل القربات التوحيد، وأعظم الذنوب وأقبح المعاصي الشرك.

قال الكرماني رحمه الله: «ثم أنه قدم التوحيد على غيره؛ لأنه أصل الأصول، وهو معنى كلمة الشهادة التي هي شعار الإسلام»(٣).

قال شيخ الإسلام بعد ذكر آيات دالة على التوحيد: «فَهُوَ أصل الْأُصُول وَقَاعِدَة الدّين حَتَّى فِي سورتي الْإِخْلَاص ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَهَاتَانِ السورتان كَانَ النَّبِي ﷺ يقْرَأ بهما فِي صَلَاة التَّطَوُّع كركعتي الطّواف وَسنة الْفجْر وهما متضمنتان للتوحيد فَأَما ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فَهِيَ متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وَهُوَ إخلاص الدّين لله بِالْقَصْدِ والإرادة... وَأما سُورَة قل هُوَ الله أحد فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي »(٤).

وقال رحمه الله: «... قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه، ولا نسعتين إلا إياه، وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل حتى إنه سبحانه قطع أثرالشفاعة بدون إذنه» ثم عدد الآيات الدالة على ذلك». ثم قال: «... والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول»(٥).

قال العلامة المعلمي اليماني رحمه الله: «ومعرفة معنى «لا إله إلا الله» أصل

(١) صححه الألباني في «سنن أبي داود» (٣١١٦).

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» ت الأرنؤوط (١/ ٢١).

(٣) «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢٥/ ٩٥).

(٤) «أمراض القلوب وشفاؤها» (ص٦٢).

(٥) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (٢/ ٢٢٦).

الأصول»[(١)].

وهذا كثير مبذول في كلام أهل السنة والجماعة، وهو منهاج الأنبياء وسبيل المؤمنين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وهو منهج القرون المفضلة الأولى ومن سار خلفهم واقتفى أثرهم ولزم غرزهم.

وأما أن يكون الحكم والحاكمية، أو الخلافة والإمامة هو أصل الأصول! فنعم! هو أصل الأصول! ولكن ليس في منهاج النبوة، وإنما في منهاج الخوارج كلاب أهل النار! وفي منهاج الروافض الفجار، فلقد عُرف الخوارج قديمًا -أول ما عرفوا- بالمُحكِّمة، لأجل مسألة الحكم، وهذه المسألة هي الأصل الذي اتفقوا عليه جميعًا في القديم -كما سيأتي إن شاء الله- وفي الحديث، كما مر من كلامهم، وكلام سيدهم وقطبهم فالحاكمية عندهم أصل الدين.

حتى آخرهم ومتحدثهم الغر الصغير الذي زعم أن الخلافة هي الغاية من خلق الخلق، وإرسال الرسل، وسل سيوف الجهاد! فقال: «تلك حقيقة الاستخلاف، **الذي مِن أجله خلقنا الله**، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم... **وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وسُلَّت سيوف الجهاد**»[(٢)].

فقد جعلوا الاستخلاف هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق! ومن أجلها أرسل رسله، وسلت سيوف الجهاد! وهذا تقوُّلٌ على الله تعالى بغير علم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

بل هو افتراء وكذب على الله جل وعلا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ [الأنعام: ٢١].

(١) «آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني» (٢/ ١٩٩).

(٢) كلمة صوتية بعنوان: «هذا وعد الله».

بل هذا تبديل لدين الله تعالى، وحكم بغير ما أنزل الله رب العالمين؛ لا في الشرائع؛ بل في أصل الأصول! فبما يحكم هؤلاء وأتباعهم على أنفسهم إن كانوا صادقين؟!

ألم يقل سبحانه عن الغاية من خلق الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولم يقل جل وعلا: (إلا ليُستخلفون)، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: «ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها»(١).

قال العلامة السعدي رحمه الله: «هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم».اهـ.

فالغاية التي من أجلها خلقنا الله هي العبادة وتوحيده سبحانه وإفراده بها، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وسلت سيوف الجهاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب»(٢).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وتلك العبادة التي خُلق لأجلها الخلق كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ فأخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة، وكذلك إنما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها»(٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٩).
(٣) «الفوائد» لابن القيم (ص١٢٢).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «شهادة أن لا إله إلا الله: هو توحيد الله وإخلاص العبادة له، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا المعنى هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، وأنزل به الكتب، وقام عليه سوق الجهاد، وانقسم الناس فيه إلى كافر ومؤمن، وشقي وسعيد»(١).

فهي أيضًا الغاية من الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة يعني: حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان»(٢).

بل عليك أن تعلم أن المقصد من وجود الخلافة والإمامة والولاية أن يكون الدين كله لله كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه: قاعدة في الحِسبة».

أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ فإن الله گ إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون »(٣).

فالخلافة وسيلة وليست غاية، فكما مر في تعريفها أنها إنما وضعت لحراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهذا ما لا يقر به الخوارج في كل عصر ومصر!

ولا بأس فإن الخوارج لا اعتداد بهم ولا اعتبار لهم!

ومع ذلك فإليك بيان هذه القضية وتلك المسألة ألا وهي: الحكم والحاكمية

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/ ١٢).

(٢) «جامع البيان» ت شاكر (٣/ ٥٧٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦١).

﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢﴾ [الأنفال: ٤٢].

الوقفة الخامسة: مسألة الحكم والحاكمية:

إن من الواجبات المتحتمات في دين رب البريات الحكم بما أنزل الله –سبحانه– في كتابه أو في سنة نبيّه ﷺ؛ فإن الدين عند الله الإسلام، والإسلام هو الاستسلام ظاهرًا وباطنًا لله رب العالمين والانقياد التام له سبحانه، وإن أول ما يدخل العبد به دين الله؛ كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**». وهذه الكلمة لها شروط بيّنها أهل العلم منها: القبول لما جاءت به هذه الكلمة، والانقياد التام له، فلا يجد في نفسه غضاضة لحكم من أحكام الله بل يلقاها جميعها بالتسليم والقبول والانقياد، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، فلا يتمّ للعبد إيمان حتى تقوم حياته على شريعة ربه عقيدة وعبادة، تحليلًا وتحريمًا، أمرا ونهيًا، سلوكًا وخُلقًا، ومعاملة، فالمؤمن الحق هو الذي يحكم شرع الله على نفسه في كل كبير وصغير، فلا حياة لقلبه إلا بشرع الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقد أمر سبحانه بالحكم بما أنزل، وحذر من اتباع الأهواء المخالفة له، وأنه لا حكم أحسن من حكمه –جل وعلا– لقوم يوقنون؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

وبين سبحانه أن الصد عن الحكم بما أنزل من شأن المنافقين فقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وأخبر بأن من كره ما أنزل الله فقد حبط عمله فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وهذا عام في الحكام والمحكومين، فإننا حينما نتكلم عن وجوب الحكم بما أنزل الله واتباع شريعته سبحانه والتسليم لما جاء به النبيّ الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ لا نتكلم عن طائفة من المسلمين دون طائفة، بل هو أمر عام شامل لهم جميعًا حكامًا ومحكومين، وبهذا جاءت النصوص الشرعية في كتاب رب البرية، ولم تفرق بين أحد من عباد الله كم مر؛ بل آيات الحكم إنما أنزلت في شأن المحكومين أصالة لا الحاكمين فقط وفيها تفصيل كما سيأتي -إن شاء الله- في الفصل القادم.

فصل: حكم من لم يحكم بما أنزل الله

قد مضى معنا أن الحكم بما أنزل الله تعالى من أوجب الواجبات، وتركه من أعظم المحرمات، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى؛ ولذلك فالحكم في مسألة الحكم فيه تفصيل؛ والعمدة في هذه المسألة هي تلك الآيات من سورة المائدة:

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وقال جل وعز: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

روى مسلم[(١)] بسنده عن البراء بن عازب قال: مر على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهودي محممًا مجلودًا فدعاهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**» قالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسىٰ أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجلعنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**». فأمر به فرجم فأنزل الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يقول: ائتوا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله

(١) في «صحيحه» (١٧٠٠).

تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، في الكفار كلها[(١)].

فإن قيل: «نزلت في الكفار كلها» بمعنى أن كلها كفر أكبر لا كفر دون كفر، ولا كفر أصغر ولا ظلم أصغر ولا فسق أصغر.

قلنا: نرجع إلى فهم السلف إن كنا حقًّا سلفيين، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما فهم من قوله ﷺ في الكفار؛ يعني: الكفار الأصليين فقال: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»[(٢)].

وعن أبي صالح قال: «الثلاث الآيات التي في «المائدة» ليس في أهل الإسلام منها شيءٌ، هي في الكفار»[(٣)].

وعن الضحاك قال: «نزلت هؤلاء الآيات في أهل الكتاب»[(٤)].

وعن عكرمة قال: «هؤلاء الآيات في أهل الكتاب»[(٥)].

وعنه أيضًا: «لأهل الكتاب كلّهم، لما تركوا من كتاب الله»[(٦)].

قال أبو جعفر الطبريّ رحمه الله: «ومن كتم حُكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكمًا يين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم، وكتمانهم الرجم، وكقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة وفي بعض بنصف

---

(١) «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعيّ (ص٨٥) وقال رحمه الله: «الحديث أخرجه أبو داود (ج٤/ ص٢٦٣) وفيه: «بيهودي محمم مجلود» على الوصفية، والإمام أحمد (ج٤/ ص٢٨٦)، والبيهقي (ج٨/ ص٢٤٦)، وابن جرير (ج٦/ ص٢٣٣ و٢٥٤)، وابن أبي حاتم (ج٣/ ص٣).

(٢) ذكره البخاري معلقًا مجزومًا به في باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

(٣) «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٤٦).

(٤) «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٤٧).

(٥) «تفسير الطبريّ» (١٠/ ٣٥١).

(٦) «تفسير الطبريّ» (١٠/ ٣٥١).

الدية، وفي الأشراف بالقِصاص، وفي الأدنياء بالدية، وقد سوَّى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه، ولكن بدَّلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحقَّ الذي أنزله في كتابه ﴿هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، يقول: هم الذين سَتَروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينُه، وغطَّوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به لسحتٍ أخذوه منهم عليه»[(١)].

وأما من جعلها في المسلمين فقد قال فيها كفر دون كفر ليس بناقل عن الملة كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هي به كفر، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله»[(٢)].

وفي تفسير ابن أبي حاتم عنه أيضًا قال: «هي كبيرة قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وروي عن عطاء أنه قال: كفر دون كفر»[(٣)].

وعن عطاء أيضًا قال: «كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم»[(٤)].

وقد ذكر الإمام أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأقوال وغيرها ثم قال: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قولُ من قال: نزلت هذه الآيات في كفّار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيُّون بها وهذه الآيات سياقُ الخبر عنهم، فكونُها خبرًا عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عمَّ بالخبر بذلك عن جميع منْ لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًّا؟

قيل: إن الله تعالى عَمَّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا **بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين**، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكمَ، على سبيل ما تركوه، كافرون، **وكذلك القولُ في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، هو بالله كافر**، كما قال ابن

(١) «تفسير الطبريّ» (١٠/ ٣٤٥).
(٢) «تفسير الطبريّ» (١٠/ ٣٥٦).
(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٤٣).
(٤) «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٥٥).

عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعدَ علمه أنه أنزله في كتابه، نظير جحوده نبوّة نبيّه بعد علمه أنه نبيٌّ»(١).

وأما قوله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فعنه أنه قال: «**من جحد الحكم** بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق، يقول: **من جحد من حدود الله شيئًا فقد كفر**»(٢).

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: «من حكم بكتابه الذي كتبه بيده وترك كتاب الله، وزعم أن كتابه هذا من عند الله فقد كفر»(٣).

وبهذا التفصيل الذي ذكرناه قال المفسرون من أهل السنة والجماعة.

وقد مضى معنا كلام أئمتهم من السلف الصالحين من الصحابة والتابعين، وهذا كلام من سار على نهجهم من المفسرين.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أيضًا مما وُبخت به اليهود وقرعوا عليه؛ فإن عندهم في نص التوراة: أن النفس بالنفس، وهم يخالفون ذلك عمدًا وعنادًا، ويقيدون النضري من القرظي، ولا يقيدون القرظي من النضري، بل يعدلون إلى الدية، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار؛ ولهذا قال هناك: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، **لأنهم جحدوا حكم الله قصدًا منهم وعنادًا وعمدًا**، وقال هاهنا: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا، وتعدى بعضهم على بعض»(٤).

وقال الشوكانيّ رحمه الله: «قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٤٢).

(٣) «تفسير الطبريّ» (١٠/ ٣٥٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ١٢٠).

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، لفظ من من صيغ العموم؛ فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة بل بكل من ولي الحكم وقيل: إنها مختصة بأهل الكتاب، وقيل: بالكفار مطلقًا لأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة وقيل: هو محمول على أن الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفافًا، أو استحلالًا، والإشارة بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ (من)، والجمع باعتبار معناها، وكذلك ضمير الجماعة في قوله: هم الكافرون»[(١)].

وقال السعديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد»[(٢)].

وقال الشنقيطيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، نازلة في المسلمين؛ لأنه تعالى قال قبلها مخاطبًا لمسلمي هذه الأمة: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم قال: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، **وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلًّا له، أو قاصدًا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها؛ أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبًا، فاعلًا قبيحًا، وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاة المسلمين...**

واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر، والظلم، والفسق، كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادًا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى: ومن لم يحكم بما أنزل الله، معارضة للرسل وإبطالًا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠).

(٢) «تفسير السعدي» = «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٣٣).

كفر مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بما أنزل الله معتقدًا أنه مرتكب حرامًا فاعل قبيحًا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»[(١)].

فهذا كلام أهل السنة والجماعة -سلفًا وخلفًا- في تفسير الآية.

أما الخوارج فقد حملوها على الكفر الأكبر -وقد سبق بيان ضلالهم في هذا-، ثم حملوها على التعيين[(٢)]، وهذا ضلال آخر! فكفَّروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

يقول الإمام السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم»[(٣)].

ويقول الشاطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (١/ ٤٠٧).

(٢) **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في «مجموع الفتاوى»** (١٢/ ٤٨٧): «وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم، ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافرًا، فيتعارض عندهم الدليلان، وحقيقة الأمر: أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين».

وقال: «هذا مع أني دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيًا أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية». «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٢٩).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الاستقامة»** (١/ ١٦٥): «فقد ثَبت فِي الصَّحِيح عَن ثَابت بن الضَّحَّاك عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لعن الْمُؤمن كقتله وَمن رمى مُؤمنًا بالْكفْر فَهُوَ كقتله**»، وَثَبت فِي الصَّحِيح أَن من قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فقد بَاء بِهِ أحدهمَا، وَإِذا كَانَ تَكْفِير الْمعِين على سَبِيل الشتم كقتله فَكيف يكون تكفيره على سَبِيل الِاعْتِقَاد فَإِن ذَلِك أعظم من قَتله إِذْ كل كَافِر يُبَاح قَتله وَلَيْسَ كل من أُبِيح قَتله يكون كَافِرًا؛ فقد يقتل الدَّاعِي إِلَى بِدعَة لإضلاله النَّاس وإفساده مَعَ إِمْكَان أَن الله يغْفر لَهُ فِي الْآخِرَة لما مَعَه من الْإِيمَان؛ فَإِنَّهُ قد تَوَاتَرَتْ النُّصُوص بِأَنَّهُ يخرج من النَّار مَن فِي قلبه مِثْقَال ذرة من إِيمَان».

(٣) «تفسير السمعاني» (٢/ ٤٢).

نافعا: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، **إنهم انطلقوا إلىٰ آيات أنزلت في الكفار فجعلوها علىٰ المؤمنين**... وقال نافع: إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم؛ وينكحون النساء في عِدَدهن، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج فتكون المرأة عندهم لها زوجان؛ فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال والقتل من الحرورية»[1].

ولذلك قال لهم ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه»؛ فليس هو الكفر الأكبر المخرج من الملة الذي تذهبون إليه أيها الخوارج قديمًا وحديثًا.

وعن عمران بن حدير قال: «قعد إلى أبي مجلز نفرٌ من الإباضيَّة، قال فقالوا له: يقول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾! قال أبو مجلز: **إنهم يعملون بما يعلمون -يعني: الأمراء- ويعلمون أنه ذنب!** قال: وإنما أنزلت هذه الآية في اليهود! والنصارى قالوا: أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم، ولكنك تخشاهم! قال: أنتم أحق بذلك منّا! أمّا نحن فلا نعرف ما تعرفون! قالوا: ولكنكم تعرفونه، ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم!»[2].

وهذا دأب الخوارج من قديم الجهل والغرور والتطاول على أهل العلم، وما تكفيرهم لأئمة الزمان عنك ببعيد!

ويقول سعيد بن جبير رحمه الله: «أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فإذا

(١) «الاعتصام» للشاطبيّ (٣/ ١١٣).

(٢) «تفسير الطبريّ» (١٠/ ٣٤٧).

رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية»[١].

ويقول رأس الخوارج في العصر الحديث سيد قطب: «ولم يكن بد أن يكون «دين الله» هو الحكم بما أنزل الله دون سواه، فهذا هو مظهر سلطان الله، مظهر حاكمية الله، مظهر أن لا إله إلا الله، وهذه الحتمية: حتمية هذا التلازم بين «دين الله» و«الحكم بما أنزل الله» لا تنشأ فحسب من أن ما أنزل الله خير مما يصنع البشر لأنفسهم من مناهج وشرائع وأنظمة وأوضاع، فهذا سبب واحد من أسباب هذه الحتمية، وليس هو السبب الأول ولا الرئيسي، إنما السبب الأول والرئيسي، والقاعدة الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي أن الحكم بما أنزل الله إقرار بألوهية الله، ونفي لهذه الألوهية وخصائصها عمن عداه، وهذا هو «الإسلام» بمعناه اللغوي: «الاستسلام» وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان.. الإسلام لله.. والتجرد عن ادعاء الألوهية معه وادعاء أخص خصائص الألوهية، وهي السلطان والحاكمية، وحق تطويع العباد وتعبيدهم بالشريعة والقانون، ولا يكفي إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله، أو حتى شريعة الله نفسها بنصها، إذا هم نسبوها إلى أنفسهم، ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها لله ولم يطبقوها باسم الله، إذعانًا لسلطانه، واعترافًا بألوهيته وبتفرده بهذه الألوهية، التفرد الذي يجرد العباد من حق السلطان والحاكمية، إلا تطبيقًا لشريعة الله، وتقريرًا لسلطانه في الأرض.

ومن هذه الحتمية ينشأ الحكم الذي تقرره الآيات في سياق السورة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.. ذلك أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله يعلنون رفضهم لألوهية الله -سبحانه- ورفضهم لإفراد الله -سبحانه- بهذه الألوهية، يعلنون هذا الرفض بعملهم

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤).

وواقعهم ولو لم يعلنوه بأفواههم وألسنتهم، ولغة العمل والواقع أقوى وأكبر من لغة الفم واللسان، ومن ثم يصمهم القرآن بالكفر والظلم والفسق، أخذا من رفضهم لألوهية الله- حين يرفضون حاكميته المطلقة وحين يجعلون لأنفسهم خاصة الألوهية الأولى فيشرعون للناس من عند أنفسهم ما لم يأذن به الله»[1].

ويقول مؤسس دولة الخوارج أبو عمر البغدادي في بيان عقيدتهم التي يعتقدونها ويدينون بها إلىٰ يومهم هذا: «خامسًا: نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله من خلال الترافع إلى المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلى الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشائرية ونحوها من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾»اهـ.

وبهذا تعرف من سلف هؤلاء الدواعش، فذو الخويصرة التميمي هو سلفهم وجدهم الأكبر، وقد خرجوا من ضئضئه يتنفسون التكفير، ويعشقون الدماء، وينعمون بين الأشلاء ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماء.

وزيادة في البيان إليك شيئًا من التفصيل والخلاصة لما سبق ذكره:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار؛ والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى -وكان مما يتلى فنسخ لفظه- (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم)، وقوله ﷺ في الحديث «**اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة**»، وقوله في «السنن» «**من أتىٰ امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**» وفي الحديث الآخر «**من أتىٰ كاهنا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله علىٰ محمد**»، وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

(١) «في ظلال القرآن» (٢/ ٨٢٨).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾.

قال ابن عباس: «ليس بكفر ينقل عن الملة»، بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وكذلك قال طاوس، وقال عطاء: هوكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر، سواء حكم أو لم يحكم.

ومنهم من تأولها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكم بالتوحيد والإسلام، وهذا تأويل عبد العزيز الكنانيّ، وهو أيضًا بعيد؛ إذ الوعيد على نفي الحكم بالمنزل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعه وببعضه.

ومنهم من تأولها على الحكم بمخالفة النص، تعمدًا من غير جهل به ولا خطأ في التأويل. حكاه البغوي»[(١)].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وإذا كان من قول السلف: إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قولهم: إنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾.

قالوا: كفروا كفرًا لا ينقل عن الملة، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة»[(٢)].

قال الإمام القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَقَدْ أَخْبَرَكَ أَنَّ في الذنوب أنواعًا كثيرة تسمى بهذا الِاسْمِ، وَهِيَ غَيْرُ الْإِشْرَاكِ الَّتِي يُتَّخَذُ لَهَا مع الله إله غَيْرَهُ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَبْوَابِ عِنْدَنَا وُجُوهٌ إِلَّا أَنَّهَا أَخْلَاقُ الْمُشْرِكِينِ، وَتَسْمِيَتُهُمْ، وَسُنَنُهُمْ، وَأَلْفَاظُهُمْ، وَأَحْكَامُهُمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/ ٣٤٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣١٢).

وَأَمَّا الْفُرْقَانُ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ فِي التنزيل، فقول الله جل وعز: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ». وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أبي رباح: «كفر دون كفر».

فَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَيْسَ بِنَاقِلٍ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الدِّينَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ، وَإِنْ خَالَطَهُ ذُنُوبٌ، فَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا خِلَافُ الْكُفَّارِ وَسُنَّتِهِمْ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ مِنَ الشِّرْكِ سَوَاءً؛ لِأَنَّ مِنْ سُنَنِ الْكُفَّارِ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] تَأْوِيلُهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: أَنَّ مَن حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَهُوَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَانَ بِذَلِكَ الْحُكْمِ كَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَذَلِكَ كَانُوا يَحْكُمُونَ.

وَهَكَذَا قَوْلُهُ: «**ثَلَاثَةٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ والنياحة والأنواء**»[1].

وقال الإمام ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللهُ: «وَعَلَّمَنَا أَنَّ ثَمَّ شِرْكًا غَيْرَ شِرْكٍ مَنْ يَجْعَلُ مَعَهُ إِلَهًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ: لَيْسَ هُوَ كُفْرٌ يَنْقُلُ عَنْ اَلْمِلَّةِ»[2].

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ **في الحديث:** «﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال: **هي في الكفار كلها**».

والحديث دليل صريح في أن المقصود بهذه الآيات الثلاث الكفار من اليهود والنصارى وأمثالهم الذين ينكرون الشريعة الإسلامية وأحكامها، ويلحق بهم كل من شاركهم في ذلك ولو كان يتظاهر بالإسلام، حتى ولو أنكر حكمًا واحدًا منها.

ولكن مما ينبغي التنبه له، أنه ليس كذلك من لا يحكم بشيء منها مع عدم إنكاره

---

(١) الإيمان للقاسم بن سلام (ص٨٨) تحقيق الإمام الألبانّي -رحمهما الله-.

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص٢٤٠).

ذلك، فلا يجوز الحكم على مثله بالكفر وخروجه عن الملة لأنه مؤمن، غاية ما في الأمر أن يكون كفره كفرًا عمليًّا.

وهذه نقطة هامة في هذه المسألة يغفل عنها كثير من الشباب المتحمس لتحكيم الإسلام، ولذلك فهم في كثير من الأحيان يقومون بالخروج على الحكام الذين لا يحكمون بالإسلام، فتقع فتن كثيرة، وسفك دماء بريئة لمجرد الحماس الذي لم تُعَدَّ له عدته.

والواجب عندي تصفية الإسلام مما ليس منه كالعقائد الباطلة، والأحكام العاطلة، والآراء الكاسدة المخالفة للسنة، وتربية الجيل على هذا الإسلام المصفى، والله المستعان»[(١)].

وهذا جواب الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن «حكم من يحكم بِغَيْر مَا أنزل الله».

السُّؤَال: هَل يعْتَبر الْحُكَّام الَّذين يحكمون بِغَيْر مَا أنزل الله كفَّارًا وَإِذا قُلْنَا إِنَّهُم مُسلمُونَ فَمَاذَا نقُول عَن قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾؟

الْجَواب: الحكم بِغَيْر مَا أنزل الله أَقسَام تخْتَلف أحكامهم بِحَسب اعْتِقَادهم وأعمالهم؛ فَمن حكم بِغَيْر مَا أنزل الله يرى أَن ذَلِك أحسن من شرع الله فَهُوَ كَافِر عِنْد جَمِيع الْمُسلمين، وَهَكَذَا من يحكم القوانين الوضعية بَدَلًا من شرع الله وَيرى أَن ذَلِك جَائِزًا وَلَو قَالَ: إِن تحكيم الشَّرِيعَة أفضل فَهُوَ كَافِر لكَونه اسْتحلَّ مَا حرم الله أما من حكم بِغَيْر مَا أنزل الله اتبَاعا للهوى أَو لرشوة أَو لعداوة بَينه وَبَين الْمَحْكُوم عَلَيْهِ أَو لأسباب أُخْرَى وَهُوَ يعلم أَنه عَاص لله بذلك وَأَن الْوَاجِب عَلَيْهِ تحكيم شرع الله فَهَذَا يعْتَبر من أهل الْمعاصِي والكبائر وَيعْتَبر قد أَتَى كفرا أَصْغَر وظلما أَصْغَر وفسقا أَصْغَر كَمَا جَاءَ هَذَا الْمَعْنى عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا وَعَن طَاوُوس وَجَمَاعَة من السّلف

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦/ ٤٥٧).

الصَّالح وَهُوَ الْمَعْرُوف عِنْد أهل الْعلم وَالله ولي التَّوْفِيق »[١].

وانظر رسالة «فتنة التكفير» للعلامة الألباني، تقريظ العلامة ابن باز، وتعليق فضيلة الشيخ ابن عثيمين -رحمة الله عليهم جميعًا- ثم قارن كلام هؤلاء الأعلام من أئمة الزمان بكلام الأعلام من السلف، وانظر هل خالفوهم في شيء من أصولهم وكلامهم؟! فإن بذلك تعلم حقيقة تلك التهم التي رمي بها هؤلاء الأعلام.

ولا يخفى عليك أن الطعن في العلماء من صفات الخوارج، وللخوارج صفات عديدة تجمعهم في كل زمان ومكان، ولتعلم هذه الصفات إليك أولًا نشأة الخوارج ومقالاتهم في الفصل القادم -بإذن الله-، والله الموفق والمستعان.

---

(١) «فتاوى مهمة لعموم الأمة» (ص١٤٢).

نشأة الخوارج الأول

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويُظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون[1]، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا[2]، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين.

فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ: هو رجل طعن على رسول الله ﷺ، وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال ﷺ: «**ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟**» فأراد عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قتله، فمنعه النبي ﷺ من قتله وأخبر: «**أن هذا وأصحابًا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين**» وأمر في غير حديث بقتالهم، وبيّن فضل من قتلهم أو قتلوه.

---

(١) وسيأتي -إن شاء الله تعالى- من ذلك الشيء الكثير، وفيه من العجب العجاب!

(٢) الإمام الآجريّ رَحِمَهُ اللَّهُ من علماء القرن الرابع الهجريّ؛ أي: بعد ظهور الخوارج بقرون، ولم يقل إن مذهب الخوارج مضى وانقضى؛ كما يروج الأفاكون! وأنى له ذلك وهم باقون إلى آخر الزمان كما صرح بذلك النبيّ ﷺ في غير ما حديث منها «**ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع حتىٰ يخرج في أعراضهم الدجال**». «السلسلة الصحيحة» (٢٤٥٥)

ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ ممن كان بالمدينة في ألا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلمة حق أرادوا بها الباطل.

فقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة فصار سيف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخوارج سيفَ حق إلى أن تقوم الساعة»[1] .أهـ.

فهؤلاء كلما قطع منهم قرن خرج آخر حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم.

وعلى ما مضى فإننا إذا أردنا أن نتكلم عن نشأة الخوارج الأُول لابد من العودة إلى بدء الظاهرة قبل الحديث عن انتشارها؛ فثمة فرق بين البدء والانتشار.

فبَدءُ الخوارج كان حينما قسم رسول الله ﷺ قسمًا، فأتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال ﷺ: «**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل**». فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «**دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلىٰ نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ نضيه،** -وهو قدحه-، **فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدىٰ عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون علىٰ حين فرقة من الناس**»[2] .

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ

---

(١) «الشريعة» (١/ ١٩٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٦١٠)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: «**إنما أتألفهم**». فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق[1]، فقال: اتق الله يا محمد[2]، فقال: «**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله علىٰ أهل الأرض فلا تأمنوني**» فسأله رجل قتله، -أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه، (وفي رواية أخرى زيادة قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»[3] فلما ولىّ[4] قال: «**إن من ضئضئ هذا** -أو: في عقب هذا- **قومًا**

---

(١) تأمل أيها القارئ الكريم في هذه الصورة، وفيما تراه من صور أحفاده تجدهم حقًّا خرجوا من ضئضئه (نسله)!

(٢) **انتبه هنا إلىٰ أمرين:**

الأول: أنه لم يقل أعطني من المال كما أعطيتهم، ولكن أظهر شغفه إلى المال في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا الخوارج في كل زمان ومكان يظهرون ما هم عليه من الباطل واتباع الهوى في صورة الحق.

الثاني: سوء الأدب عند الخوارج جميعًا وطعنهم في ولاة الأمر من العلماء والأمراء جميعًا، وهذا ظاهر جدًّا في قوله: «اتق الله» وتأمل يقولها لرسول الله ﷺ ثم يقول له: «اعدل» ثم في قوله: «يا محمد»، فإنه وقع في مخالفة أمر الله ﷻ حيث قال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

(٣) وتأمل في منهاج النبوة من معاملة الناس بالظاهر والله يتولى السرائر، لا منهاج الخوارج الذين يزعمون -بلسان حالهم- أنهم أعلم بما في القلوب الناس!

(٤) فيه دليل ظاهر على جواز غيبة أهل الفجور والبدع تحذيرا من شرهم وعظيم ضررهم، لا سيما الخوارج المارقين، والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة. انظر في ذلك الفرق بين النصيحة والتعيير للحافظ ابن رجب -رحمه الله-، وكذلك «إجماع أهل العلم على وجب الهجر والتحذير من أهل البدع والأهواء» للدكتور خالد الظفيري حفظه الله.

يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»(١).

وعند الإمام أحمد عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه: أن نبي الله ﷺ مر برجل ساجد -وهو ينطلق إلى الصلاة- فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد، فقام النبي ﷺ فقال: **من يقتل هذا؟**» فقام رجل فحسر عن يديه فاخترط سيفه وهزه ثم قال: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلًا ساجدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؟ ثم قال: «**من يقتل هذا؟**» فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه وهزه حتى ارعدت يده فقال: يا نبي الله! كيف أقتل رجلًا ساجدًا يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؟ فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها**».

وفي رواية عند أحمد أيضًا: «**إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، حتىٰ يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم، هم شر البرية**»(٢).

وعن أنس بن مالك قال: كان فينا شابٌّ ذو عبادة وزهد، (وفي رواية: فذكروا له من **قوته في الجهاد** والاجتهاد في العبادة) (وفي رواية: رجل حسن السمت ذكروا من أمره أمرًا حسنًا) فوصفناه للنبي ﷺ، وسميناه باسمه، فلم يعرفه، فبينا نحن كذلك إذ أقبل، فقلنا: يا رسول الله هو ذا، فقال: «**إني لأرىٰ علىٰ وجهه سفعة من الشيطان**»(٣) فجاء فسلم على القوم، فردوا السلام، فقال له رسول الله ﷺ: «**أجعلت في نفسك أن**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٤، ٤٣٥١)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

(٢) أخرجها الإمام أحمد الأولى (٥/ ٤٢)، والثانية (٣/ ١٥)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٢٤٩٥).

(٣) ولذلك فإن أهل العلم لا ينخدعون بما يظهر من هؤلاء من زهد وعبادة وجد واجتهاد، وما يتغنون به من الدعوة إلى الجهاد والقوة فيه! وإنما يزنونهم بميزان النبوة ويكشفون أمرهم ببصيرة السنة، لأن الجد والاجتهاد والزهد والعبادة إن لم يكن على منهاج النبوة فلا عبرة به، فليت الناس تعلم ذلك جيدًا.

ليس في القوم أحد خير منك؟»[(١)] قال: نعم، ثم ولى، فدخل المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «**من يقتل الرجل؟**»[(٢)] فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلي فقال أبو بكر: وجدته يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال «**من يقتل الرجل؟**» فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله فدخل المسجد فوجده ساجدًا، فقال: «أقتل رجلًا يصلي وقد نهانا عن ضرب المصلين » فجاء، فقال له النبي: «**مه يا عمر**» قال وجدته ساجدًا، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، (وفي رواية: أنه قال لكل من أبي بكر وعمر «**اجلس فلست بصاحبه**» ثم قال: «**من يقتل الرجل؟**» فقال علي رضي الله عنه: أنا، فقال: «**أنت تقتله إن وجدته**»[(٣)]، فذهب علي فجاء فقال له النبي ﷺ: «**مه يا علي**»

(١) وتأمل في كِبر هؤلاء الخوارج وما انطوت عليه أنفسهم من العجب؛ فهذا أول قرن ظهر منهم لا يرى أحدًا خيرًا منه مع أن فيهم رسول الله ﷺ! فكيف بمن سواه؟! وهذا الأمر ملاحظ في الخوارج في كل زمان، ويكفيك تلك الصور التي تفرض نفسها على مخيلتك الآن وأنت تقرأ هذا الكلام، كصورة أيمن الظواهري، وأبي محمد المقدسي، وأبي قتادة الفلسطيني وأبي بكر البغدادي وأبي محمد العدناني، أناس يرون أنهم المسلمون ومن سواهم كفار مجرمون! فماذا تنتظر منهم؟!

(٢) **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: «فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج؛ كالحرورية والرافضة ونحوهم: فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الإمام أحمد. والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم؛ كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد. فإن النبي ﷺ قال: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**».

وقال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» وقال عمر لصبيغ بن عسل: «لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك». ولأن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ أول الرافضة حتى هرب منه. ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض. فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول أو كان في قتله مفسدة راجحة، ولهذا ترك النبي ﷺ قتل ذلك الخارجي ابتداء «**لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**» ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام؛ ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا، لأنهم كانوا خلقًا كثيرًا وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهرا لم يحاربوا أهل الجماعة ولم يكن يتبين له أنهم هم» اهـ.

(٣) تأمل -بارك الله فيك- في أنه لو أدركه قتله «**ساجدًا**» «**يصلي**»؛ فهي خاتمة في ظاهرها حسنة-وعادة الخوارج قديمًا وحديثًا التغني بالظواهر والخواتيم!-، ولكن أخبر النبيّ ﷺ أنهم «**شر الخلق والخليقة**» «**شر قتلىٰ تحت أديم السماء**» «**كلاب أهل النار**»... إلخ، فلا تغتر بالظواهر طالما كان المنهاج منهاجَ سوء.

قال: وجدته قد خرج، فقال: «**أما إنك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتي اثنان**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها عليٌّ يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره، وقمنا معه، فقال: «**إن منكم من يقاتل علىٰ تأويل هذا القرآن، كما قاتلتُ علىٰ تنزيله**، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: **لا، ولكنه خاصف النعل**» يعني عليًا رضي الله عنه- قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه(٢).

وقد حذر منهم ﷺ بوصفهم الكاشف لهم بقطع النظر عن اسمهم ونسبتهم، ليعم الحكم كل من تلبس بما كان سببًا في هذا الحكم، أيًا كان اسمه أو نسبته.

فعن أبي سلمة وعطاء بن يسار: أنهما أتيا أبا سعيد الخدري، فسألاه عن الحرورية: أسمعت النبي ﷺ؟ قال: لا أدري ما الحرورية؟ سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج في هذه الأمة** -ولم يقل منها- **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم** -أو: **حناجرهم**- **يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلىٰ سهمه، إلىٰ نصله، إلىٰ رصافه، فيتمارىٰ في الفوقة، هل علق بها من الدم**

وفي قوله لعلي رضي الله عنه: «أنت تقتله إن وجدته» وكذلك ما بعده، أنهم يخرجون في عهد علي رضي الله عنه وأنه قاتلهم وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

(١) الآجري في «الشريعة» (٥٠)، و«معجم ابن المقرئ» (٤١١)، و«الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٢٤٩٩).

وقال: إسناده صحيح، وعند أبي نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٠)، والبزار «كشف الأستار» (١٨٥١)، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠٣٩٩، ١٠٤٠٠، ١٠٤٠١).

(٢) أخرجه النسائي في «خصائص علي» (ص٢٩)، وابن حبان (٢٢٠٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٨٧).

شيء؟» [(١)].

وكان من أسباب ضلالهم وانحرافهم أنهم يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه.

فعن مِقْسمٍ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلابٍ اللَّيْثي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلقًا نعليه بيده، فقلنا له: هل حضرْت رسول الله ﷺ حين يكلمه التّمِيميُّ يومَ حُنين؟ قال: نعم، أَقْبَلَ رجل من بني تميم، يقال له: ذو الخُوَيْصِرة، فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس، قال: يا محمَّد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجَلْ، فكيفَ رأيتَ؟**»، قال: لَمْ أرَكَ عدلتَ! قال: فغضب رسول الله ﷺ، ثم قال: «**وَيْحَكَ، إن لم يَكنِ العدلُ عندي فعنْدَ من يكون؟**»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا تَقتلُهُ؟ قالَ: «**لا، دَعُوه، فإنه سيكون له شيعة يَتَعَمَّقون في الدين، حتىٰ يخرجوا منه كما يخرج السَّهم من الرَّمِيَّة، يُنْظر في النَّصْل فلا يُوجد شيءٌ، ثمْ في القدْحِ فلا يُوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء، سَبَقَ الفَرْث والدَّم**» [(٢)].

ومن أسباب ضلالهم أنهم قوم يقابلون النصوص بآرائهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة، كما فعل كبيرهم وجدهم الأول ذو الخويصرة التميمي لما قابل فعل النبي ﷺ بعقله ورأيه فقال: «اعدل»!

وبهذا كان يعرفهم الصحابة رضي الله عنهم فعن معاذة: «أن امرأة سألت عائشة فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قالت: لست بحرورية ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة» [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٩٣١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٧٠٣٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٢١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٣٣٥) واللفظ للإمام مسلم.

وأما الانتشار فكان في الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان ﵁ وكان ذلك في عهد علي ﵁ حتى أعلن الخوارج ذلك في سنة سبع وثلاثين هجريًّا، وهو أول افتراق معلن في الأمة وكان ذلك في العراق، وهم باقون فيها يخرجون بين الحين والآخر كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج في عراض آخرهم الدجال، وقد أخبر عن ذلك النبي ﷺ فعن ابن عمر ﵄، قال: أنه سمع رسول الله ﷺ، وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»(١).

وعن يُسير بن عمرو، قال: دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ، في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله ﷺ: «**يذكر قومًا يخرجون من هاهنا**» -وأشار بيده نحو العراق(٢)- «**يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتىٰ يعود السهم إلىٰ فوقه**»، قيل: ما سيماهم؟ قال: «**سيماهم التحليق -أو قال: التسبيد-**»(٤).

وفي رواية أبي داود: «**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٠٩٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٩٠٥).

(٢) نعم صحيح بارك الله فيك! هو ما خطر ببالك، فالفتن تخرج من جهة المشرق «العراق» وما حولها! وقد وقع ما أخبر عنه ﷺ، فنحن نرى الفتن تخرج اليوم بعد اليوم من المشرق، حتى يخرج الدجال في عراضهم من جهة المشرق أيضًا، ومن آخر ما رأينا هذه الفتنة التي نحن بصددها الآن! فهذا من أعلام نبوته ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٩٧٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٥٦٢).

من الرمية لا يرجعون حتىٰ يرتد علىٰ فوقه، هم شر الخلق والخليقة طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلىٰ كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولىٰ بالله منهم» قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال: «**التحليق**»(١).

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بعدي من أمتي** -أو: **سيكون بعدي من أمتي**- **قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**»(٢).

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلىٰ عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج علىٰ أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشىٰ من مؤمنها**(٣)**، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**»(٤).

وقد أخبر النبي ﷺ: «**أن آيتهم رجل أسود، إحدىٰ عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون علىٰ حين فرقة من الناس**»(٥).

وقد وقع ما أخبر عنه ﷺ: كما أخبر، فقد أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبيد الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٤٧٦٥)، وصححه العلامة الالباني -رحمهما الله-.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦٧).

(٣) قال ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٤٤) ط/ الخانجيّ عن الأزارقة من الخوارج: «... وأباحوا دم الأطفال ممن لم يكن في عسكرهم، وقتل النساء أيضًا ممن ليس في عسكرهم»اهـ، ولذلك أحفادهم من الخوارج المعاصرين يبيحون التفجيرات رغم أنها تقتل من ليس أهلا للقتل كالنساء والشيوخ والذرية، بل ويصرحون بجواز قتل النساء والشيوخ والذرية كما في فتوى أبي قتادة الفلسطينيّ وهو من منظري التكفير والتفجير في العصر الحديث (مجلة الأنصار العدد ٩٠ ص ١٠)، وليس عنا ببعيد أحداث الجزائر في التسعينات من القرن الماضي ولا أحداث سوريا والعراق الآن نسأل الله أن يسلم المسلمين من كل مكروه وسوء.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٤٨).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٦١٠)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

بن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ: أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناسًا، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، «**يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا، منهم**، -وأشار إلى حلقه- **من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود، إحدىٰ يديه طبي شاة أو حلمة ثدي**» فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ، مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم، زاد يونس في روايته: قال بكير: وحدثني رجل عن ابن حنين أنه، قال: رأيت ذلك الأسود[(١)].

والذي قال: «لا حكم إلا لله» هما زرعة بن البرح الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي من الخوارج، وذلك لما امتنع علي عن موافقتهما على نقض العهد، فقال زرعة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله.

فقال علي: بؤسًا لك، كأني بك قتيلًا تسفي عليك الرياح قال: لوددت لو كان ذلك، وخرجا من عنده يناديان: «لا حكم إلا لله».

وخطب علي يومًا كاملًا فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة، فقال علي: «الله أكبر، كلمة حق أريد بها باطل»[(٢)].

وعن سلمة بن كهيل قال: حدثني زيد بن وهب الجهني: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلىٰ صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦٦).

(٢) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (٢/ ١١١٨).

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم، ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ، لاتكلوا عن العمل، «**وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض**» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم [(١)] وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس [(٢)]، فسيروا

(١) هذا دأب الخوارج قديماً وحديثًا قتل الأطفال «أطفال المسلمين»! انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعريّ (ص١٧٠) ت محيي الدين عبد الحميد.

(٢) لا يتحاشون من بر ولا فاجر، ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى! وانظر إلى أبي بكر البغداديّ في كلمة صوتية بعنوان «ولو كره الكافرون» يقول: «يا جنود الدولة الإسلامية امضوا في حصاد الأجناد، فجروا براكين الجهاد في كل مكان، وأشعلوا الأرض نارًا على كل طواغيت الأرض وجنودهم وأنصارهم».اهـ.

وقال متحدثهم العدناني في كلمة له بعنوان «إن ربك لبالمرصاد»: «فهيا أيها الموحد.. لا تفوتنك هذه المعركة أينما كنت، عليك بجنود وأنصار الطواغيت وعسكرهم وشرطهم وعناصر أمنهم ومباحثهم وعملائهم، قضَّ مضاجعهم، ونغص عليهم عيشهم، وأشغلهم بأنفسهم.

فإذا قدرت على قتل كافر أمريكي أو أوربي، وأخص منهم الفرنسيين الحاقدين الأنجاس، أو أسترالي أو كندي، أو غيره من الكفار المحاربين، رعايا الدول التي تحالفت على الدولة الإسلامية، فتوكل على الله، واقتله بأي وسيلة أو طريقة كانت، ولا تشاور أحدًا ولا تستفت أحدًا، سواء أكان الكافر مدنيًّا أو عسكريا، فهم في الحكم سواء، كلاهما كافر، كلاهما محارب، كلاهما مباح الدم والمال، فإن الدماء لا تعصم أو تباح بالملابس، فلا الزي المدني يعصم الدم، ولا البزة العسكرية تبيحه، وإنما يعصم الدم ويباح بالإسلام والأمان، ويباح بالكفر، فمن سمي مسلمًا، عصم دمه وماله، ومن سمي كافرًا، فماله حلال على المسلمين، ودمه مهدور مستباح، دمه دم كلب لا إثم فيه، ولا دية عليه... أتدع الأمريكي أو الفرنسي أو أي من حلفائهم يمشي على الأرض آمنًا وجيوش الصليب تدك بطائراتها بلاد المسلمين لا تفرق بين مدني أو عسكري؟!.. فإن عجزتَ عن العبوة أو الرصاصة، فاستفرد بالأمريكي أو الفرنسي الكافر، أو أي من حلفائهم، فارضخ رأسه بحجر أو انحره بسكين، أو ادهسه بسيارتك أو ارمِهِ من شاهق، أو اكتم أنفاسه أو دس له السم، فلا تعجز أو تهن، وليكن شعارك: لا نجوت إن نجا عابد الصليب ناصر الطاغوت.

فإن عجزت فاحرق منزله، أو سيارته أو تجارته، أو أتلف زراعته، فإن عجزت، فابصق في وجهه! فإن أبت

على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزلني زيد بن وهب منزلًا، حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي ﷺ: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي ﷺ بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر، ثم قال: صدق الله، وبلّغ رسوله، قال: فقام إليه عَبيدة السلمانيّ، فقال: يا أمير المؤمنين، ألله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثًا، وهو يحلف له»[1]

ثم ذهب إليهم ابن عباس ليناظرهم ويبطل حججهم فعن ابن عباس ﷺ قال: «لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ وأصحاب محمد ﷺ معه.

قال: فجعل الرجل يأتيه يقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة فإني أريد أن أدخل عليهم فأسمع من كلامهم وأكلمهم، فقال علي: أخشى عليك منهم، قال: قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت رجلًا حسن الخلق لا أوذي أحدًا.

قال: فلبست أحسن ما يكون من اليمنية وترجلت ثم دخلت عليهم وهم

نفسك ذلك وإخوانك يقصفون ويقتلون، وتستباح دماؤهم وأموالهم في كل مكان، فراجع دينك! فإنك على خطر عظيم؛ لأنه لا يقوم الدين بغير الولاء والبراء».

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦٦).

قائلون(١)، فقالوا لي: ما هذا اللباس؟ فتلوت عليهم القرآن: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ولقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من اليمنية، فقالوا: لا بأس، فما جاء بك؟

فقلت: أتيتكم من عند صاحبي، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وخَتَنه، وأصحاب رسول الله ﷺ أعلم بالوحي منكم، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم، فما الذي نقمتم؟ فقال بعضهم: إن قريشًا قوم خصمون، قال الله ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾(٢) [الزخرف: ٥٨].

فقال بعضهم: كلموه، فانتحى لي رجلان منهم أو ثلاثة، فقالوا: إن شئت تكلمت وإن شئت تكلمنا، فقلت: بل تكلموا، فقالوا: ثلاث نقمناهن عليه، جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

فقلت: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأرنب، وفي المرأة وزوجها: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، أفخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

قالوا: وأخرى محا نفسه أن يكون أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فأمير الكافرين هو.

وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرم عليه دماؤهم.

فقلت لهم: أرأيتم إن قرأتُ من كتاب الله عليكم وجئتكم به من سنة رسول الله

---

(١) من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، يقال «قال يقيل قيلولة؛ فهو قائل».

(٢) وهذه الآية إنما نزلت في كفار قريش ممن خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلها الخارجي الخبيث في ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وهو ترجمان القرآن وحبر الأمة، ومن هنا تعلم موطن العفن التكفيري كما قاله ابن عمر رضي الله عنهما.

ﷺ أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: قد سمعتم أو أراه قد بلغكم، أنه لما كان يوم الحديبية جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال النبيّ ﷺ لعلي: «**اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ**»، فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال رسول الله ﷺ لعلي: «**امح يا علي**» فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، أفخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم قتل ولم يَسب ولم يغنم أفتسبون أمكم وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟! فإن قلتم نعم فقد كفرتم بكتاب الله وخرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين، وكلما جئتهم بشيء من ذلك أقول: أفخرجتُ منها: فيقولون: نعم، قال: فرجع منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة»[(١)].

وفي أثر هو أكثر فائدة مما مضى فتأمله، وهو ما ورد عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: «قدمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فبينا نحن جلوس عندها مرجعها من العراق ليالي قتل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قالت لي: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليّ، قلت: وما لي لا أصدقك، قالت: فحدثني عن قصتهم، قلت: إن عليًّا لما أن كاتب معاوية وحكَّم الحكمين **خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس**، فنزلوا أرضًا من جانب الكوفة يقال لها: حروراء، وإنهم أنكروا عليه، فقالوا: انسلختَ من قميص ألبسكه الله وأسماك به، ثم انطلقتَ فحكَّمتَ في دين الله، ولا حكم إلا لله.

فلما أن بلغ عليًّا ما عتبوا عليه وفارقوه، أمر فأذن مؤذن: لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأ من قراء الناس الدار، دعا بمصحف عظيم فوضعه عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يديه فطفق يصكه بيده ويقول أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأله عنه، إنما هو ورق ومداد، ونحن نتكلم

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٨) والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٧٩)، وغيرهم.

بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله ﷻ في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم حرمة من امرأة ورجل.

ونقموا عليَّ أني كاتبت معاوية وكتبت علي بن أبي طالب، وقد جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال: سهيل لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قلت: فكيف أكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اكتبه**»، ثم قال: «**اكتب من محمد رسول الله ﷺ**، فقال: لو نعلم أنك رسول الله لم نخالفك، فكتب: **هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا**»، يقول الله في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء فخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله، هذا من نزل فيه وفي قومه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾، فردوه إلى صاحبه ولا توضعوه كتاب الله ﷻ، قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإذا جاءنا بحق نعرفه اتبعناه، ولئن جاءنا بالباطل لنبكتنه بباطله، ولنردنه إلى صاحبه، فواضعوه على كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب[1]، فأقبل بهم ابن الكواء حتى أدخلهم على عليّ رضي الله عنه.

فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا

(١) في رواية ابن عباس رضي الله عنهما السابقة عدد التائبين «ألفان»، وهنا في رواية عبد الله بن شداد «أربعة آلاف» والجمع ميسور ولله الحمد والمنة، فابن عباس يتكلم عن ابتداء أمر توبتهم، وابن شداد يتكلم عن انتهائه، والعلم عند الله تعالى.

حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ وتنزلوا فيها حيث شئتم، بيننا وبينكم أن نقيكم رماحنا ما لم تقطعوا سبيلًا وتطلبوا دمًا، فإنكم إن فعلتم ذلك، فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا بن شداد فقد قتلهم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء وقتلوا ابن خباب، واستحلوا أهل الذمة[(١)]، فقالت: آلله؟ قلت: آلله الذى لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثون به يقولون: ذو الثدي ذو الثدي؟ قلت: قد رأيته ووقفت عليه مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القتلى، فدعا الناس فقال: هل تعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، فلم يأتوا بثبت يعرف إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قلت: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: فهل سمعت أنت منه قال غير ذلك؟ قلت: اللهم لا، قالت: أجل صدق الله ورسوله، يرحم الله عليًّا، إنه من كلامه كان لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله»[(٢)].

وعن سعيد بن جمهان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان، قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله ﷺ «**أنهم كلاب النار**»، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم، عليك

---

(١) نعم أيها القارئ اللبيب نعلم أن ذاكرتك تلح عليك بالرجوع إلى ما قاله أبو عمر البغدادي في عقيدتهم من قوله: «**الثاني عشر**: نرى أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعليه إن أرادوا الأمن والأمان فعليهم أن يحدثوا عهدًا جديدًا مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية التي نقضوها».

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ١٥٢-١٥٤)، وعنه البيهقي (٨/ ١٧٩-١٨٠)، وأحمد (١/ ٨٦-٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٩).

بالسواد الأعظم إن كان السلطان يسمع منك، فأته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه»(١).

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال: سمعت أبا غالب يقول: لما أتي برؤوس الأزارقة فنصبت على درج دمشق، جاء أبو أمامة فلما رآهم دمعت عيناه فقال: «**كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلىٰ قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلىٰ قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء**». قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام، قال: قلنا: أبرأيك قلت: هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني لجريء بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاث قال: فعد مرارًا»(٢).

وفي رواية عند ابن ماجه عن أبي أمامة يقول: «**شر قتلىٰ قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوا كلاب أهل النار**» قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفارًا، قلت: يا أبا أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ(٣).

فإذا علمت النشأة والانتشار؛ فاعلم أن هؤلاء لهم وارثون في كل زمان إلى قيام الساعة يتصفون بما يتصف به هؤلاء الخوارج الأول، وأنهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في عراضهم.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع حتىٰ يخرج في أعراضهم الدجال**»(٤).

و عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (١٩٤١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٢١٨٣).

(٣) سنن ابن ماجه (١٧٦) وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (٣٥٥٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٧٤)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٥٥).

قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1].

وهؤلاء جميعًا في كل زمان ومكان تجمعهم صفات واحدة وتأمل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**يخرج في آخر الزمان** »، فوصفهم بما وصف به أول الخارجين كما مر معنا ويأتي أيضا -إن شاء الله-.

ومن أهم الصفات التي تجمعهم: اتباعهم للمتشابه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**»[2].

قال سعيد بن جبير: «أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢١٨٨) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٤٢٧٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٦٥).

فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون[١] هذه الآية»[٢].

فانظر إلى هذا الوفاق العجيب من هؤلاء الخوارج في أول الأمة وفي آخرها، فما قاله ﷺ في ذي الخويصرة وفي أتباعه وأصحابه، هو هو ما قاله في خوارج آخر الزمان، وعليه فإن هؤلاء الخوارج تجمعهم صفات مشتركة في كل زمان ومكان، وإن من المهم جدًّا أن نبين ما هي الصفات المشتركة بين الخوارج قديمًا وحديثًا؟ ومن المعين على ذلك معرفة مقالاتهم وآرائهم أولًا، وبالله التوفيق.

---

(١) **قال الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٤٩) ط:ابن الجوزي السعودية:** «ويمكن أن يكون من خفي هذا الباب-الجهل بكلام العرب-: مذهب الخوارج في زعمهم أنه لا تحكيم للرجال؛ استدلالًا بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فإنه مبني على أن اللفظ ورد بصيغة العموم، فلا يلحقه تخصيص، فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾، وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، وإلا فلو علموا تحقيقًا قاعدة العرب في أن العموم يراد به الخصوص؛ لم يسرعوا إلى الإنكار، ولقالوا في أنفسهم: لعل هذا العام مخصوص! فيتأولون. وفي الموضع وجه آخر مذكور في موضع غير هذا. وكثيرًا ما يوقع الجهل بكلام العرب في مخاز لا يرضى بها عاقل، أعاذنا الله من الجهل والعمل به بفضله. فمثل هذه الاستدلالات لا يُعبأ بها، وتسقط مكالمة أصحابها».

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤).

مقالات الخوارج وأصلهم الذي اجتمعوا عليه

إن الخوارج على اختلاف مقالاتهم أجمعوا على أصل واحد وهو: كفر من حكم بغير ما أنزل الله ووجوب الخروج عليه(١)، وأن قتاله أولى من قتال الكفار الأصليين.

قال شيخ الإسلام بعد ذكر حديث الخوارج: «فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا، ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها.

فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية وفي «الصحيحين» في حديث أبي سعيد: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**» وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ **فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة -لاعتقادهم أنهم مرتدون- أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره**»(٢).

قال عبد القاهر البغداديّ، بعد ذكر بعض الخوارج الذين لا يكفرون بالذنوب: «وفي هَذَا بَيَان خطأ الكعبيّ فِي حكايته عَن جَمِيع الخوارج تكفِير أصحَاب الذُّنوب كلهم مِنْهُم ومن غَيرهم، وإِنَّمَا الصَّواب فِيمَا يجمع الْخَوَارِج كلهَا مَا حكاه شيخنا أبو

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين»، (ص٢٠٤،١٦٧)، ت: محيي الدين عبد الحميد، و«الفرق بين الفرق» (ص٥٥)، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٧).

الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ من تكفيرهم عليًّا وعثمان وأصحاب الْجمل والحكمين وَمن صوبهما أَوْ صوب أحدهما أَو رضي بالتحكيم»[١].

قال أبو الحسن الأشعريّ: «جماع رأي الخوارج: أجمعت الخوارج على إكفار عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن حكَّم...»[٢].

فالعلة «التحكيم» «الحاكمية» لا عليّ نفسه، والعلة تدور مع الحكم وجودًا وعدمًا، وعليه من كفَّر بالحاكمية والحكم فهو خارجيّ وإن لم يكفر عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالعامل المشترك بين الخوارج جميعًا هو مسألة **الحكم والتحكيم!**

ولذلك تأمل أيها القارئ اللبيب في أن الخوارج كانوا قومًا من المسلمين لا فرق بينهم وبين إخوانهم بل كانوا يسمون بالقراء فلما جاءت قضية التحكيم كفَّروا بها وانحازوا إلى حروراء وخرجوا فصاروا بذلك خوارج وأنزل عليهم عليّ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحاديث الخوارج ولم يكن منهم حينها غير قضية التكفير بالتحكيم؛ فانتبه لهذا جيدًا وتذكر ما مضى ذكره من أصل الأصول عند داعش! ومن سبقها من القطبيين.

وأما التكفير بالكبيرة فإن الخوارج قد اختلفوا في ذلك، فإن «النجدات»[٣] من الخوارج لا يكفرون بالكبيرة! ولم يحكموا لمرتكب الكبيرة بالخلود في النار، إلا مع الإصرار فمن أصر فقد كفر، ومن لم يصر وإن زنى وسرق وشرب الخمر فمسلم[٤]، واعجب أن النجدات تعذر بالجهل أيضًا![٥]، والإباضية أيضًا لا تكفر مرتكب الكبيرة

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٥٥).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (ص١٧٧).

(٣) انظر: «مقالات الإسلاميين»، (ص١٦٨)، و«الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٤٥).

(٤) وهذا هو عين قول أبي إسحاق الحوينيّ؛ فهو خارجيّ؛ يقول: «إن المصر مستحل» فكفر المصر على الكبيرة كما كفرته النجدات، فهو من هذه الجهة من النجدات، ومن جهة أخرى هو من الخوارج القعدة؛ حيث إنه يهيج على الحكام ويزين الخروج عليهم، ولا يباشره بنفسه!

(٥) **قال الأشعريّ في مقالاته (ص١٧٥)**: «وعذروا -أي: النجدات- بالجهالات إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل وقالوا: **الدين أمران**: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله و وتحريم دماء

كفر ملة وإنما كفر نعمة[1]، ومع ذلك كله فهم خوارج، لشيء واحد تكفيرهم الحاكم وخروجهم عليه.

وأما قتال المسلمين جميعًا واستحلال دمائهم، فليس الخوارج جميعًا على هذا الأصل، بل من الخوارج من يرى قتال السلطان خاصةً ومن رضي بحكمه؛ فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أعان عليهم أو طعن في دينهم أو صار عونًا للسلطان أو دليلًا له، ولا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال في السر حتى يبعث الحرب، وهم الحمزية، والميمونية من العجاردة[2].

ومن الخوارج العجاردة فرقة تسمى «الأخنسية» يتوقفون عن جميع مَن في دار

المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة؛ فهذا واجب، **وما سوىٰ ذلك** فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال فمن استحل شيئًا من طريق الاجتهاد مما لعله محرم؛ فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه».اهـ. ففرقوا بين الأصول والفروع في باب التكفير ولعلهم سبقوا في هذه الضلالةِ المعتزلةَ.

وهنا لنا وقفتان:

الأولىٰ: أن من يفرق بين الأصول والفروع أو التوحيد والأحكام ونحو ذلك في التكفير والعذر بالجهل سلفه الخوارج والمعتزلة كالحازميّ والجربوع ومن لف لفهما.

الثانية: أن قول هاني السباعي-وهو من ضلال الخوارج اللاجئين -كعادة الخوارج دائمًا- إلى بلاد الكفار- في ردّه على أبي محمد العدنانيّ محاولةً لتبرئة جماعته من القول بعدم العذر بالجهل؛ لا ينفعه؛ إذ أصل الخوارج الأصيل الحاكمية والخروج، ولو زعموا العذر بالجهل.

(١) «مقالات الإسلاميين»، (ص ١٨٤)، و«الملل والنحل» (١/ ١٣٥).

(٢) «مقالات الإسلاميين»، (ص ١٧٧)، و«الملل والنحل» للشهرستاني، (١/ ١٢٩) ط: الحلبي، ولعلك تذكر ما قاله أبو عمر البغداديّ الأمير الأول لتنظيم الدولة، وما ذكره في عقيدتهم، قال: «الحادي عشر: نرى وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة وما انبثق عنهما من مسميات كحماية المنشآت النفطية وغيرها، ونرى وجوب هدم وإزالة أي مبنى أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقرًا له».

التقية من منتحلي الإسلام، وأهل القبلة، إلا من قد عرفوا منه إيمانًا فيتولونه عليه، أو كفرًا فيتبرؤون منه لأجله، ويحرمون الاغتيال والقتل في السر[(١)].

ومنهم الإباضية «زعموا أن الدار -يعنون دار مخالفيهم - دار توحيد، **إلا عسكر السلطان؛ فإنه دار كفر...**»[(٢)].

وقالوا: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنمية أموالهم من السلاح والكُراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال، وإقامة الحجة[(٣)].

ومن الخوارج «الصفريةُ الزيادية» أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة، والنجدات، والإباضية[(٤)] في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين

---

(١) «مقالات الإسلاميين»، (ص١٨٠)، و«الملل والنحل» (١/ ١٣٢)، ولعلك تذكر بذلك جماعة شكري مصطفى «التكفير والهجرة»، أو «التوقف والتبين»، فحقا لكل قوم وارث!

(٢) وعليه فلا يغتر بقول بعض خوارج العصر: **لا نكفر سوى الجيش أو الجيش والشرطة ومن عاونهم؛** كالخارجيّ! محمد عبد المقصود المصريّ؛ مع أنه بارك الديمقراطية، والحكم بغير ما أنزل الله إبان حكم الإخوان لمصر -حرسها الله من كل مكروه وسوء-، ولا يغرنّك قول رأس من رءوس الخوارج أبي عمر البغداديّ، يقول: «عاشرًا: ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته؛ فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي...».اهـ. ففاق الإباضية ضلالًا؛ إذ جعلت الإباضية الديار» «دار توحيد، **إلا عسكر السلطان؛ فإنه دار كفر**»، وهؤلاء جعلوها جميعًا ديار كفر!

(٣) «مقالات الإسلاميين» للأشعريّ (ص ١٨٥)، و«الملل والنحل» (١/ ١٣٤)؛ وعليه فلا اغترار بقول أبي عمر البغدادي في: «رابعًا:... لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه».

(٤) وهذا الخلاف لم يخرجهم عن كونهم جميعًا خوارج! فالخلاف الدائر بين هذه الجماعات التكفيرية والفصائل الخارجية؛ كالإخوان والقطبيين والقاعدة والنصرة وداعش وغيرهم لا يخرجهم عن كونهم جميعًا خوارج.

وتكفيرهم وتخليدهم في النار، وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد وقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا، والسرقة، والقذف، فيسمى زانيًا، سارقًا، قاذفًا، لا كافرًا مشركًا(١)، وقالوا: الشرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران(٢)، كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية، والبراء براءتان، براءة من أهل الحدود، سنة؛ وبراءة من أهل الجحود فريضة(٣).

فالخوارج مع اجتماعهم واتفاقهم على أصل تكفير الحكام والخروج عليهم، فقد كان بينهم اختلافات، وكان بعضهم يطعن في بعض، ويرمى بعضهم بعضًا بالضلال؛ تارةً وبالكفر تاراتٍ، وكانوا يخرجون في أماكن متفرقة، وكان لكل جماعة، أو (فرقة) منهم فكرها واسمها الخاص بها وبيان ذلك كما يلي(٤).

كانت الخوارجُ تجمعهم ضلالةٌ واحدةٌ تكفيرُ عليٍّ ومعاويةَ والحكمَين رضي الله عنهم ومن رضي **بالتحكيم** من أجل **التحكيم** كما مرّ ذكره،، **ولهذا سموا بالمُحَكِّمة**، فإنهم لما رجعوا إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء؛ كعادة الخوارج في الانحياز والبعد عن المسلمين في الأماكن النائية والبعيدة لاسيما الصحاري والجبال(٥)، ثم رفعوا شعارهم

---

(١) ولذلك فإن محاولة أبي عمر البغدادي فيما ذكر من عقيدتهم أن ينجو بجماعته وتنظيمه من الاتصاف بالخارجية، لم تفلح؛ ذلك أنه ليس من شرط في الخوارج أن يكفروا الزاني وشارب الخمر وآكل الربا ونحوه، وإنما الأصل الحاكمية والخروج كما سبق.

(٢) فقول الدواعش أو غيرهم من خوارج العصر أن الكفر كفران غير مخرج لهم عن دائرة الخوارج؛ طالما يقولون بالخروج على ولاة الجور ويكفرون بالحاكمية؛ فتدبر ذلك ولا تغفل عنه!

(٣) «الملل والنحل» (١/ ١٣٧)، و«الفرق بين الفرق» (ص ٧٠).

(٤) وانظره مفصلاً في كتب التواريخ، وكتب المقالات والفرق، وقد نقلنا منها ما تراه أعلاه.

(٥) ذكر ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٦) ط إحياء التراث: «اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: **فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها، إلىٰ جانب هذا السواد إلىٰ بعض كور الجبال**، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة».اهـ.

لا حكم إلا لله، ولهذا سموا **الحرورية** نسبةً إلى المكان، و**المحكمة** نسبة إلى مقالتهم، ثم فرقتهم الضلالات.

وأول من أحدث الخلاف بينهم **نافع بن الأزرق** والذي أحدثه البراءة من القعدة[1] والمحنة لمن قصد عسكره وإكفار من لم يهاجر إليه.

و**الأزارقة** تقول: أن كل كبيرة كفر وأن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم وأن كل مرتكب معصية كبيرة ففي النار خالدًا مخلدًا، ويكفرون عليًّا رضوان الله عليه في التحكيم، ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ويرون قتل الأطفال، وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود والى النصارى أو إلى المجوس، وكانت

فتدبر هذا وأنت تراهم يعتزلون المجتمعات الآن في الجبال والصحراوات! ومن عاش منهم بين المسلمين؛ فإنه يعتزلهم شعوريًّا.

يقول سيدهم وقطبهم: «لقد كان الرجل... يشعر في اللحظة التي يجيئ فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهدًا جديدًا منفصلًا كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية. وكان يقف من كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف الذي يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للإسلام. وبهذا الإحساس كان يتلقى هدي الإسلام الجديد... كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه تنشأ عنها عزلة كاملة في صِلاته بالمجتمع الجاهلي من حاوله وروابطه الاجتماعية فهو قد انفصل نهائيا من بيئته الجاهلية واتصل نهائيًّا ببيئته الإسلامية، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل شيء آخر... نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم كل ما حولنا جاهلية... تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد وثقافتهم فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرًا إسلاميًّا...

هو كذلك من صنع هذه الجاهلية». «معالم في الطريق» (ص١٦ – ١٨).

(١) والقعدة من الخوارج هم الذين يزينون الخروج بألسنتهم ولا يباشرونه بسيوفهم، وقد شابهت داعش في هذا الأزارقة حيث كفرت الإخوان ومَن على شاكلتهم، وبرئت منهم، حيث تركوا الجهاد وقعدوا عن القتال واتخذوا منهجًا أسموه (السلمية)، وهذا ما صرح به أبو محمد العدناني في رده على أيمن الظواهري في كلمة بعنوان: «عذرًا أمير القاعدة»، وكذلك في «السلمية دين من؟».

الأزارقة عقدت الأمر لقطري بن الفجاءة وكان قطري إذا خرج في السرايا استخلف رجلًا وكانت فيه فظاظة فشكت الأزارقة ذلك إليه فقال: لست أستخلفه بعد، ثم إنه خرج في سرية وأصبح الناس في العسكر فصلى بهم ذلك الرجل الفجر فقالوا لقطري: ألم تزعم أنك لا تستخلفه؟ وعاتبوه فقال لهم: جئتموني كفارًا حلال دماؤكم فقام صالح بن مخراق فلم يدع في القرآن موضع سجدة إلا قرأها وسجد ثم قال: أكفارًا ترانا؟ تب مما قلت فقال: يا هؤلاء إنما استفهمتكم![1] فقالوا: لابد من توبتك فخلعوه وصار قطري إلى طبرستان فغلب عليها، وكان مما قالوا: ما كف أحد يده عن القتال مذ أنزل الله ﷻ البسط إلا وهو كافر، وزعمت الأزارقة أن من قام في دار الكفر فكافر لا يسعه إلا الخروج.

ثم خرج **نجدة بن عامر الحنفي** من اليمامة في نفر من الناس، وأقبل إلى الأزارقة يريدهم فاستقبلهم نفر من أهل عسكر نافع وأخبروه ومن معه بأحداث نافع التي أحدثها وأنهم برئوا منه وفارقوه عليها، وأمّروا نجدة بالمقام وبايعوه، وأكفروا من قَالَ بإكفار الْقعدَة مِنْهُم عَن الْهِجْرَة اليهم وأكفروا من قَالَ بإمامة نَافِع.

فمكث نجدة زمانًا ثم إنه بعث بعثًا إلى أهل القطيف واستعمل عليهم ابنه فقتل وسبى وغنم، فأخذ ابن نجدة وأصحابه عدة من نسائهم فقوموا كل واحدة منهن بقيمة على أنفسهم، فنكحوهن قبل أن يقسمن وأكلوا من الغنائم قبل أن تقسم، فقال نجدة: لم يسعكم ما صنعتم فقالوا: لم نعلم أنه لا يسعنا فعذرهم نجدة بجهالتهم فتابعه على ذلك أصحابه **وعذروا بالجهالات** إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل.

وقالوا: **الدين أمران**: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله ﴿ و**تحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب**، والإقرار بما جاء من عند الله جملة؛ فهذا واجب وما سوى

(١) وهذا منهج مشاهد من الخوارج حديثًا للنجاة من الورطات، أن يكذبوا كما فعل أبو محمد العدناني لما سُقط في يد أيمن الظواهري في مسألة تبعية الدولة لتنظيم القاعدة، وقد مضى بيانه أكثر من مرة.

ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال؛ فمن استحل شيئًا من طريق الاجتهاد مما لعله محرم فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه.

وزعموا أن **من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة ثم أصر عليها فهو مشرك، وأن من زنىٰ وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم**، ويقال أن أصحاب نجدة نقموا عليه أن رجلًا من بني وائل أشار عليه بقتل من تابعه من المكرهين فانتهره نجدة، ونقم على نجدة عطيةُ أنه أنفذه في غزو البر وغزو البحر ففضل من أنفذه في غزو البر، ونقم عليه أصحابه أنه عطل حد الخمر، فاستتابه أصحابه ففعل، ثم إن طائفة منهم ندموا على استتابته وقالوا له: إن استتابتنا إياك خطأ لأنك إمام وقد تبنا فإن تبت من توبتك واستتبت الذين استتابوك وإلا نابذناك.

فخرج إلى الناس فتاب من توبته فافترق عَلَيْهِ أَصْحَابه وخلعه أكثرهم وَقَالُوا لَهُ اختر لنا إِمَامًا فَاخْتَارَ أَبَا فديك، وَصَارَ رَاشد الطَّوِيل مَعَ أَبي فديك يدًا وَاحِدَة، فَلَمَّا استولى أَبُو فديك على الْيَمَامَة علم أن أَصْحَاب نجدة إذا عَادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الْإِمَارَة فَطلب نجدة ليَقْتُلهُ فاختفى نجدة فِي دَار بعض عاذريه ينْتَظر رُجُوع عساكره الَّذين كَانَ قد فرقهم فِي سواحل الشَّام ونواحي الْيمن.

ونادى منادي أَبي فديك: من دلنا على نجدة فَلهُ عشرَة آلَاف دِرْهَم وأي مَمْلُوك دلنا عَلَيْهِ فَهُوَ حر؛ فدلت عَلَيْهِ أمة للَّذين كَانَ نجدة عِنْدهم فأنفذ أَبُو فديك راشدًا الطَّوِيل فِي عَسْكَر إليه فكبسوه وحملوا رَأسه إلى أَبي فديك.

ثم إن أصحاب نجدة أنكروا ذلك على أبي فديك وتولوا نجدة وتبرؤوا من أبي فديك، وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود وهو عامل نجدة بالجوير يخبره أنه أبصر ضلالة نجدة فقتله **وأنه أحق بالخلافة منه**، فكتب عطية إلى أبي فديك أن يبايع له مَن قِبَله وأبى ذلك أبو فديك فبرئ كل واحد منهما من صاحبه، وصارت الدار لأبي فديك وصاروا معه إلا من تولى نجدة.

فصاروا ثلاث فرق: **الفديكية** أكفرت نجدة وَصَارَت إلى أبي فديك كراشد الطَّوِيل وأبي بيهس وأبي الشمراخ وأتباعهم وَفرْقَة عذرته فِيمَا فعل وهم النجدات، وَفرْقَة من النجدات بعدوا عَن الْيَمَامَة وَكَانُوا بِنَاحِيَة الْبَصْرَة شكوا فِيمَا حكى من أحداث وهم العطوية.

ومن **العطوية** أصحاب عبد الكريم بن عجرد ويسمون **العجاردة** وهم خمس عشرة فرقة: والفرقة الرابعة منهم **الحمزية**: **يرون قتال السلطان خاصة ومن رضي بحكمه فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أعان عليهم أو طعن في دينهم أو صار عونًا للسلطان أو دليلًا له**، وحكى زرقان أن العجاردة أصحاب حمزة **لا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال في السر حتىٰ يبعث الحرب**.

والفرقة الحادية عشرة من العجاردة وهي الأولى من **الثعالبة** يدعون **الأخنسية يتوقفون عن جميع من في دار التقية من منتحلي الإسلام وأهل القبلة إلا من قد عرفوا منه إيمانًا فيتولونه عليه أو كفرًا فيتبرؤون منه لأجله**، ويحرمون الاغتيال والقتل في السر **وأن يبدأ أحد من أهل البغي من أهل القبلة بقتال حتىٰ يدعىٰ إلا من عرفوه بعينه**، فبرئت منهم الثعلبية وسموهم الأخنسية لأن الذي دعاهم إلى قولهم رجل كان يقال له الأخنس، ومن الخوارج **الصفرية** أصحاب زياد بن الأصفر...

وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية، **وجمهور الإباضية** يزعمون أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين حلال مناكحتهم وموارثتهم حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حرام ما وراء ذلك وحرام قتلهم وسبيهم في السر إلا من دعا إلى الشرك في دار التقية ودان به، **وزعموا أن الدار -يعنون دار مخالفيهم- دار توحيد إلا عسكر السلطان فإنه دار كفر يعني عندهم، وحرموا دماء مخالفيهم حتىٰ يدعوهم إلىٰ دينهم**.

فبرئت الخوارج منهم على ذلك، وقالوا: إن كل طاعة إيمان ودين وأن مرتكبي

الكبائر موحدون وليسوا بمؤمنين، وقالت طائفة من **البيهسية**: إذا كفر الإمام كفرت الرعية وقالت: الدار دار شرك وأهلها جميعًا مشركون، **وتركت الصلاة إلا خلف من تعرف**، وذهبت إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلت القتل والسبي على كل حال، وقالت البيهسية: الناس مشركون بجهل الدين مشركون بمواقعة الذنوب.

ومن رجال الخوارج ممن لم يذكر أنه خرج ولا له مذهب يعرف به[1] صالح

---

(١) وهم الخوارج القعدية أو قعد الخوارج؛ قال الحافظ في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٢٣٢) ط/ الكتب العلمية: «الخوارج القعدية- بفتحتين، هم الذين يحسّنون لغيرهم الخروج على المسلمين، ولا يباشرون القتال... وقيل: القعدية لا يرون الحرب، وإن كانوا يزينونه».اهـ.

ومنهم الحسن بن صالح «عن زافر بن سليمان: أردت الحج، فقال لي الحسن بن صالح: إن لقيت أبا عبد الله سفيان الثوريّ بمكة، فأقرئه مني السلام، وقل: أنا على الأمر الأول؛ فلقيت سفيان في الطواف، فقلت: إن أخاك الحسن بن صالح يقرأ عليك السلام ويقول: أنا على الأمر الأول، قال: فما بال الجمعة، قلت: كان يترك الجمعة، ولا يراها خلف أئمة الجور بزعمه».

وعن أبي نعيم، قال: ذكر الحسن بن صالح عند الثوري، فقال: ذاك رجل يرى السيف على أمة محمد ﷺ. قال يوسف بن أسباط: كان الحسن بن حي يرى السيف». «سير أعلام النبلاء» للذهبيّ، ط/ الرسالة (٧/ ٣٦٣).

وكان زائدة يجلس في المسجد، يحذر الناس من ابن حي، وأصحابه، قال: وكانوا يرون السيف.

قال أبو صالح الفراء: حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئًا من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه. يعني: الحسن بن حي؛ فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لِمَ يا أحمق، أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا، فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم» «سير أعلام النبلاء» ط/ الرسالة (٧/ ٣٦٤).

تأمل في موقف السلف من ابن صالح في هجره والتحذير منه وجماعته؛ لأنه يرى السيف على الأمة؛ أي: الخروج، ولا يرى الصلاة خلف ولاة الجور؛ لتعلم الموقف السلفيّ من الخوارج وأهل البدع جميعًا.

ولا تغفل عن هذا الأمر العظيم أن من زين الخروج ولم يباشره فهو خارجيّ وما أكثرهم في هذا الزمان، وهم مخانيث الخوارج وأخبث الخوارج روى أبو داود في مسائل أحمد عن عبد الله بن محمد أنه قال: «قعد الخوارج أخبث الخوارج» (ص٣٦٢) مكتبة ابن تيمية-مصر.

هذا وإن بين الحسن بن صالح وبين سيد قطب مفاوز ومع ذلك يدافع عنه ويوازن له ولغيره أهلُ البدع، وقد كان يكفّر المجتمعات ويحرف الصفات إلى آخر ما أتى من ضلالات؛ ثم هو لا يصلي الجمعة-

بن مسرح وداود وكانا يتلاقيان ويحدثان مسائل يقع لها الخلاف بين الخوارج، ثم **كانت لهما في آخر أيامهما خرجة ليست بالمشهورة**.

وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراه، إلا أن **الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف**... والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله.

والكور التي يغلب عليها الخارجية: الجزيرة والموصل وعمان وحضرموت ونواح من نواحي المغرب ونواح من نواحي خراسان[1].

كالحسن بن صالح- يقول علي عشماوي آخر قادة التنظيم السري في مذكراته (ص٦٢): كان سيد قطب لا يصلي الجمعة، وقد علمت ذلك مصادفة حين ذهبت إليه دون موعد، وكانت بيننا مناقشة ومشادة حامية وأردت أن أهدئ الموقف فقلت له: هيا إلى صلاة الجمعة، وقد فوجئت حينها قال لي أنه يرى فقهيًا أن صلاة الجمعة تسقط إذ سقطت الخلافة، وأنه لا جمعة إلا بخلافة...»، وانظر كلامنا عن الخلافة والإخوان من هذا الكتاب.

(١) انظر الكلام عن الخوارج وفرقهم ومقالاتهم في كل من: «مقالات الإسلاميين»، «الفرق بين الفرق»، الفصل بين «الملل والنحل» لابن حزم، «الملل والنحل» للشهرستاني.

الصفات التي تجمع الخوارج قديمًا وحديثًا مما مر من الأحاديث

إن للخوارج صفات اجتمعوا عليها واجتمعت عليهم قديما وحديثا منها:

أولا : الجهل:

إن من الصفات التي يشترك الخوارج قديمًا وحديثًا في الاتصاف بها، هي صفة الجهل، وعدم وجود العلماء فيهم، ولذلك لما ذهب إليهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال لهم: «جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم، وليس فيكم منهم أحد»، أي: ليس فيكم عالم بكتاب الله، فهؤلاء مع قراءتهم للقرآن إلا أنهم لا يفقهونه ولذلك قال ﷺ: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**»[1].

قال الحافظ: «(**لا يجاوز حناجرهم**) قال الداودي يريد أنهم تعلقوا بشيء منه. قلت: إن كان مراده بالتعلق الحفظ فقط دون العلم بمدلوله فعسى أن يتم له مراده، وإلا فالذي فهمه الأئمة من السياق أن المراد أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه لا يصل إلى القلب وقد وقع في حديث حذيفة نحو حديث أبي سعيد من الزيادة (**لا يجاوز تراقيهم ولا تعيه قلوبهم**)»[2].

ومعلوم أن الجهاد في سبيل الله مقرون بالعلم، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وانظر كيف قدَّم بسطة العلم على الجسم؛ لأنه لا جهاد بلا علم، ولأن القوة العلمية في الجهاد مقدمة على

(١) «معناه أن قومًا ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب» «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٥٠١).

(٢) «فتح الباري» (٩/ ١٠٠).

القوة الجسدية[١]، وأما هؤلاء فجهال وهذا الجهل فيهم له عدة صور وأسباب، فمن ذلك:

أ/ عدم رضاهم بالسنة:

وهذا ظاهر مما مر معنا من الروايات كما في رواية أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش، والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: «**إنما أتألفهم**». فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: «**من يطع الله إذا عصيت؟! أيأمنني الله علىٰ أهل الأرض فلا تأمنوني؟!**».

فتأمل كيف رضي أصحاب رسول الله بإجابته ﷺ، ولم يرض كبير الخوارج، وهكذا الخوارج لا يرضون بسنته ﷺ فهي مناقضة تماما لما هم عليه من البدعة، لاسيما في أصلهم الذي جمعهم وهو تكفير حكام المسلمين والخروج عليهم.

وجرب أن تذكر لداعشي أو إخواني أو حزبي أحاديث السمع والطاعة لأئمة الجور، وعدم جواز الخروج عليهم إلا بالكفر البواح!، وانظر كيف يكون رد فعلهم أيقنعون ويرضون ويرجعون؟!

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهم [أي: الخوارج] خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم: أحدهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل فإنك لم تعدل حتى قال له النبي ﷺ: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل**». فقوله: «فإنك لم تعدل» جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهًا وتَرْكَ عدلٍ وقوله: «اعدل» أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة

(١) مستفاد من كلام للشيخ أبي محمد خالد عبد الرحمن المصري –حفظه الله–.

التي لا تصلح، **وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لابد أن يثبت ما نفته السنة وينفي ما أثبتته السنة ويحسن ما قبحته السنة أو يقبح ما حسنت السنة وإلا لم يكن بدعة**، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل؛ لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة.

والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن.

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة علىٰ هذا؛ فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه كما يحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق[1] وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة: إما برد النقل؛ وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن»[2].

---

(١) وهو ما أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال عبد الله: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**» فقال عمرو بن عبيد: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته أو قال: لما أحببته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا» «تاريخ الإسلام» وفيات (١٤١-١٦٠/ ص٨٣٢-٩٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» ط الرسالة (٦/ ١٠٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٧٢).

ثم ذكر الخاصة الثانية لهم وهي التكفير بغير مكفر واشترك معهم فيها -كما ذكر- جمهور الرافضة وغيرهم، وسيأتي بيان ذلك -إن شاء الله- في مبحث لماذا داعش من الخوارج؟.

ب/ قتالهم الصحابة:

إذ من البداهة أن الصحابة رضي الله عنهم هم أولو العلم والفهم، وعليه فمن قاتلهم فهم أولو الجهل والعي، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٦، ١٧]، فوصف أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم بأنهم أوتوا العلم.

وقال سبحانه مخاطبًا الصحابة: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]، وعليه فمن وافقهم فقد اهتدى ومن خالفهم فقد ضل وغوى؛ فكيف بمن قاتلهم، فإن لم يكونوا أهل هداية وعلم فهم أهل غواية وجهل.

ومن تدبر خطاب القرآن للصحابة رضي الله عنهم وما وصفهم به من العلم والحكمة والهدى وما زكاهم به؛ علم أن مخالفهم هو الجاهل الغشوم الضال؛ فكيف بمن نصب لهم الحروب واستباح دماءهم وأعراضهم.

قد يقول قائل: إن خوارج اليوم لا يقعون في الصحابة.

نقول: من يقول ذلك لا يعي أن الطعن في منهاجهم والطعن فيهم سواء، إن لم يكن أشد، ولا شك أن هؤلاء بمخالفتهم منهاج الصحابة، واستقلالهم بفهم القرآن دون فهمهم مع زعمهم أنهم أهل الحق والطائفة المنصورة، قادحون في الصحابة ومنهاجهم، كالذين يتمدحون في النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا مع كونهم على البدع، بل على الزندقة فليس ذلك بنافع لهم، فكذلك هؤلاء، وانظر ما مضى من طعن سيدهم وقطبهم وعمود فسطاط فكرهم وعقيدتهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجرب أن تذكر لواحد منهم آثار الصحابة في آيات التكفير التي يعتمدون عليها، وانظر كيف يقابلها ولا يرضى بها ولا يسلم لها!

ج/ قتال الصحابة رضي الله عنهم للخوارج على تأويل القرآن:

كما مر في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلتُ على تنزيله**» فقد شبه قتال الخوارج على التأويل بقتال الكفار على التنزيل والكفار أهل جهل وضلال؛ ولذا سمي رأسهم بأبي جهل، وقتال النبي على التنزيل كان قتال حق لباطل، فقتال علي على التأويل قتال حق لباطل، وإذا كان كذلك فهو من الجهاد في سبيل الله.

ومن المعلوم أن من منهج النبيّ ﷺ في تعليم الصحابة وإرشادهم، أن يربط ما يشاهدونه واقعًا وحسًّا بما يريد أن يرشدهم إليه[1]؛ ولذلك فلا شك أن ثمة علاقة بين خصف عليّ رضي الله عنه النعل وبين قتاله للخوارج على التأويل، فالنعل رمز للأثر، والخصف الاهتمام به علمًا وعملًا ودعوة، وهؤلاء هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وهم أهل الأثر عن أبي هريرة أنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ فقال: «**أنا والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر**» ثم كأنه رفض من

(١) كما في قصة المرأة التي فقدت طفلها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي، تبتغي، إذ وجدت صبيا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار**» قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**». متفق عليه.

وكما في وصفه الدنيا بجيفة جدي أسك فعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، داخلًا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم**» رواه مسلم (٢٩٥٧).

وغير ذلك كثير لمن تأمل أحاديث البشير النذير ﷺ.

بقي[1].

أو أن إصلاح عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنعل كإصلاحه لفساد الخوارج، وهو ينبئ عن حقيقة هؤلاء، وقدرهم الوضيع![2].

د/ ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين:

ومن جهلهم أنهم ينزلون آيات نزلت في الكافرين على المؤمنين كما قال ابن عمر: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»[3].

فعن يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج[4]، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر ابن عبد الله يحدث القوم، جالس إلى سارية، عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ -يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط، ومَرَّ الناسِ عليه، -قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك - قال: غير أنه

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٧٩٢ و٣٤٠٠)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٩٣٨١).

(٢) ولذلك في حديث الافتراق قال: «**حذو النعل بالنعل**».

(٣) ذكره البخاري معلقًا مجزومًا به في باب «قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم».

(٤) ولا تغفل عن هذه الفائدة أخي الكريم، فإن للخوارج آراء مختلفة وهم فرق شتى، اختلفوا على مقالات وأراء وجمعهم أصل واحد كما سبق هو التكفير بالحكم (الحاكمية)، ولا يزال أهل البدع في شقاق وافتراق؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ٧٣١]، فمن تولى عن منهاج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد شاققهم وفارقهم، ثم هم بعد ذلك أنفسهم في شقاق واختلاف وافتراق.

قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: -يعني- فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد»[(١)].

وذكر ابن كثير في «تفسيره» عن ابن أبي حاتم بسنده إلى يزيد الفقير قال: «جلست إلى جابر بن عبد الله، وهو يحدث، فحدث أن أناسًا يخرجون من النار -قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك، فغضبت وقلت: ما أعجب من الناس، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد! تزعمون أن الله يخرج ناسا من النار، والله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]، فانتهرني أصحابه، وكان أحلمهم فقال: دعوا الرجل، إنما ذلك للكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قد جمعته قال: أليس الله يقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩] فهو ذلك المقام، فإن الله يحتبس أقوامًا بخطاياهم في النار ما شاء، لا يكلمهم، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم، قال: فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه: «**يخرج الله قومًا من النار فيدخلهم الجنة**» فقال له رجل: إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]؟! فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عاما هذه للكفار اقرأوا ما قبلها ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٠١) ط: طيبة.

يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧] هذه للكفار»[(١)].

وعن طلق بن حبيب، قال: كنت من أشد الناس تكذيبًا بالشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية ذكرها الله ﷻ فيها خلود أهل النار، فقال: يا طلق، أتراك أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنة رسول الله ﷺ؟ فاتضعت له، فقلت: لا والله، بل أنت أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنته مني، قال: فإن الذي قرأتَ أهلُها هم المشركون، ولكنْ قومٌ أصابوا ذنوبًا، فعذبوا بها، ثم أخرجوا، صُمَّتَا -وأهوى بيديه إلى أذنيه- إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرجون من النار**»، ونحن نقرأ ما تقرأ[(٢)].

وعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلًا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟**» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ، قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلمًا حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة، قال: قال رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؟ فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة»[(٣)].

وعن سعيد بن جبير، قال: «خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحدثنا

---

(١) صحيح ابن حبان (٧٤٤٠)، وصححه الألباني -رحمهما الله- في «الصحيحة» (٥٥٠٣).

(٢) «مسند» أحمد ط/ الرسالة برقم (١٤٥٣٤) ورواه ابن حبان (٩/ ٣٨٢).وانظر: «صحيح الأدب المفرد» (ص٥٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٦٩).

حديثًا حسنا، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فقال: هل تدري ما الفتنة، ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك»[١].

وعن عمران بن الحصين قال: أتى نافع بن الأزرق وأصحابه فقالوا: هلكت يا عمران، قال: ما هلكت[٢]. قالوا: بلى، قال: ما الذي أهلكني؟ قالوا: قال الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، قال: قد قاتلناهم حتى نفيناهم فكان الدين كله لله، إن شئتم حدثتكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قالوا: وأنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم شهدت رسول الله ﷺ وقد بعث جيشًا من المسلمين إلى المشركين فلما لقوهم قاتلوهم قتالًا شديدًا، فمنحوهم أكتافهم فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح، فلما غشيه قال: أشهد أن لا إله إلا الله إني مسلم، فطعنه فقتله فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**وما الذي صنعت؟**» مرة أو مرتين، فأخبره بالذي صنع، فقال له رسول الله ﷺ: «**فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه!**» قال: يا رسول الله لو شققت بطنه لكنت أعلم ما في قلبه، قال: «**فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه**» قال: فسكت عنه رسول الله ﷺ فلم يلبث إلا يسيرًا حتى مات فدفناه، فأصبح على

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٩٠٧).

(٢) وهذا منهج الأنبياء في الرد على السفهاء الأغبياء! كما قال الله عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠، ٦١].

وقال عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦، ٦٧]، وهذه من الدروس التي علينا أن نأتسي بها من منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما ائتسى الصحابة رضي الله عنهم.

ظهر الأرض، فقالوا: لعل عدوا نبشه، فدفناه ثم أمرنا غلماننا يحرسونه، فأصبح على ظهر الأرض، فقلنا: لعل الغلمان نعسوا فدفناه ثم حرسناه بأنفسنا، فأصبح على ظهر الأرض فألقيناه في بعض تلك الشعاب... فأخبر النبي ﷺ فقال: «**إن الأرض لتقبل من هو شر منه، ولكن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله**»(١).

وعن ابن أبزى: «أنه جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾، قال له: أليس الذين كفروا بربِّهم يعدلون؟ قال: بلى! قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا بن أبزى، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا! إنه رجلٌ من الخوارج! فقال: ردُّوه عليَّ، فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهبْ، ولا تضعها على غير حدِّها»(٢).

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن أبزى، عن علي قال: «أتاه رجل من الخوارج فقال له: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾. أليس كذلك؟ قال: نعم، فانصرف عنه ثم قال له علي: «ارجع ارجع، أي قل: إنما أنزلت في أهل الكتاب وهم الذين عدلوا بربهم، يعني أهل الكتاب»(٣).

قال سعيد بن جبير: «أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٠٣٩٣)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه الطبري في «جامع البيان» (١١/ ٣٥٢) برقم (٥٤٠٣١)، ط: شاكر.

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٠٦٢١).

الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية»[(١)].

٥/ يحسبون القرآن لهم وهو عليهم:

كما في حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا: «**يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم**»، وهذا من عظيم جهلهم، وأظهر الأمثلة على ذلك ما مر من استدلالاتهم بالآيات في غير محلها لاسيما قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فظنوا أنها لهم على الصحابة، فكانت للصحابة عليهم!

وأيضًا الآية التي هي عماد مذهبهم قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، وهم من أبعد الناس عن حكم الله، ومن أكثرهم مخالفة لشرع الله عز وجل، لاسيما في دماء المسلمين و«**لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»[(٢)].

وقد قالوا لعلي: «فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا لله... فقال: أصحابكم الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله عز وجل في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حرمة من امرأة ورجل».

وفي مناظرتهم لابن عباس وقولهم: «جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فقال ابن عباس: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأرنب، وفي المرأة وزوجها: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم».

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٦٨٦).

و/ أحداث الأسنان:

فإن فتنة الخوارج إنما تروج على الشباب الصغار الأغرار؛ فهم وقود فتنتهم، وحطب بدعتهم؛ وانظر جيدًا متأملًا في وجوه أتباع القاعدة وداعش والإخوان إلى آخر صنوف الخوارج اليوم تجدهم من الشبيبة حديثةٌ أعمارهم؛ كما في حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام**»، أي: غالبهم وفيهم من شيوخ الضلالة ما فيهم! وقد يحمل على جميعهم على أن يكون «الحدث الذي لم يستكمل الأمر بعد، وإن كان ابن ثمانين سنة»(١).

أو كما قال العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «لكن هؤلاء سفهاء الأحلام وإن كانوا كبار السن»(٢).

وقال العينيّ: «أحداث الأسنان جمع حدث بفتحتين وهو صغير السن وقال ابن الأثير: حداثة السن كناية عن الشباب وأول العمر... والحديث الجديد من كل شيء ويطلق على الصغير بهذا الاعتبار والمراد بالأسنان العمر يعني أنهم شباب»(٣).

قال السنديّ: «قوله: «**أحداث الأسنان**» أي: صغار الأسنان، فإنَّ حداثة السِّنِّ محلٌّ للفساد عادة»(٤).

وهؤلاء أشبه ما يكون بقول وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان في بني إسرائيل رجال أحداث الأسنان، قد قرؤوا الكتاب وعلموا علمًا، وأنهم طلبوا بقراءتهم الشرف والمال، وأنهم ابتدعوا بدعا أخذوا بها الشرف والمال في الدنيا فضلوا وأضلوا كثيرًا»(٥)

وصدق من قال: «الشّباب مظنّة الجهل، ومطيّة الذّنوب»(٦)؛ «لأن الحدث أبدًا

---

(١) «الاعتصام» للشاطبيّ (٢/ ١٧٤)

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٩٥١).

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤٢/ ٦٨).

(٤) «حاشية السندي على النسائيّ» (٧/ ٩١١).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٦٢٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٤١).

(٦) انظر: «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (٢٨٣).

أو في غالب الأمر غرٌّ لم يتحنك، ولم يرتض في صناعة رياضة تبلغه مبالغ الراسخين الأقدام في تلك الصناعة، ولذلك قالوا في المثل:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيسِ

وقد ترى فيهم من يظهر كثرة العبادة والزهادة ونحو ذلك؛ فلا يغرنّك؛ وقد مضى معنا في حديث أنس رضي الله عنه: «**كان فينا شاب** ذو زهد وعبادة» فهو شاب حديث السن ويظهر العبادة فقال النبيّ ﷺ: «**إني أرىٰ علىٰ وجهه سفعة من الشيطان**».

ز/ سفهاء الأحلام:

وكذلك مما شهدت به النصوص الشرعية على الخوارج -وهو من أعلام النبوة حيث صدقه الواقع في القديم والحديث- سفاهة عقولهم ورداءة أحلامهم.

قال ابن حجر: «قوله سفهاء الأحلام» جمع حلم بكسر أوله، والمراد به العقل، والمعنى: أن عقولهم رديئة قال النوويّ يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل»[(١)].

وقال العينيّ: «قوله: «سفهاء الأحلام» أي: ضعفاء العقول، والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل»[(٢)].

وقال أيضًا: «قوله: سفهاء الأحلام يعني: عقولهم رديئة، والأحلام جمع حلم بكسر الحاء وكأنه من الحلم بمعنى الأناءة والتثبت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء»[(٣)].

وقال القاري: «سفهاء الأحلام» أي: ضعفاء العقول والسفه في الأصل الخفة والطيش وسفه فلان رأيه إذا كان مضطربًا لا استقامة فيه، والأحلام العقول واحدها حلم بالكسر»[(٤)].

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٢١/ ٧٨٢).
(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ» (٦١/ ٤٤١).
(٣) السابق (٤٢/ ٦٨).
(٤) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ١١٣٢).

وهؤلاء أشبه ما يكون بما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضاف ضيف رجلًا من بني إسرائيل وفي داره كلبة مجحّ** [1]، **فقالت الكلبة: والله لا أنبح ضيف أهلي، قال: فعوىٰ جراؤها في بطنها قال: قيل: ما هذا؟ قال: فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ رجل منهم: هذا مثل أمّة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها أحلامها**» [2].

ولله درّ الإمام البخاريّ -رحمه الله تعالى- بوّب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ» [3]. وأطلق ولم يقيد مع أن الحديث: «**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَىٰ يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**»، وذلك -والله أعلم- لأن العلة واحدة وهي **صغر السن وسفه العقول** سواء كانوا من قريش أو من غيرها.

ومن نظر إلى الدواعش والقاعدة وغيرها من الخوارج نظرة عجلى**!** لا أقول متفحصة وجد مصداق ذلك؛ بل شهد شاهد من أهلها على ذلك يقول الخارجيّ أبو قتادة الفلسطينيّ: «وما فعلته جماعةُ (الدولة) هو إذهاب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة جماعات الجهاد -أي جماعة القاعدة- إلى الدم الصريح وإعطاءِ هذا السفكِ للدم الحرام صفةَ الشرعيةِ حيث سنجد فقه (البغاة) كما **أعلن الجاهلُ المركبُ العدنانيُّ** [4] **في بيانه هذا**، حيث حذَّر من شق عصا الطاعة، وأن حكمَها الدمُ والقتلُ، بل سنجدُ كلابَ أهلِ النار يكفرون المخالفَ لإمامهم وأميرهم كما فعل أشياعُهم القدماءُ وجماعةُ (الخلافة)، وسيكونُ هذا في هؤلاء كذلك، وإن كان مثل هذه الأمور لا تَظهر رأسًا بل تتسللُ تباعًا كما رأينا منهم ذلك قبل إعلان الخلافة؛

(١) مجحّ: أي حامل وقرب وقت ولادتها.

(٢) أحمد (٢/ ٠٧١) برقم (٨٨٥٦) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) «صحيح البخاريّ» (٩/ ٧٤).

(٤) وصدق وهو كذوب «كثير الكذب على الشرع وينسب إليه ما ليس منه»؛ وإذا كان هذا حال المتحدث الرسميّ فكيف بالرعاع الأتباع؟!

إذ كان خلافهم مع جبهة النصرة علىٰ الإمارة والقيادة ثم تحوَّل تباعًا إلىٰ التكفير واستحلال الدماء، ومن قرأ تاريخَ الجماعاتِ فلن يتعجبَ من تلبيس الأهواء أدلةَ الشرعِ والدين فهذا أسهلُ ما يأتيه هؤلاء»(١).

ح/ ضعف فقههم في الدين:

وكذلك من صفاتهم قديمًا وحديثًا عدم الفقه في الدين لقول النبي ﷺ: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**»، فلا يفقهون كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنهم كانوا يتأولونه بغير علم بالسنة المبينة، فكانوا قد حرموا فهمه والأجر على تلاوته، فهذا والله أعلم معنى قوله: «**لا يجاوز حناجرهم**»، يقول: لا ينتفعون بقراءته، كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب بما لا يجاوز حنجرته»(٢).

وقال أيضًا: «وأما قوله: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**» فمعناه: أنهم لم ينتفعوا بقراءته إذ تأولوه على غير سبيل السنة المبينة له وإنما حملهم على جهل السنة ومعاداتها وتكفيرهم السلف ومن سلك سبيلهم وردهم لشهاداتهم ورواياتهم، تأولوا القرآن بآرائهم فضلوا وأضلوا فلم ينتفعوا به ولا حصلوا من تلاوته إلا على ما يحصل عليه الماضغ الذي يبلع ولا يجاوز ما في فيه من الطعام حنجرته»(٣).

وقال الشاطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: أنهم لم يتفقهوا فيه، فهو في ألسنتهم لا في قلوبهم»(٤).

وقال أيضًا: «فإنهم أخذوا أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه حتى ابتدعوا فيه ثم لم يتفقهوا فيه، ولا عرفوا مقاصده، ولذلك اطرحوا كتب العلماء وسموها كتب الرأي

---

(١) «ثياب الخليفة» (ص٨).

(٢) «التمهيد» (٢٢/ ٣٢٣).

(٣) «الاستذكار» (٢/ ٤٩٩).

(٤) «الاعتصام» للشاطبيّ (٢/ ١٧٤).

وخرقوها ومزقوا أدمها، مع أن الفقهاء هم الذين بينوا في كتبهم معاني الكتاب والسنة على الوجه الذي ينبغي، وأخذوا في قتال أهل الإسلام بتأويل فاسد، زعموا عليهم أنهم مجسمون وأنهم غير موحدين، وتركوا الانفراد بقتال أهل الكفر من النصارى المجاورين لهم وغيرهم»[(١)].

وشهد شاهد من الخوارج على خوارج داعش:

يقول الخارجيّ أبو قتادة الفلسطينيّ: «إن ما أراده البغداديُّ **إن كان هو صاحبَ الأمر حقًّا في هذا التنظيم** -مع أني في شكٍّ من ذلك- فإن الكثيرَ من الإشارات تدلُّ أن الرجلَ حالُه مع غيره كحال محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) مع جهيمان[(٢)]، **حيث الضعفُ النفسيُّ الذي يحققُ سلاسةَ القيادة لمثل العدنانيِّ وغيره** ممن وصلني عنهم هذه الأخبارُ ومعانيها، أقول إن ما أراده البغداديُّ بإعلان الخلافة قطعُ الطريق على الخلافِ الشديدِ على إمرة الجهاد في بلاد الشام الواقع بينهم وبين جماعة النصرة، **وخاصة بعد أن تبيَّن كذبُ دعواهم أن لا بيعة في أعناقهم للدكتور أيمن**، والبغداديُّ في حالة سباتٍ شتويٍّ لا يقدرُ على الإجابة والرد، إذ يقومُ بدلًا عنه من يتقنُ الشتمَ والرجمَ، **بل خلتِ الجماعةُ من طالبِ علمٍ شرعيٍّ له ملكةُ الحديثِ بالشرع في هذا الباب**، فإن خرجَ بعضُهم فتحدثَ أتى بالمصائبِ والفواقر، فلم يبقَ إلا علوُّ الصوتِ والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء»[(٣)].

وقال أيضًا: «وأهلُ الإسلامِ اليومَ فيهم الكثيرُ ممن يَظنُّ أن هناك الكثيرَ من

---

(١) السابق (٣/ ١٥٩).

(٢) قال العلامة الألباني -رحمه الله- : «... جماعة (جهيمان) السعودي الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيرا من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرهم» سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٨٧٢).

(٣) «ثياب الخليفة» (ص٨).

الإسلام الذي يُمكنُ أن نكتشفَه ولم يكتشفْه الأوائلُ، وهي نزعةٌ سَرَتْ إلى المجاهدين من التيار السلفيّ الجديد[١]، وهذا يشكل انقطاعًا عن العلم بشقيه المقروء والمسموع، أما المقروءُ فهو القديم وأما المسموعُ فهو الجديد، وبهذا دخل الدخنُ على التيارِ الجهادي؛ وحيث بيئةُ الجهادِ هي القتلُ والقتالُ فإن الصوتَ المرتفعَ الغالبَ في هذه البيئات إن خلت من العلماءِ هو صوتُ الغلو، ومن عاش تجربةَ الجزائر علم هذا يقينًا، واليومَ نراه في صوت العدنانيِّ وأمثاله»[٢].

ط/ لا يوجد فيهم علماء:

لأثر ابن عباس رَضِوَلِللَّهُعَنْهُمَا قال لهم: «جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم، وليس فيكم منهم أحد»؛ أي: ليس فيكم عالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وسبق قول الخارجيّ أبي قتادة الفلسطينيّ: «والبغداديُّ في حالة سباتٍ شتويٍّ لا يقدرُ على الإجابة والرد؛ إذ يقومُ بدلًا عنه من يتقنُ الشتمَ والرجمَ، **بل خلتِ الجماعةُ من طالبِ علمٍ شرعيٍّ له ملكةُ الحديثِ بالشرع في هذا الباب،** فإن خرجَ بعضُهم فتحدثَ أتى بالمصائبِ والفواقر، فلم يبقَ إلا علوُّ الصوتِ والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء»[٣].

والعلماء هم البدور التي يضيء الله تعالى بها الطريق لعباده فمن ابتعد عنهم و ﴿أَتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال النبيّ ﷺ: «... وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على

(١) وهذه من أعظم كذباتهم التي يروجون بها بدعهم وضلالاتهم، وهي أشد خطورة من زعم الأشاعرة أنهم أهل السنة، ولا يزال أهل الباطل ينسبون أنفسهم للحق وأهله؛ وكفى الباطل قبحا أن يتبرأ منه أهله، وكفى الحق شرفًا أن ينتسب إليه من ليس أهله!

(٢) «ثياب الخليفة» (ص١٠).

(٣) «ثياب الخليفة» (ص٨).

سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

قال أبو الحسن المباركفوريّ: «و«**إن فضل العالم**» والمراد به من غلب عليه الاشتغال بالعلم على عبادته النافلة. «**علىٰ العابد**» المراد به من غلب عبادته على الاشتغال بالعلم «**كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب**» شبه العابد بالكواكب؛ لأن كمال العبادة ونورها لا يتعدى منه على غيره، وشبه العالم بالقمر الذى يتعدى نوره ويستضيء به وجه الأرض؛ لأن كمال العلم ونوره يتعدى إلى غيره فيستضيء بنوره المتلقى عن النبي ﷺ الذي هو شمس العلم والدين، وإنما قيده بليلة البدر لكمال إضاءة القمر فيها وانمحاء الكواكب في شعاعها»[1].

ي/ يقابلون النصوص بآرائهم وعقولهم:

كما فعل كبيرهم وجدهم الأول ذو الخويصرة التميمي لما قابل فعل النبي ﷺ بعقله ورأيه فقال: اعدل! وبهذا كان يعرفهم الصحابة رضي الله عنهم فعن معاذة: «أن امرأة سألت عائشة فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قالت: لست بحرورية، ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

ك/ يتعمقون في الدين حتىٰ يخرجوا منه:

لحديث عمرو بن العاص مرفوعًا: «**سيكون له شيعة يَتَعَمَّقون في الدين حتىٰ يخرجوا منه**»[2]، فإن هذا التعمق والتكلف بما لم يكلفوا به كان سببًا في جهلهم وخروجهم من الدين، قال الحافظ: «عن أنس: ذكر لي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن فيكم قوما يدأبون ويعملون حتىٰ يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم**»

---

(١) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٨١٣).

(٢) قال الهيثمي ٦/ ٨٢٢: رواه أحمد والطبراني باختصار ورجال أحمد ثقات.اهـ، وقال الألباني: إسناده جيدكما في ظلال الجنة حديث رقم (٠٣٩).

ومن طريق حفص بن أخي أنس عن عمه بلفظ «**يتعمقون في الدين**» وفي حديث بن عباس عند الطبراني في قصة مناظرته للخوارج قال: «فأتيتهم فدخلت على قوم لم أر أشد اجتهادا منهم أيديهم كأنها ثفن الإبل ووجوههم معلمة من آثار السجود» وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس أنه ذكر عنده الخوارج واجتهادهم في العبادة فقال: «ليسوا أشد اجتهادا من الرهبان»(١).

ل/ يسفكون الدم الحرام:

قال رسول الله ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»(٣).

وعنه رضي الله عنه: أنه قال: «**إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله**»(٤).

ومن طرائف جهلهم:

أن فرقة منهم اسمها النجدات أتباع نجدة بن عامر بعد أن أحدث نجدة هذا أمورًا وَمنها أن عذر أتباعه بالجهالات استتابه أكثر أَتْبَاعه من إحداثه، وَقَالُوا لَهُ: اخْرُج إلى الْمَسْجِد وَتب من إحداثك فَفعل ذَلِك ثمَّ ان قومًا مِنْهُم ندموا على استتابته وانضموا إلى العاذرين لَهُ وَقَالُوا لَهُ أَنْت الإِمَام وَلَك الِاجْتِهَاد وَلم يكن لنا أن نستتيبك فتب من توبتك واستتب الَّذين استتابوك وَإِلَّا نابذناك فَفعل ذَلِك فافترق عَلَيْهِ أَصْحَابه وخلعه أكثرهم، وَقَالُوا لَهُ: اختر لنا إِمَامًا(٥).

(١) فتح الباري لابن حجر (٢١/ ٩٨٢).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٣، ١٥٣٤)، ومسلم برقم (٤٦٠١).
(٣) رواه: الإمام أحمد، والبخاري (٢٦٨٦).
(٤) رواه البخاري (٣٦٨٦).
(٥) «مقالات الإسلاميين»، (ص ٤٧١: ٦٧١)، و«الفرق بين الفرق»، (ص ٩٦).

ومن طريف جهلهم ما وقع مع شعيب- وإليه تنسب الشعيبية من الخوارج- ورجل من الْخَوَارِج اسْمه مَيْمُون -وإليه تنسب الميمونية من الخوارج- وَكَانَ السَّبَب فِي ذَلِك: أَنه كَانَ لميمون على شُعَيْب مَال فتقاضاه فَقَالَ لَهُ شُعَيْب: أعطيكه إِن شَاءَ الله فَقَالَ لَهُ مَيْمُون: قد شَاءَ الله ذَلِك السَّاعَة فَقَالَ شُعَيْب: لَو كَانَ قد شَاءَ ذَلِك لم أستطع أَلا أعطيكه فَقَالَ مَيْمُون قد أَمرك الله بذلك وكل مَا أَمر بِهِ، فقد شاءه وَمَا لم يَشَأْ لم يَأْمر بِهِ فافترقت العجاردة عِنْد ذَلِك فتبع قوم شعيبًا وَتبع آخَرُونَ ميمونًا وَكَتَبُوا فِي ذَلِك إِلى عبد الْكَرِيم بن عجرد وَهُوَ يَوْمئِذٍ فِي حبس السُّلْطَان فَكتب فِي جوابهم؛ إِنَّمَا نقُول: مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن وَلَا نلحق بِاللهَّ سُوءًا فوصل الْجَواب إليهم بعد موت ابْن عجرد وَادّعى مَيْمُون أَنه قَالَ بقوله لِأَنَّهُ قَالَ لَا نلحق بِاللهَّ سُوءًا، وَقَالَ شُعَيْب: بل قَالَ بقولي لِأَنَّهُ قَالَ: نقُول مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن، فتولوا جميعًا عبد الكريم وبرئ بعضهم من بعض»[(١)].

ومن طريف جهلهم أيضا أَن عبد الْكَرِيم بن عجرد وكَانَ الإِمَام إِلى أَن خَالفه ثَعْلَبَة فِي حكم الأطفال فَلَمَّا اخْتلفَا فِي ذَلِك كفّر ابن عجرد وَصَارَ ثَعْلَبَة إِمَامًا، وَالسَّبَب فِي اخْتِلَافهمَا: أَن رجلًا من العجاردة خطب إِلى ثَعْلَبَة بنته فَقَالَ لَهُ: بَين مهرهَا فَأرْسل الْخَاطِب امْرَأَة إِلى أم تِلْكَ الْبِنْت يسْأَلهَا: هَل بلغت الْبِنْت، فَإِن كَانَت قد بلغت ووصفت الإسلام على الشَّرْط الذى تعتبره العجاردة لم يبال كم كَانَ مهرهَا فَقَالَت أمها: هي مسلمة فِي الْولَايَة بلغت أم لم تبلغ فأخبر بذلك عبد الْكَرِيم بن عجرد وثعلبة بن مشكان فَاخْتَارَ عبد الْكَرِيم الْبَرَاءَة من الأطفال قبل الْبلُوغ وَقَالَ ثَعْلَبَة: نَحن على ولايتهم صغَارًا وكبارًا إِلى أَن يبين لنا مِنْهُم إِنْكَار للحق فَلَمَّا اخْتلفَا فِي ذَلِك برئ كل وَاحِد مِنْهُمَا من صَاحبه وَصَارَ أَتبَاع كل وَاحِد مِنْهُمَا فرقًا»[(٢)].

---

(١) «مقالات الإسلاميين»، (ص ٨٧١)، و«الفرق بين الفرق» (ص ٤٧).

(٢) «مقالات الإسلاميين»، (ص٠٩١)، و«الفرق بين الفرق»، (ص ٠٨).

ثانيا: لبس الحق بالباطل:

ومن صفات الخوارج قديمًا وحديثًا، لبس الحق بالباطل، فإن جدهم وشيخهم الأول ذا الخويصرة التميمي أظهر فتنته بالمال في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوته إلى العدل والتقوى!

وهذه صفة لازمة لهم جميعًا، ولكل أهل البدع أنهم يلبسون الحق بالباطل، ولذلك لما خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: «لا حكم إلا لله» فقال علي لهم: «كلمة حق أريد بها باطل»، وهذه الصفة فيهم لها عدة صور فمن ذلك:

أ/ يدعون إلىٰ كتاب الله وليسوا منه في شيء:

كما في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**يدعون إلىٰ كتاب الله وليسوا منه في شيء**»، فهم في دعوتهم يوهمون الناس أنهم منه ينطلقون، وعنه يصدرون، وليسوا منه في شيء، وقد مضى كثير من ذلك.

ب/ يقولون من قول خير البرية:

ومن تمويههم ولبسهم الحق بالباطل، أنهم «**يقولون من قول خير البرية**» كما في حديث علي مرفوعًا، وبهذا يوهمون الناس أنهم من أتباعه ﷺ، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إذ الباطل المحض لا يقبل بحال»[(١)].

وقال أيضًا: «وأكثر ما ينفق بين المسلمين ما فيه حق وباطل إذ الباطل؛ المحض لا يبقى بينهم، وذلك يتضمن التحالف على غير ما أمر الله به والتبديل لدين الله بما لبّس من الحق بالباطل، وهذه حال اليهود والنصارى وسائر أهل الضلال فإنهم عدلوا عما أمرهم الله باتباعه فلبسوه بباطل ابتدعوه بدلوا به دين الله وتحالفوا على ذلك الذى ابتدعوه»[(٢)]

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٥).

(٢) «جامع الرسائل» لابن تيمية – ت: رشاد سالم (٢/ ٧١٣).

ج/ ينطلقون إلىٰ آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين:

كما في أثر ابن عمر: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»(١).

وعن ابن أبزىٰ: «أنه جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]، قال له: أليس الذين كفروا بربِّهم يعدلون؟ قال: بلى! قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا بن أبزى، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا! إنه رجلٌ من الخوارج! فقال: ردّوه عليّ، فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهبْ، ولا تضعها على غير حدِّها»(٢).

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن أبزىٰ، عن علي قال: «أتاه رجل من الخوارج فقال له: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]. أليس كذلك؟ قال: نعم، فانصرف عنه ثم قال له علي: ارجع ارجع، أي: قل: إنما أنزلت في أهل الكتاب وهم الذين عدلوا بربهم، يعني أهل الكتاب»(٣).

وهذا كله من تلبيسهم ولبسهم الحق بالباطل.

د/ يتبعون المتشابه من القرآن «يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه»:

والخوارج يتبعون المتشابه من القرآن، ولا يردونه إلى المحكم، وفي ذلك أثر أبي أمامة في تفسير قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ قال: هم الخوارج»(٤).

وعن طاوس قال: «ذكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن،

(١) ذكره البخاري معلقًا مجزومًا به في باب «قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم».
(٢) رواه الطبري في «جامع البيان» (١١/ ٣٥٢) برقم (١٣٠٤٥)، ط: شاكر.
(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٢٦٠).
(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٢٥٩).

قال: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عن متشابهه، وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] [١].

وقال سعيد بن جبير: «أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية» [٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم** [٣]» [٤].

وصفات الخوارج في الأحاديث كثيرة جدًّا ولكن هذه أظهرها، وهي مما يتعلق ببحثنا أصالة والله الموفق.

---

(١) «الشريعة» للآجريّ (١/ ٤٤١/ ٧٤). و«المصنف» لابن أبي شيبة (٧/ ٦٥٥/ ٢٠٩٧٣).

(٢) أخرجه الآجريّ في «الشريعة» (٤٤).

(٣) قال: «فاحذروهم» ولم يقل: فاحذروا بدعتهم كما يقول أهل التمييع.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، برقم (٣٧٢٤)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٥٦٦٢).

لماذا «داعش» من الخوارج؟

لقد بيَّنَّا كثيرًا أثناء هذا البحث لماذا داعش من الخوارج، ولكنه متناثر في صفحات البحث، مما قد يغيب عن بعض القراء ولذلك نجمل ما فصلناه من قبلُ في أسباب كون داعش قرنًا من قرون الخوارج في هذا العصر، لاسيما **وكثير من الناس يسأل: كيف تكون داعش خوارج ولم يخرجوا إلا علىٰ الكافرين من الروافض والنصيرية فكيف يكونون من الخوارج؟**

الجواب:

كل أهل البدع خوارج كما كان أيوب السختياني يسمي أصحاب البدع: خوارج، ويقول: «الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السَّيف»[(١)].

ولذلك كان يستدل بأحاديث الخوارج على أهل البدع جميعًا؛ فعن سلام بن أبي مطيع قال: «قال سعيد لأيوب: يا أبا بكر، إن عمرو بن عبيد قد رجع عن قوله، قال سلام: وكان الناس قد قالوا ذلك تلك الأيام إنه قد رجع قال أيوب: إنه لم يرجع قال: بلى إنه قد رجع قال: إنه لم يرجع، قالها غير مرة ثم قال أيوب: أما سمعت إلى قوله يعني في الحديث: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولا يعودون فيه حتىٰ يعود السهم إلىٰ فوقه**» إنه لا يرجع أبدًا».

وعمرو بن عبيد من أهل الاعتزال كما جاء في السنة عن سلام بن أبي مطيع قال: «كنت أمشي مع أيوب في جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن

(١) انظر: «الشريعة» للآجري (٢٠٥٧).

عبيد في الاعتزال، ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه قال: فقال لي أيوب من غير أن أسأله: لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه»(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ **وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته»**(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **بعد ذكر حديث الخوارج:** «فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا، ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها.

فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية.

وفي «الصحيحين» في حديث أبي سعيد: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**» وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ **فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة -لاعتقادهم أنهم مرتدون- أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره»**(٣).اهـ.

وهؤلاء إنما اختصوا بذلك الاسم لقرب العهد، ولا يمنع ذلك جريانه على غيرهم.

كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذه النصوص المتواترة عن النبي ﷺ في الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظا أو معنى من كان في معناهم من أهل

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٨٣٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٧٤).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٨٢/ ٧٩٤).

الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين؛ بل بعض هؤلاء شر من الخوارج الحرورية؛ مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية وكل من اعتقد في بشر أنه إله أو في غير الأنبياء أنه نبي وقاتل على ذلك المسلمين: فهو شر من الخوارج الحرورية.

والنبي ﷺ إنما ذكر الخوارج الحرورية لأنهم أول صنف من أهل البدع خرجوا بعده؛ بل أولهم خرج في حياته؛ فذكرهم لقربهم من زمانه كما خص الله ورسوله أشياء بالذكر لوقوعها في ذلك الزمان مثل قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]. وقوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ونحو ذلك، ومثل تعيين النبي ﷺ قبائل من الأنصار وتخصيصه أسلم وغفار وجهينة وتميمًا وأسدًا وغطفان وغيرهم بأحكام؛ **لمعان قامت بهم وكل من وجدت فيه تلك المعاني ألحق بهم؛ لأن التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم؛ بل لحاجة المخاطبين إذ ذاك إلىٰ تعيينهم؛ هذا إذا لم تكن ألفاظه شاملة لهم»**[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهم [أي: الخوارج] خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ؛ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: «اعدل فإنك لم تعدل» حتى قال له النبي ﷺ: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل**». فقوله: «فإنك لم تعدل» جَعْلٌ منه لفعل النبي ﷺ سفهًا وتَرْكَ عَدْلٍ وقوله: «اعدل» أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح.

وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لابد أن يثبت ما نفته السنة، وينفي ما أثبتته السنة، ويحسن ما قبحته السنة ويقبح ما حسنت السنة، وإلا لم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٦).

يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل؛ لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة.

والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف بزعمهم ظاهر القرآن.

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة علىٰ هذا؛ فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة: إما برد النقل؛ وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن.

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة؛ وجمهور المعتزلة؛ والجهمية؛ وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم، فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرًا.

فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم، وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة، ومن كفَّر المسلمين بما رآه ذنبًا سواء كان دينًا أو لم يكن دينًا، وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة، وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين»[(١)].

وكل هذا ينطبق تمام الانطباق على داعش، ولو لم يحملوا السلاح إلا على

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٧٢).

الرافضة، بل ولو لم يحملوه أصلًا، فلا تغفل عن الخوارج القعدة الذين سبق بيان حالهم، وهم: الذين يزينون الخروج على الحكام ولا يباشرونه بأنفسهم، وداعش لم تزين الخروج فحسب بل كفرت جميع الحكام في كل البلاد المسلمة، وأتباعهم في كل بلد يكفرون حكامهم ويخرجون عليهم، وما يحدث من تفجيرات واغتيالات في سيناء ليس عنا ببعيد، فلكل ما سبق كانت داعش من الخوارج.

وإليك إجماله، فنقول:

أولًا: اتفاقهم على أصل واحد وهو التكفير بالحكم، أو ما أسموه هم بالحاكمية[1]، وقد سُموا قديماً بالمحكمة، وهذا الأصل يجمع الخوارج في كل زمان ومكان، فإذا رأيت الرجل يكفر بهذا الذنب فاعلم أنه خارجي، وإن زعم أنه لا يكفر بالذنوب، ولو قال: إن الكفر كفران أكبر وأصغر، فإن أعظم علامة وآصَلَ أصل عند الخوارج التكفير بمسألة الحكم كما مضى في مبحث «مقالات الخوارج».

ثانيًا: لا يحكمون بما أنزل الله، وهذا من عجيب حال الخوارج، فإنهم يكفّرون من لم يحكم بما أنزل الله من غير تفصيل، ثم هم أنفسهم لا يحكمون بما أنزل الله، وذاك أنهم أصلًا ضلوا في فهم «ما أنزل الله» فحصروه في الحدود، وهذا غلط عظيم.

والصواب: أن ما أنزل الله هو كل ما جاء به رسول الله فريضة ونفلًا، عبادة وعملًا، عقيدة وخُلقًا، وأما الخوارج فإنهم يخالفون في العقيدة والمنهاج فيحكمون فيها بغير ما جاء عن رسول الله ﷺ فتراهم يقرون التعددية الحزبية، وما يسمى بالجماعات الإسلامية، وغير ذلك من مخالفاتهم في المعتقد والمنهاج، وقد مر منه الكثير!

ثالثًا: خروجهم من المشرق! وهذا من أعلام نبوته ﷺ؛ فإنه أخبر أولًا أن الخوارج الأُول الذين خرجوا على الصحابة يخرجون من المشرق، وقد كان ما أخبر

(١) **قال جامع المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (١/ ٥٧٤):** «وسمعته يقول: كلمة الحاكمية بدعة أصلها من المستشرقين تلقفها منهم بعض الناس».

عنه ﷺ، وأخبر ﷺ عن الفتن عمومًا عبر الزمان تأتي من المشرق عمومًا ومن العراق خصوصًا؛ كما جاء عن يسير بن عمرو قال: دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله ﷺ: «**يذكر قومًا يخرجون من هاهنا** -وأشار بيده نحو العراق- **يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(٢).

فخرج تنظيم داعش ومن قبله تنظيم القاعدة وكان مخرجهم واحدًا وهو المشرق اتفاقا مع مكان خروج أسلافهم(٣)، ولا عجب فقد أخبر عن ذلك ﷺ.

رابعًا: الانعزال عن المجتمعات المسلمة بعد تكفيرها، كذا فعل الخوارج قديمًا، فقد كفروا الصحابة ثم انعزلوا إلى حروراء، وكذلك فعل تنظيم داعش ومن قبله تنظيم القاعدة، فقد كفروا المسلمين واعتبروا أن جميع الديار ديار كفر إلا من ديارهم! ثم انعزلوا عنها وعن أهلها! في الجبال والصحاري!

خامسًا: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وذلك أنهم يكفرون من لم يكفره الله ورسوله من المسلمين، ويحكمون عليهم بأنهم مرتدون، ثم يقولون: قتال المرتد أوجب من قتال اليهود والنصارى، فيقتلون المسلم ويدعون الكافر! وهذا ما فعلته الخوارج قديمًا، وهو ما تفعله داعش وأتباعها حديثًا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٩٧٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢١٨٨)، وغيره، وصححه الألباني.

(٣) واعلم أن بعض الفتن قد لا تخرج من المشرق، ولكن هذا من باب العارض النادر الذي لا يندرج تحت العموم.

سادسًا: اتباع المتشابه من القرآن، فكما استدلت الخوارج الأول بآيات من القرآن هن من المتشابهات كآيات الحكم، واتبعوا ذلك؛ فعلت خوارج العصر من داعش وغيرها، وهذه صفة عامة لكل من خالف منهاج النبوة ولذلك قال فيهم رب العالمين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

سابعًا: كثرة الاختلافات والانشقاقات، فقد رأيت كيف اختلفت الخوارج قديمًا إلى قعدة، وأزارقة، وعجاردة... إلخ، فقد انقسم وارثو ضلالهم حديثًا إلى إخوان ثم إلى جهاديين -بزعمهم- ثم تنظيم القاعدة ثم تنظيم الدولة داعش ولا زالت الانشقاقات والاختلافات بينهم ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٣، ٥٤].

ثامنًا: اتخاذهم الشعارات البراقة يخدعون بها الناس، يقولون الحق يريدون به أبطل الباطل كما قالت الخوارج قديمًا: «لا حكم إلا لله»، كذلك قالت داعش: نريد أن نطبق حكم الله، نريد أن نقيم خلافة رسول الله، ولكنهم كما قال ﷺ: «**يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا، منهم**، -وأشار إلى حلقه- **من أبغض خلق الله إليه**».

تاسعًا: حداثة سنهم وقلة علمهم وانتشار الجهل بينهم وعدم وجود علماء فيهم، وكل ذلك وجد في الخوارج قديمًا كما مر، وهو آكد في الخوارج حديثًا، فإنهم هم السفهاء أحلامًا، الحدثاء أسنانًا، ووجود العلماء فيهم كولوج الجمل من سم الخياط، وإلا لتركهم، وتبرأ من شناعاتهم؛ وقد سبق النقل عنهم بأقلامهم واعترافاتهم بعدم وجود علماء فيهم!

عاشرًا: يسفكون الدم الحرام، وذلك لجهلهم وقبح منهجهم وسوء معتقدهم، فيكفرون المسلم ثم يستحلون منه ما يستحلون من الكافر، ويزعمون أنهم مجاهدون وشرط الجهاد العلم، وهذا دأب الخوارج من قديم، ولذلك قال فيهم علي رضي الله عنه: «فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس» أي: لا يتحاشون من بر ولا فاجر، ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى! ولا حربيّ ولا غيره وهذا ما يفتون به الآن ويقررونه بين جنودهم ويفعلونه بتفجيراتهم.

الحادي عشر: زعمهم أن ديارهم وحدهم هي دار الإيمان، وديار غيرهم هي دار الكفر والطغيان، وهذا من أصول الخوارج في كل زمان كما قال شيخ الإسلام في بيان حال الخوارج: «الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة؛ وجمهور المعتزلة؛ والجهمية؛ وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم، فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرًا»[1].

وبهذا تعلم أن داعش هم قرن الخوارج في هذا العصر، وقد تبين ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، فإذا علمت أنهم خوارج؛ فعليك أن تعلم ماذا ينبني على كونهم خوارج؟!

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٧٢).

ماذا ينبني على معرفة كون داعش من الخوارج

إذا ثبت -وقد ثبت- أن داعش هي قرن الخوارج في هذا العصر، فإنه ينبني على ذلك عدة أمور ينبغي معرفتها من ذلك:

أولًا: أنهم أهل بدعة وفُرقة، وأنهم فِرقةٌ مارقةٌ مخالفة لمنهاج النبوة، وبهذا تعلم كذبهم وضلالهم وانحرافهم في زعمهم أنهم الخلافة الراشدة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أنها تكون في آخر الزمان، وقد سبق بيانه كثيرًا أثناء البحث.

ثانيًا: وجوب توبتهم ورجوعهم إلى السنة والجماعة؛ فإن شأن البدعة والفرقة خطير وعاقبتها وخيمة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وعن عليّ رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)﴾ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا قال: «لا أظن إلا إن الخوارج منهم»[1].

وقال الطبريّ رحمه الله بعد ذكر أقوال المفسرين: «والصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله عز وجل عنى بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)﴾ كلّ عامل عملًا يحسبه فيه مصيبًا، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرضٍ، وهو بفعله ذلك لله مسخط...»[2].

وإن الخوارج وأهل البدع جميعًا يشملهم قول النبيّ ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم**

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٣٩٣٢) برقم (١٠٠٣١).

(٢) «تفسير الطبريّ» (٨١/ ٧٢١).

ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»(١).

والأدلة كتابًا وسنة كثيرة في بيان خطر البدعة على أهلها في الدنيا والآخرة؛ فلمَ يرض العبد لنفسه السوء وخاتمة السوء؟!

إن باب التوبة مفتوح ما لم يغرغر(٢) العبد، وما لم تطلع الشمس من مغربها(٣)؛ فالتوبةَ التوبةَ يا من تريد الحق، وأما أهل الأهواء منهم فقد قال ﷺ: «**يمرقون من الدين... ثم لا يعودون فيه**»، فأهل الأهواء لا يوفقون للتوبة لتركهم الحق بعد أن عرفوه، نعوذ بالله من الهوى وأهله.

ثالثًا: أنهم أخطر وأضر على المسلمين من اليهود والنصارى؛ فعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بعدي من أمتي -أو سيكون بعدي من أمتي- قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**»(٤)، فتأمل في وصفه ﷺ لهم بأنهم شر الخلق والخليقة.

وقال ابن الجوزيّ رحمه الله: «قال أبو الوفاء علي بن عقيل الفقيه: قال شيخنا الهمداني: مبتدعة الإسلام والوضاعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل؛ فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالمحاصرين من الخارج، فالدخلاء يفتحون

---

(١) متفق عليه.

(٢) عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله -تبارك وتعالىٰ- يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**». رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه الألبانيّ في «المشكاة» (٣٤٣٢ و٩٤٤٢).

(٣) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه**». رواه مسلم (٣٠٧٢).

(٤) رواه مسلم (٧٦٠١) باب: الخوارج شر الخلق والخليقة.

الحصن؛ فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسبون إليها، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين ممن ينتسبون إلى أهل القبلة إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم؛ فهم أشد ضررًا على الدين وأهله»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهم أعظم ضررًا على الإسلام وأهله من أولئك! لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه وهم يتوهمون ويوهمون أنهم ينصرونه»[(٣)].

رابعًا: وجوب التحذير منهم ومن أتباعهم، وبطلان شبهة السكوت عنهم بزعم أن الكلام فيهم إضعاف للمجاهدين في سبيل الله -زعموا- وهي شبهة باطلة؛ لأن الخوارج لا يجاهدون في سبيل الله إنما يستحلون دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم بزعم أنهم مرتدون، وأن قتالهم أوجب من قتال اليهود والنصارى؛ وقد مر معنا أنهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى ومن المتقرر «أن الضرر يزال» وفي الحديث «**لا ضرر ولا ضرار**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»[(٤)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، وقد نبهنا على بعض

---

(١) «الموضوعات» (١/ ١٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨٢/ ٩٧٤).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٨٢/ ٢٣٢).

ما به يعرف معناها وأنه باطل، والواجب إنكارها؛ فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى، الذي لا يضل به المسلمون، لاسيما وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى»[١].

خامسًا: بطلان دعوى وجوب إعانتهم لأنهم يقاتلون الروافض والكفار، فإن الخوارج كما قال عنهم ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»، وعليه فهؤلاء إعانتهم إعانة على هدم الدين وقتل المسلمين، ولعموم لعنه لكل من أعان أو نصر محدثًا[٢].

وقد سبق ذكر حديث أنس بن مالك وتأمل فيه كيف أمر بقتل من صفاته كيت وكيت ومنها «**قوته في الجهاد**» قال رضي الله عنه: كان فينا شاب ذو عبادة وزهد، «وفي رواية: فذكروا له من **قوته في الجهاد** والاجتهاد في العبادة»، «وفي رواية: رجل حسن السمت ذكروا من أمره أمرًا حسنًا» فوصفناه للنبي ﷺ، وسميناه باسمه، فلم يعرفه، فبينا نحن كذلك إذ أقبل، فقلنا: يا رسول الله هو ذا، فقال: «**إني لأرى على وجهه سفعة من الشيطان**» فجاء فسلم على القوم، فردوا السلام، فقال له رسول الله ﷺ: «**أجعلت في نفسك أن ليس في القوم أحد خير منك؟**» قال: نعم، ثم ولى، فدخل المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «**من يقتل الرجل؟**» فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلي فقال أبو بكر: وجدته يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال «**من يقتل الرجل؟** فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله فدخل المسجد فوجده ساجدًا، فقال: «أقتل رجلًا يصلي وقد نهانا عن ضرب المصلين » فجاء، فقال له النبي: «**مه يا عمر**» قال وجدته ساجدًا، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، وفي رواية: أنه قال لكل من أبي بكر وعمر «**اجلس فلست بصاحبه**» ثم قال: «**من يقتل الرجل؟**» فقال علي رضي الله عنه: أنا، فقال: «**أنت تقتله إن وجدته**»، فذهب علي فجاء فقال له النبي ﷺ: «**مه يا علي**» قال:

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٥٩).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «... **ولعن الله من آوى محدثًا**». رواه مسلم (١٩٧٨).

وجدته قد خرج، فقال: «**أما إنك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتي اثنان**»(١).

فلم يسكت عنه ﷺ مع كونه ذو نكاية بالعدو واجتهاد وإنما أمر بقتله، تنقية للصف؛ إذ لا يكون النصر مع الدخلاء، حتى يطهر الصف منهم.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ»(٢).

سادسًا: عدم الاغترار بما قد يظهرونه من صلاح ظاهر كأسلافهم الماضين؛ لأن هذا هو الشرَك الذي يصيدون به الأغرار الأغمار من الشبيبة الصغار، وهذ مما يؤسف له حقًّا! أن ينتشر المنهج الخارجيّ بين الشباب المتحمس للدين فضلًا عن أن يكونوا سلفيين -زعموا-!

وقد حذر النبيّ ﷺ من هذا الاغترار عمومًا فقال: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية**» فكما لا يغتر بصلاتهم وبصيامهم وغير ذلك؛ فلا يغتر بما يظهرونه من حسن معتقد أو انتساب إلى السلفية وهم في ذلك كذبة أدعياء!

سابعًا: أنهم قرن مقطوع بإذن الله تعالى عاجلًا أم آجلًا للخبر الذي مر «**كلما خرج منهم قرن قطع**» ولعموم قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧] فزبد الدواعش ذاهب جفاء -إن شاء الله تعالى- ولا يبقى إلا ما ينفع الناس؛ وهم أهل السنة والجماعة الفرقة

---

(١) الآجري في «الشريعة» (٥٠)، و«معجم ابن المقرئ» (١١٤)، و«الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٩٩٤٢).

وقال: «إسناده صحيح»، وعند أبي نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٢)، والبزار (كشف الأستار ١٥٨١)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٩٩٣٠١، ١٠٤٠٠، ١٠٤٠١).

(٢) «شرح السنة» للبربهاري، (ص١٣٩).

الناجية والطائفة المنصورة؛ قال رسول الله ﷺ **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة فينزل عيسىٰ ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»** فأهل السنة باقون ظاهرون على الحق حتى يقاتلوا مع مسيح الهدى المسيح ابن مريم؛ وأما الخوارج فكلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج آخرهم مع مسيح الضلالة المسيح الدجال.

ما يجب علينا تجاه الخوارج:

إذا تبين لك ما سبق فلابد من التحذير من منهج الخوارج مهما اختلف اسمه أو تنوعت صوره، فيجب التحذير من الإخوان والقطبيين والقاعدة والدواعش والنصرة وغيرهم مثل ما يسمى كذبًا وزورًا بالدعوة السلفية بالأسكندرية، ومن دافع عنهم أو رضي منهجهم كمحمد حسان وأبي إسحاق الحوينيّ ومحمد حسين يعقوب ومصطفى العدوي وأحمد النقيب وعبد الرحمن عبد الخالق والعريفي والقرني والعودة والحوالي وأفراخهم ومن لف لفهم، وهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمرنا به -كلٌّ على قدر استطاعته ولا يكلف الله نفسًا إلا وُسعها- وهو من علامات خيرية هذه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهو سبب فلاحها؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

و هو من أعظم أسباب نصرها؛ قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وهذا الأمر -الذي يزهد فيه أهل البدع جميعًا في القديم وفي الحديث- ألا وهو التحذير من البدع وأهلها من أعظم القرب والأعمال الصالحة، وإن لم نقم بهذا

الواجب أفرادًا وجماعات خرقت السفينة وغرقت بأهلها، ولات حين مندم!

فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا علىٰ سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علىٰ من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا**»(١).

وبناء علىٰ ما سبق:

فيجب التعاون بين الدعاة على محاربة منهج الخوارج من خلال الخطب والدروس والندوات والرسائل الصغيرة والكبيرة، وجميع وسائل الدعوة المقروءة والمسموعة، ونشر ذلك كله عبر شتى الوسائل المباحة المتاحة.

* وكذلك يجب التعاون بين الإخوة في التحذير من منهج الخوارج؛ كل على قدر علمه لاسيما بالدعوة الفردية كل في محيط بيئته.

* ويجب هجر أتباعهم وتحذير الناس منهم.

* ويجب التعاون ما بين دول الأمة الإسلامية على الإصلاح -حتى يجمعهم الله على كلمة سواء- وذلك من وجوه:

- العمل على تطبيق شرع الله ﷻ.
- نشر العدل والإحسان ورفع الظلم.
- محاربة الفكر التكفيريّ بنشر كتب أهل السنة.
- التوعية بالمحاضرات ضد هذا الفكر.
- العناية بطبع كتب أهل السنة والجماعة ونشرها.
- عدم طباعة ونشر كتب الخوارج مثل حسن البنا وسيد قطب ومحمد قطب وسفر الحوالي ومناع القطان وعائض القرنيّ وغيرهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٤١٢).

نسأل الله رب العالمين أن يوفق ولاة أمور المسلمين لم يحب ويرضى وأن يلهمهم رشدهم ويرزقهم البطانة الصالحة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الوقاية من فكر الخوارج والدواعش

أيها الكيس النجيب، والفطن اللبيب -بعد هذا التجوال في غابات الخوارج، ومستنقعات الدواعش عقيدة وتأريخا- يجب علينا جميعا أن نتعاون فيما بيننا على محاربة عقيدة الهدم بعقيدة البناء!، ومجابهة منهج الدم بمنهج النجاء، ما كان عليه سيد الأنبياء صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه النجباء؛ قال الإمام مالك: "السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق".

وقد مر معنا قوله صلى الله عليه وسلم: "**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**".

فلابد من سلوك سبيل النجاة؛ أما من يسلك سبل الهلكة فلا يلومنّ إلا نفسه ولا يقول حينئذ؛ أنى؟!، وكيف؟!.

ترجو النجَاة وَلم تسلك مسالكها ... إِن السَّفِينَة لَا تجْرِي على اليبسِ!!

إن القضاء على هذا المرض الخطير يكون بتجفيف منابعه الفكرية -من دعاة الفتن والتكفير والخروج، وما إلى ذلك؛ ممن أفسدوا شباب الأمة، وأوردوهم المهالك- وهذا واجب حتميّ؛ لا على المجتمعات فقط بل وعلى الأسر والأفراد كذلك!.

فجهات المسؤولية ثلاث: "الفرد، والأسرة، والمجتمع".

أولا: المسؤولية الفردية:

فعلى كل فرد منا أن يلزم خمسا هي: العلم والتعلم، والتمسك بالجماعة والبعد عن الحزبية، لزوم العلانية واجتناب السرية، البعد عن دعاة التكفير والتفجير ومُبَغِّضَةِ

الأوطان، وأخيرا التجرد للحق وعدم الاغترار بزخارف الباطل.

١- العلم والتعلم:

إن العلم هو النور الذي يبدد الله به ظلمات الجهالة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: ١٥ – ١٦]، ولذلك كان فريضة على كل مسلم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم[١]، ومن أعرض عنه سلك سبل الضلالة فهلك وأهلك؛ ولذلك وجدنا عامة من خرجوا على الصحابة رضي الله عنهم وكفروهم من الجهلة قليل العلم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام كما مر معنا، ومر معنا أن عليا رضي الله عنه حاججهم بالعلم، وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما من السلف الصالحين، فعليك بطلب العلم على منهاج السلف الصالح ففيه السلامة والحكمة في الأمور كلها.

٢- التمسك بالجماعة والبعد عن الحزبية:

إن التمسك بالجماعة هو الحصن والعصمة التي علق الله رب العالمين عليها السلامة والقوة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣]، وحذر سبحانه من الفرقة والتحزب فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]، وبرء سبحانه نبيه أن يكون ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»[٢]، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا في ذم الفرقة والتحزب

(١) حسنه الألباني في المشكاة برقم (٨١٢).

(٢) حسنه الألباني في المشكاة برقم (٧٦٠١).

بصورة عامة وبيان أنها سبب لظهور هذه الضباع الضارية، فقال صلى الله عليه وسلم: «**يخرجون على حين فرقة من الناس**»[(١)]، فعليك بالجماعة وإياك والفرقة في أمور دينك كلها، فلتكن صلاتك مع الناس وصيامك مع الناس...إلى آخر ذلك.

٣- لزوم العلانية واجتناب السرية:

إن العلانية نجاة، وإن السرية هلكة[(٢)]، وما حاك في صدر العبد وخاف أن يطلع عليه الناس فهو الإثم! كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الإثم ما حاك في صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس**»[(٣)]، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الأمر لما يترتب عليه من مفاسد ومخاطر فقال: «**عليك بالعلانية وإياك والسر**»[(٤)]، وأخرج أبو داود في الزهد عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ لِرَجُلٍ: «عَلَيْكَ بِالْعَلَانِيَةِ وَإِيَّاكَ السِّرَّ، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ شَيْءٍ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»[(٥)]، وأخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله أنه قال: «إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ بِشَيْءٍ دُونَ الْعَامَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى تَأْسِيسِ ضَلَالَةٍ»[(٦)]، وعامة من غرر به من الشباب كان في السراديب المظلمة بعيدا عن أعين أهل النصح والإرشاد من أهل الاستقامة، فإن العلانية تبعث على التصحيح والتنوير، وأما السرية فتبعث على التكفير والتفجير.

٤- البعد عن دعاة التكفير والتفجير ومُبَغِّضَةِ الأوطان:

لقد مر معنا خطورة التكفير وما يؤدي إليه من تفجير وتدمير، ولقد بغَّض دعاة التكفير أوطانَ المسلمين إلى نفوس الشباب المغرر بهم؛ فهانت عليهم أوطانهم ومن في أوطانهم، «وهل الوطن إلا حفنة من تراب عفن» كما يقول سيد قطب!، مع أن حب

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٠١٦٣)، ومسلم برقم (٤٦٠١).

(٢) أي في أمور الناس العامة، وليس في عبادة العبد لربه سبحانه وتعالى.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٣٥٥٢).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (٠٧٠١)، وجود إسناده الألباني ثمة.

(٥) الزهد برقم (٩٨).

(٦) جامع بين العلم وفضله برقم (٤٧٧١).

الأوطان فطرة مركوزة في النفوس لا نفوس البشر وفقط بل ونفوس الحيوان والطير، فكيف إذا كانت أوطانا مسلمة وديارا للتوحيد، فعليك بمجانبة أهل الأفكار السوداء المغرمين بالأشلاء والدماء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ الأنعام: ٦٨، وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**»[(١)].

٥- التجرد للحق وعدم الاغترار بزخارف الباطل:

إن من أكبر الأسباب المعينة على الوقاية من أي فكر ضال عموما ومن فكر الخوارج خصوصا، هو التجرد للحق طلبا للنجاة في الدنيا والآخرة، وعدم الاغترار بزخارف الباطل، فإن اتباع الهوى يهوي بصاحبه في الهوة السحيقة، وإن اقتفاء الحق يعلو به إلى الغايات المنيفة الشريفة، وإن التعصب للأشخاص أو الأفكار أو المناهج من أسباب الردى، ومجانبة الهدى؛ فابحث عن الحق تجده عند من اتبع سبيل المؤمنين، وإياك أن تحسبه عند شهرة أو كثرة، أو تعرفه ببذل وتضحية، أو بإظهار زهد وعبادة.

فما كانت الشهرة دليلا على الحق بل إن أهل السنة غرباء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء.** قيل من الغرباء يا رسول الله؟. قال: **الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[(٢)]، قال العلامة الشيخ التويجري -رحمه الله-: «فإن العلماء لا تعظم أقدارهم ويعتد بأقوالهم بمجرد التفخيم لهم والتنويه بذكرهم، وإنما يعتبرون باتباع الحق واجتناب الباطل، فمن قال منهم بما يوافق الكتاب والسنة فقوله مقبول، ولو كان خامل الذكر عند الناس.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٧٢٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٥٦٦٢).

(٢) صحيح مسلم (٤٣٣). وزيادة من الغرباء في مسند أحمد (٦٩٣٦١).

ومن قال بما يخالف الكتاب والسنة فقوله مردود، ولو كان مشهورا بين الناس»[(1)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام -رحمه الله-: «كثير من المشهورين بالمشيخة في هذه الأزمان قد يكون فيهم من الجهل والضلال والمعاصي والذنوب وما يمنع شهادة الناس لهم بذلك، بل قد يكون فيهم المنافق، كما أن فيهم من هو من أولياء الله المتقين و عباد الله الصالحين وحزب الله المفلحين، كما أن غير المشايخ فيهم هؤلاء وهؤلاء في الجنة التجار والفلاحون وغيرهم من هذه الأصناف.»[(2)].

وما كانت العبرة بالكثرة، وإنما العبرة بموافقة الحق، بل إنك لا تجد الكثرة مذكورة في القرآن إلا ذما، وتجد القلة تذكر مدحا، قال جل وعلا: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[(3)]؛ لأن أكثر من في الأرض من أهل الضلالة والغواية، يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[(4)] ، ومدح الله رب العالمين القلة: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[(5)]، واعلم أن الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال باتباعهم الحق، وقال عبد الله بن إسحاق -رحمه الله-: »كان عبد الله بن الحسن[(6)] يكثر الجلوس إلى ربيعة، فتذاكروا يوما السنن فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا. فقال عبد الله: أرأيت إن كثر الجهال، حتى يكونوا هم الحكام أفهم الحجة على السنة؟. قال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء»[(7)].

كثرة التضحيات والبذل لا يدل على الحق، وقد يبذل المرء ما يبذله من الأموال

(١) فصل الخطاب في الرد على أبي تراب، ص: ٤٦٢.
(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٩١٥ – ١٢٥).
(٣) الأنعام: ٦١١.
(٤) يوسف: ٦٠١.
(٥) سبأ: ٣١.
(٦) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
(٧) الفقيه والمتفقه (١ / ٠٨٣).

والأنفس ظنا أنه في سبيل الرحمن، وهو في حقيقة أمره خالص للشيطان، فهذا عبد الرحمن بن ملجم –قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه– لقد ضحى تضحية عظيمة بنفسه ولقد أوذيَ في ذلك إيذاء شديدا، فثبت على باطله ثباتا عجيبا(١)، حتى أنه قطعت يده فلم يجزع وظل يذكر الله عز وجل، ثم قطعت رجله فلم يجزع وظل يذكر الله عز وجل، فكحلت عيناه بمسمار محمي فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عنك بمملول ممض وجعل يقرأ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ حتى أتى على آخر السورة وعيناه تسيلان، فلما أمر أن يقطع لسانه جزع، فقيل له: قطعنا يدك ورجلك وسملنا عينيك يا عدو الله فلم تجزع فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟!. قال: ما ذاك من جزع إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقا لا أذكر الله فأخرجوا لسانه فقطعوه(٢).

فتأمل –رحمني الله وإياك– في هذا الثبات العجيب، وذاك البذل الغريب، فهل هو مغنٍ عن صاحبه شيئا؟!، فإن منَّ الله عليك وأظهر لك خطأ هذا الاعتقاد، فسله سبحانه أن ينجيك من هذا الوهم الذي يعلق الحق على أناس لأنهم:

وما كانت كثرة العبادة وحدها دليلا على الحق، أو برهانا على العلم، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد، وفضل الأول على الثاني فقال: « **فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم**»(٣). فليست ثمة تلازم بين العبادة والعلم، وإلا لما فاضل بينهما النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولقد كان الخوارج –وهم كلاب أهل النار– من أشد الناس عبادة حتى قال النبي لأصحابه: «**يحقر أحدكم صلاته إلىٰ صلاتهم وصيامه إلىٰ صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من**

(١) فاعلم أنه ليس الشأن أن تكون ثابتا حتى يكون ما أنت ثابت عليه محض الحق، واحذر من الدعاء بمجرد الثبات فقد تكون على ضلالة فتدعو الله أن يثبتك عليها فتصير بذلك داعيا على نفسك، وإنما قيده بالثبات على الحق، وقد كانت هذه سنة نبينا إذ يقول: «**اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**» فاللهم اهدنا إلى الحق وثبتنا عليه.

(٢) تاريخ دمشق (٢٤ / ٠٦٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٦٩)، وصححه الشيخ – رحمه الله –.

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[١]، وقد كان مخاطبا خير الناس من صحابته وفيهم عمر -رضوان الله عليه- فتأمل كثرة عبادة الخوارج حتى يحقر الصحابة صلاتهم، فهل أغنت عنهم شيئا لما فسد منهجم وخرب اعتقادهم؟!، قال البربهاري -رحمه الله-: «وإذا رأيت الرجل مجتهدا في العبادة متقشفا محترقا بالعبادة صاحب هوى فلا تجلس معه، ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق؛ فإني لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك معه»[٢].

فالعبرة بصحة المعتقد وسلامة المنهج ولا يدل عليهما كثرة العبادة، بل إن كثرة العبادة ما لم يصحبها علم واتباع ضل صاحبها بلا شك، وما حال رهبان بني إسرائيل منك ببعيد، فضلا عما مر معنا من حال الخوارج وما وصفهم به ابن عباس رضي الله عنهما من زهادة وعبادة بل وحدث عن زهد عمرو بن عبيد ثم حدث عن بدعته وضلالته ولا حرج! فقد كان من رؤوس أهل البدع المضلين وكان زاهدا عابدا حتى قيل فيه:

كلكم يمشي رويد
كلكم يطلب صيد
إلا عمرو بن عبيد

فلا تحسبن كل زاهد على حق، فكثير من الزهاد أول ما زهدوا زهدوا في سنة محمد صلى الله عليه وسلم، فإياك وزخارف الباطل مما ذكرنا لك.

وهذه النقاط في المسؤولية الفردية هي اللبنات التي تتكون منها جدران المجتمعات= المسؤولية الأسرية؛ والتي بدورها يتكون منها بناء المجتمع= المسؤولية المجتمعية؛ **فهذه اللبنات= المسؤولية الفردية معنا في كل شيء بعد فتنبه!!.**

---

(١) صحيح البخاري رقم (٠٨٨٦).
(٢) شرح السنة، ص: ٣٦.

ثانيا: المسؤولية الأسرية:

لقد أمر الله رب العالمين المؤمنين في كتابه فقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ التحريم: ٦، فواجب على كل عبد مؤمن أن يحصن نفسه ويقيها ما يكون سببا في دخوله النار وكذلك هو واجب عليه في أهله وولده قال الإمام الطبري -رحمه الله- في جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٤٩١): «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول: «وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار».

ويقول العلامة السعدي في تفسيرها: «ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالا ونهيه اجتنابا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل [والأولاد] ، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» متفق عليه.

فعلى كل أسرة، وعلى كل أبٍ وأم، رعاية من ولاهم الله أمرهم ومتابعتهم مع من يخرجون، وأين يذهبون، وعند من يتعلمون ويحفظون القرآن، ومن يهاتفهم، وأي قناة يشاهدون، وعلى أي مواقع الشبكة يترددون، مع تمهيد البيئة الصالحة بأن يكون البيت متآلفا يقوم على مبدأ الصراحة والوضوح والمحاورة والمباحثة بأن يناقش الوالد أو الوالدة الأبناء ويرشدهم وينصحهم؛ فينشؤون على هذه الطريقة السوية، وليكن في البيت مكتبة دينية بها فضلا عن القرآن كتب سنن النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد السلف الصالحين، وغيرها من كتب الفقه في الدين، وحبذا لو كان هناك مجلس ولو

أسبوعي في قراءة شيء من ذلك تجتمع عليه أفراد الأسرة ولا ننسى أن نذكر بأهمية وخطورة القنوات التي دخلت أكثر البيوت، بأن تحظر وتحذر القنوات الفاسدة وأن تعمل القنوات الراشدة.

ومما تجدر الإشارة إليه خطأ كثير من ولاة الأمور وربات المنازل، من أنهم إذا ما رأوا أولادهم ظهرت عليهم بوادر التنسك أو ما يعرف بالالتزام، سارعوا إلى محاربته وبطريقة خاطئة مما يبعث الأبناء على تصديق دعاة التكفير من أن المجتمع مجتمع كفري جاهلي يحارب الدين لا سيما في التنسك الظاهر من لحية وتقصير ثياب وجلباب ونقاب، وكان عليهم أن يفرحوا بذلك، وأما خوفهم وحذرهم فليكن مما في أفكارهم وعقولهم، فعليهم حينئذ أن يشجعوهم على ما أتوا من خير وأن يحذروهم مما وقعوا فيه من شر.

ثالثا: المسؤولية المجتمعية:

إن المسؤولية المجتمعية عامل رئيس ومؤثر جدا في وقاية المجتمعات من الأفكار الفاسدة والآراء الكاسدة لا سيما الفكر الخارجي التكفيري، ومحاوره كثيرة ترجع في الأساس إلى ثلاث:

الإرشاد الديني ممثلا في الأوقاف، والمؤسسة الدينية= الأزهر.

الإعلام بجميع صوره المقروءة والمسموعة والمشاهدة.

الجيش والقوات المسلحة.

١- **الإرشاد الديني:**

فإنه واجب على العلماء والدعاة تصحيح مفاهيم الناس، وانتشالهم من الضلالة إلى الهدى، فهذه وظيفتهم وهي خير وظيفة وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ولذلك وجب على الخطباء والوعاظ في الأوقاف تعليم الناس معتقداتهم الصحيحة وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قولا وعملا، وتحذيرهم من كل ما يخالف ذلك سواء من فكر الخوارج التكفيريين أو غيرهم من أهل الضلالة والبدعة،

ومن هاهنا نعلم أن أهل السنة والجماعة هم أقدر الناس على محاربة الأفكار الردية بما هم عليه من الطريقة المرضية، والسبيل السوية، ولقد كان الواقع خير دليل وشاهد!، ولذلك وجب فتح وفسح الطريق لهم على كل منبر في مسجد أو غيره من منابر الكلمة المسموعة، والمكتوبة؛ ليقولوا كلمة الحق، وأما أن يكون الأمر على الضد بأن يُحَارَبوا مع كونهم من أحرص الناس على البناء وسلامة البلاد والعباد؛ فهذا هو العجب العجاب!!.

وعلى أهل الإرشاد الديني جميعا، لا سيما الرسميين منهم أن يَعلموا، ويُعلّموا أن المداهنة في الدين لا تزيد الطين إلا بِلة، وأنهم يزيدون أفكار الشباب المغرر بهم احتقانا وسوداوية، لا سيما عندما يداهنون في صلب معتقد المسلمين(١)، كالمداهنة في وحدانية الله عز وجل، كأمر الاعتقاد في كفر النصارى بل والبوذيين أيضا!! فضلا عن غيرهم، وليعلموا أن نشر المعتقد الصحيح بوضوح ليس معناه قتل هؤلاء طالما لم يكونوا محاربين فإن كانوا محاربين فإن كل شريعة سماوية أو وضعية لا تقول إلا بمحاربة المحارب والدفاع عن النفس والمال والعرض، ولا يفهم من ذلك أننا لا نقول بجهاد الطلب الذي يكون مع من يحاربون دعوة الإسلام ويمنعون نشرها؛ فعاد الأمر إلى المحاربة دفعا وطلبا.

وأما سوء فهم البعض كالتكفيرين للمنهج الصحيح منهج السلف الصالح لا يحمل على تشويهه وإنكاره وإخفائه؛ بل يحمل على إظهاره ونشره، وبيان ضوابطه ردا عليهم وتصحيحا لهم فيعم الحق ويزهق الباطل!.

٢- الإعلام:

فإن الإعلام منذ قديم من أكبر وسائل تغيير المفاهيم سواء بالحق أو بالباطل، والواجب على القائمين على الإعلام بوسائله المختلفة أن يغيروا المفاهيم بالحق لا

(١) وانظر في ذلك رسالة شيخنا المفضال عادل السيد حفظه الله بعنوان «نفي الدسائس في تحريم تفجير الكنائس».

بضده؛ فإن في الأول بناء المجتمعات وتنميتها وفي الآخر هدمها وتدميرها، ولقد كان الواقع خير برهان على ذلك؛ فإن كثيرا من الإعلاميين ولا نقول: كلهم!، كانوا من أسباب نشر الفكر التكفيري سواء مباشرة أو غير مباشرة، فأما المباشرة فظاهرة في كثير من قنوات التكفير ومواقع التدمير والتفجير، وأما غير المباشرة فالقنوات العلمانية، وأفراخهم؛ فإنها الإرهاب بالتسبب، أو هم النافخون في كير التكفير؛ ليزداد اشتعالا؛ فهما وجهان لعملة واحدة(١).

ولقد فصّل هذا الأمر وجلّاه شيخنا فضيلة الشيخ الأزهري السلفي الدكتور محمد سعيد رسلان حفظه الله؛ فقال:

«فَمِن الحَقَائِقِ الثَّابِتَة والأُصولِ المُسْتَقْرة أَنَّ المُغَالَاةَ فِي محاربةِ انحرافٍ تولِّدُ انحرافًا آخر، وَمِن الحَقَائِقِ الثَّابِتة أَيضًا أَنَّ أكْثَرَ الَّذِينَ يَزعُمون أَنَّهُمْ يحاربونَ التَطَرُّف ويواجهون الإرْهَابَ هُمْ مِن أَعْظَمِ أَسْبَابِ ازْدِيَادِ اشْتِعال نَّارهْ وَمِنْ أَكْبَرِ العَامِلين عَلَى تَوَهُّج أُوَارِه، لاَ شَكَّ أَنَّ مِصْرَ حَفِظَهَا الله تَعَالَى وَسائرَ بِلادِ المُسْلِمينَ فِي حَرْبٍ ضَرُوس، وَلاَ شَكَّ أَيضًا أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَتَصَدُّون للخَائِضِينَ فِي تِلكَ الحَرْبِ بِلِسَانِه أَوْ بِبَنَانِهِ لاَ يَفهَمُون حَقِيقةَ تِلكَ الحَرْبِ، وَلاَ يَعرِفُون طَبِيعَةَ المُعْرَكَةِ؛ إِنَّ الحَرْبَ الَّتي يُشعلُ نارها التكفيريون حَرْبٌ عَقدِية، حَرْبُ عَقِيدَةٍ مُسْتَقرةٍ فِي أَنْفُسِ هَؤُلاَءِ، تَدَفَّعُهم تِلكَ العَقِيدَةُ إِلَى التَّضْحِيَةِ بالدُّنْيَا تَارَة وَإِلَى الجُودِ بِالنَّفْسِ لطلبِ الشهادة تَارَة آخِرىّ، إِنَّهُمْ يُصدَرُون جَمِيعًا عَنْ عقيدةٍ راسخةٍ بتكفيرِ خصومهم ورِدَّةِ مخالفيهم، وهي العقيدةُ التي تُبرِّر لهم قتلَ المرضى في المستشفياتِ واستهدافَ ركابَ القطاراتِ والاعتداءَ على الأبرياءَ في المدارسِ والمعاهد والكليات؛ والسؤال الآن: كيف حورب هذا الانحراف؟! والجواب: خرج أقوامٌ مِن العلمانيين والحَدَاثيين والضائعين المَمرُورين مِن الإعلاميين والصحافيين خرجوا ليهاجموا ثوابتَ الدين، فطعنوا في الصحابةِ رضي

(١) واستمع في ذلك لخطبة ماتعة لشيخنا عادل السيد حفظه الله على موقعه بعنوان: «داعش، والبحيري وجهان لعملة واحدة».

الله عنهم ورمَوهم بالعظائم ووصموهم بالكبائر، وأنكروا السُنَّة واستهانوا بالكتاب، ووصفوا الأئمةَ الأربعة أبا حنيفة ومالكًا والشافعيَّ وأحمد بالنصابينَ الأربعة، ورمَوا البخاريَّ ومسلمًا وعلماءَ الحديث والفقه بالكذبِ والخيانة، وتطاول بعضهم على الله جلَّ وعَلا، وعلى القرآن المجيد، إلى غير ذلك مما يَنْعِقُ به أولئك في خرائبِ الإعلام مِن مسموعٍ ومنظورٍ ومقروء، وهم مع ذلك يدَّعون أنهم يحاربونَ التطرف ويواجهون الإرهاب، وهم في الحقيقةِ مِنْ أعظمِ أسبابِ ازديادِ الإرهابِ وتجذُّرِه.

(إِنَّكَ لن تُزَاوِلِ الرَّجُلَ عَنْ شيءٍ هو أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ) إنها كلمةٌ قالها أَشَجُّ عبد القيس رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأقرَّهُ عليها ومدَحه، مع أنَّ الدين المذكورَ في قولِ الأَشَجِّ المرادُ به ما كان عليه قومُهُ مِن الكُفر، ومع ذلك فإِنَّكَ لن تُزَاوِلِ الرَّجُلَ عَنْ شيءٍ هو أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ ولو كان كُفرًا.

إنَّ العلمانيين والحداثيين وغيرهم مِن أهلِ الغرض وأصحابِ المرض يعتقدون أنَّ الفرصة التي أُتيحت لهم سيؤدي استغلالهم لها إلى تغيير دينِ الإسلام في قلوب المصريين وعقولهم إلى دينِ المستشرقين وغيرهم، ويعتقدون أنَّ المسلمين في مصر سيقْبَلون منهم الطعنَ في ثوابتِ دينهم وأصولِ اعتقادهم، ويعتقدُ هؤلاء أنَّ البذاءةَ والشتمَ والاستطالَةَ في أعراضِ الصحابةِ رضي الله عنهم وعلماءِ الإسلام رحمهم الله ستُقابل بالاستحسانِ لأنها تجديدٌ وتـنوير، وهم في هذا كلِّه مخدوعون واهمون، وهم بذلك كلِّه يعطون الحُجَّة بعد الحُجَّة للَّذين يخوضون حربًا عقائديةً مِن التكفيريين، فيذبحون ويُحرقون ويقتلون ويفجرون وينسفون وهم يقولون: ما ازددنا في المُرتَدِّين إلَّا بصيرة وإنَّا لعلى الحَقِّ المبين.

إنَّ هؤلاءِ العلمانيين والحداثيين وكذلك مَن لفَّ لفَّهم مِن أصحابِ الغرضِ والمرضِ والهوى والزيغ، هؤلاء جميعًا عبءٌ على القيادة لأنهم يُبدون بأقوالِهم وأعمالِهم وتوجهاتِهم ومسالكِهم أنهم يحاربون الدين وأنهم لا يريدون للإسلامِ في مصر أنْ تقومَ له قائمة، يريدونَ حِصَاره حتى يصيرَ إلى المحاريبِ وحتى يُحبسَ في المساجد وفي

الزوايا والتكايا، بحيث لا يشاركُ بأمرٍ ولا حُكم في شأنٍ مِن الشؤون؛ إنَّ هؤلاء بما يأتون وما يدَعُون، وما يأخذون وما يذَرُون عبءٌ على القيادة؛ لأنَّ القيادة تريد لهذا البلدِ الدين والتقدمَ للوطنِ حتى يَرْقَى إلى مَصَافِّ الأمم الكبرى والدول العظمى بإعمالِ العقل الصحيح في مجالات الحياة مِن أجل استِكنَاهِ أسرارِ المادة، ومِن أجلِ تطوير الحياة والارتقاءِ بها، ومِن أجلِ ألَّا نكون عالةً على غيرنا في ميدانٍ مِن الميادين، وكلُّ ذلك يكون مؤسسًا على دينِ الإسلام العظيم، **فهم لا يُنكرون سُنَّةً ولا يحاربونَها ولا يهاجِمون الأئمة ولا يقِفون ضدهم، وإنَّمَا يريدون الإسلامَ الَّذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، ولا شَكَّ أنَّ به تَرْقَى الأمم، ويعلو كعبُها في الرُقِيِّ والنهوض والتقدم، ولكنَّ هؤلاء يُعطون الحُجَّة للتكفيريين مِن أجلِ تكفيرِ الحَاكِمِ والمَحكُومِ على السواء، ومِن أجلِ أنْ يُحْكَمَ على المجتمعِ كلِّه مِن رأسه إلى ذَنَبِه بالرِدَّةِ عن دينِ الإسلامِ العظيم، وحينئذ تُستباحُ الحُرُمَات مِن الدِّماء والأعراضِ والأموال، هؤلاءِ عِبء، هؤلاء خَونَة.

إنَّ مقابلةَ التطرفِ في الفِكرِ بالتطرفِ في الفِكرِ لَا يزيدُ المُتَطَرِّفَ إلا تطرفًا، ولَا المُعتَقدَ اعتقادًا خاطئًا إلَّا ثباتًا وتصلُّبًا؛ إنَّ ترك الَّذين يتكلمون في الدين بغيرِ عِلمٍ ولا هُدى ولا سلطانٍ مُنير، إنَّ تركهم تهديدٌ للأمنِ القوميِ المصري في صَمِيمِه، وهو أكبرُ مُقَوِّضٍ لدعائم وأركانِ الدولَةِ المصرية، وهو أعظم حُجَج التكفيريين في اقناعِ الشبابِ بالمصيرِ إليهم، والانضمامِ إلى صفوفهم، لأنهم يستغلون حماسةَ الشبابِ الدينية، فيقولون لهم هؤلاءِ مُرتَدون وقد وَجَبَ عليكم القِتالَ وجوبًا عينيا، فينبغي عليكم أنْ تنضموا إلينا لأننا نُجاهدُ في سبيل الله؛ مِن أكبرِ حُجَجِ هؤلاءِ على هؤلاءِ ما يأتي به أولئك مِن خبطٍ بلا عِلمٍ ولا وَعيٍ ولا مَعرفةٍ ولا سلطانٍ مُنير في ثوابتِ الأُمَّة، في دين الإسلام العظيم، غَرضهم معروف، ومَن كان متابعًا في النصف الأولِ مِن التسعينيات مِن القرنِ الماضي، مَن كان متابعًا لِمَا يكتبه فرج فودة ومحمد سعيد العشماوي وغير هؤلاء مِن العلمانيين ومِن انضم إليهم مِن الحداثيين وكانت لهُ ذاكرةٌ

التقطت بعضَ مَا قالَ أولئك يَجِدُ هؤلاء أعني: الفرقة الحادثة الآن تُردد كلام هؤلاء أو أولئك حذو النعل بالنعل، يقتَصُّون آثارهم وينطقون بكلامهم بِلا زيادةٍ ولا نقصان؛ فكان ماذا؟! فكان ما تَرَوْنَ والله المستعان.

إنَّ المغالاةَ في مُعالجةِ انحرافٍ تولدُ انحرافًا آخر؛ إذا كانت الجماعاتُ التي تُكفِّرُ وتُفجِّرُ وتُحرِقُ تخوض في اعتقادِها حربًا عقائديةً تستحل بها الدِماءَ والأموالَ والأعراض، أفتُقابَل هذه الحربُ العقائديةُ بالاعتداءِ على ثوابتِ الدينِ والتحلُّلِ مِن الأخلاقِ الفاضلةِ والانعتاقِ مِن قيودِ القيمِ النبيلة بحُجَّةِ محاربةِ التطرف والتصدي للإرهاب؟! ، ومَن الَّذي أعطي أولئك الإذن بأنْ يقولوا مَا قالوا؟! ، هؤلاء ليسوا مِن أهلِ العِلم أصلًا ولا مِن أهلِ المَعرفة، وهم يعيبونَ على كل مَن تكلم في الدينِ مِن غير أنْ يكون مأذونًا له في الكلامِ بالدين، ولكنْ هؤلاء يتكلمون في كلِّ شيء، ويقول قائلُهم: عندنا محمدان صلى الله وسلم وبارك على البَشيرِ النذير بأبي هو وأمي ونفسي، يقول: محمدُ القرآن ومحمدُ السُنَّة؛ ويقول بجَهلٍ فاضحٍ وخُبثٍ ظاهرٍ: ما هي الصورةُ الحَقة مِن هاتين الصورتين؟ ، ولا تفاوتَ بين الصورتين ولكنَّ هؤلاء لا يعلمون، إنْ لمْ يكن مَا يصنعهُ ويقولهُ العلمانيون والحداثيون وأكثرُ الاعلاميين وأغلبُ الفنانين؛ إنْ لمْ يكن مَا يقولونَه ويصنعونَه تطرفًا وإرهابًا فكريًا فما هو التطرفُ والارهابُ إذن؟!

إنَّ مِنَ الخيانةِ العُظمى للدينِ والوطنِ أنْ يتصدى للإرهابيين والمتطرفين مَن لا يفهَم طبيعةَ المعركةِ معهم، ولا يَعِي حقيقةَ المواجهةِ لهم، إنَّ مِنَ الخيانةِ العُظمى للدينِ والوطنِ أنْ يُغَضَّ الطرفُ عن الَّذين يُريدونَ أنْ يُذهبوا صداعًا فإذا هُم قد أحْدَثُوا جُذَامًا، إنَّ علاجَ هؤلاء لظاهرةِ التطرفِ والارهابِ يزيدُ الدَّاء ويُبعد عن المريض الدَواء ويُوئسُه مِن أسبابِ الشفاء؛ وأقولُ لهؤلاء لا تتكلموا فيمَا لا تعلمون، ولا تُعطُوا التكفيريينَ الحُجَجَ والبَرَاهينَ التي يَصطادونَ بها الشبابَ والصِبية والأغرارَ والمفتونينَ، ويدفعون بها في وجوهِ مَن يُقيمونَ عليهم الحُجَجَ ويُفَنِّدون ما لديهم مِن

الشُبهاتِ والأضاليل، وليعلَم العلمانيون والحداثيون والمنحرفون مِن كلِّ فئةٍ وقَبِيل أنَّ دينَ الإسلامِ العظيم بثوابتِهِ ومبادئِهِ وأحكامِهِ وعلمائِهِ ورِجَالِهِ راسخٌ في نفوسِ المصريين وعقولِهم رسوخُ الجبال، ودائرٌ في عروقِ المصريين دَورانَ الدِمَاء، فليعلموا أنَّهم لنْ يَضُروا المسلمينَ إلَّا أذى، ولنْ يبلُغوا مِن إيمانِهم وعقيدتِهم ما يَبلغُ مِن العينِ القَذَى...

هذه الفِرقةِ الجديدةِ التي هي وَبَالٌ على قيادةِ هذه الأُمَّةِ المصرية، لأنَّ التكفيريين يقولون هذه الزَندقةاْ وهذه الهَرطقةاْ وهذا الانعِتاقُ مِن قيودِ الدينا وهذا الخروجُ على ثوابتِهِ إنما يُمَرَّرُ بمعرفةِ القيادةِ وهي قادرةٌ على وأْدِهِ حيث هو، وعلى كَبْتِه حيث يكون، فيقولون سُكوتُهم عليه رِضًا به، ومَن رضِيَ بالكُفْرِ كَفَرَ؛ فيَسْتَلُّون مِنْ المضاجعِ الأغمارِ الأغرارِ الَّذين يتدثرون تحت الأغطيةِ في برودةِ الليل وفي ظلامِهِ، يَعبثُ العابثُ منهم على مواقعِ التواصُلِ الإجتماعي فيَسْتَلُّونَهم ليُهَاجِروا هاهنا وهنالك مِن أجلِ نُصرةِ دينِ الله ومُحاربةِ المُرتَدين.

هذه الفِرقةُ أخبثُ الفِرقِ في مصر، وهي الظَهيرُ الفعال للتكفيريين في الحقيقة، كأنَّهم يَصدُرون مِن نبعٍ واحد، مِن حمأةٍ واحدةٍ آسِنَةٍ نَتِنَة...»[١].

٣- الجيش:

والجيش محور رئيس في محاربة حَمَلة الأسلحة العوراء[٢]، ومستبيحي القتل، والدماء، فالقوة لا تقوم لها إلا القوة، وآخر الدواء الكيّ، ولذلك نصّ الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا العلاج الناجع، والدواء الناجح؛ فقال عليه الصلاة والسلام : **«لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ» متفق عليه، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ، أو قَتَلُوهُ»** كما عند أبي داود وصححه الألباني، والأحاديث في ذلك متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر معنا منها الكثير بفضل الله رب العالمين ويكفي

(١) «هؤلاء يساندون التكفير والإرهاب» خطبة جمعة على موقعه حفظه الله.

(٢) كما في الحديث :»يقتلون أهل الإيمان ،ويتركون أهل الأوثان»!!.

في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: « **لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ** » رواه مسلم وغيره.

فعلى جنودنا البواسل تعلم ذلك؛ فيكون حمل السلاح في الدفاع عن الوطن ضد الأشرار الفجار تعبدا وتدينا يتقرب به الجندي إلى الله جل وعلا، فيستحضر النية الصالحة في قتال الخوارج، ولا ترتعش يمينه في الزود عن حياض الوطن والمسلمين، وكيف لا وقد أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعليه أن يدفع عن نفسه وسوسة شيطان يقول له: كيف تقاتلهم وهم يجأرون «الله أكبر» ويرفعون راية «لا إله إلا الله».

نقول: كما قال علي رضي الله عنه: «كلمة حق أريد بها باطل»، وقد سبق معنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وفعل الصحابة وهو كافٍ في الباب، فضلا عما يعلم من خطورة أمرهم وفداحة ضررهم، فنقول: إن لم يُقتلوا؛ قتلوا، وإن لم يُبادوا أبادوا، ولم يبقوا لا أخضر ولا يابس، والواقع المشاهد خير دليل وشاهد وبالصوت والصورة!، لا يتورعون عن قتل النسوان ولا الصبيان فضلا عن غيرهما!، وإلى الله المشتكى، والله الموعد!!.

وأخيرا فعلى كل واحد منا أن يقوم بدوره الواجب عليه، وأن يعلم أن المسؤولية عظيمة، وأن التخلي عنها كالتولي يوم الزحف، وأن العاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة فيكفي ضررا لذلك تمهيدهم التربة في أوطان المسلمين للاحتلال والتدخل السافر من الدول المعادية للإسلام والمسلمين، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ملحق: فتاوى العلماء في تنظيم الدولة داعش

وكي يطمئن قلبك أيها القارئ الفطن فإليك فتاوى العلماء الربانيين الذين ورثوا العلم كابرًا عن كابر في أولئك الأصاغر أعني تنظيم الدولة «داعش» مع العلم أن كل فتاوى العلماء في الجماعات التكفيرية أو التي تسمي نفسها جهادية تعد فتاوى في الفرقة الداعشية الخارجية وأخواتها كتنظيم القاعدة وجبهة النصرة ونحوها؛ حيث إنهم على منهج واحد ومعتقد واحد وما حدث من خلاف أخير لا يفرق بينهم في الحكم، وإليك فتاوى العلماء:

الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «... ونصيحتي للمسعري والفقيه وابن لادن **وجميع من يسلك سبيلهم** أن يدعوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله ويحذروا نقمته وغضبه، وأن يعودوا إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى الله مما سلف منهم...».

وهذا الكلام من العلامة الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ هو واضح وصريح في بيان ضلال هؤلاء وأنهم ليسوا على الطريق الصحيح، وإذا كان ذلك في كبيرهم وإمامهم الذي يعتز به هؤلاء الدواعش ويعتبرونه إمامهم في سبيلهم؛ فهو فيهم لزاما، لاسيما وقد نص الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على جميع من يسلك سبيلهم وطريقهم الوخيم، فنسأل الله أن يهديهم وأن يمتثل من أراد الحق منهم لهذه النصيحة العظيمة من هذه الإمام الكبير.

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-:

السؤال: أبو عبد الله من العراق ابتلوا هناك بتنظيم داعش ويسأل عن حكم قتالهم؟

الجواب: الذي يظهر والله أعلم أن هذه الفئة فئة باغية ظالمة معتدية سفاكة للدماء منتهكة للأعراض نهابة للأموال، هؤلاء فئة طاغية ضارة مؤذية، فالبلاد التي وقعت بأيديهم ألحقوا بهم الضرر حتى بعض الصحف نشرت أن هناك انتهاكًا للأعراض وسبي للنساء وبيعهن كأنهن [كلمة غير واضحة] ومعاملة المسلمين كأنهم كفار، هذه الفئة لا شك في أنها فئة خاطئة ليست على صواب، فإذا قاتلت المسلمين فإن على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ويقاتلوهم حتى يخلصوا المسلمين من شرهم فإنهم شرا وبلاء نسأل الله العافية شر وبلاء لا خير فيهم، فإنهم خرجوا بالقتل وقتل -أعوذ بالله- فيه تمثيل وبشاعة وتشويه لأعضائه وصورة بشعة تشمئز منها النفوس وتقشعر منها الجلود أمور خطيرة على ما ينقل في وسائل الإعلام أمور خطيرة جدًّا وسيئة نسأل الله السلامة.

الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:

السؤال: هناك بعض الجماعات التي تتكلم باسم الإسلام والإسلام منها براء، وترفع راية الجهاد في سبيل الله وشعار الدفاع عنه ثم هي تسيء للإسلام أبلغ الإساءة، وذلك بما أظهروه من سفك للدماء وانتهاك للحرمات وترويع للآمنين وتفريق لوحدة الصف صف الأمة حديثكم حول ذلك:

الجواب: الحمد لله؛ الجهاد هو سنام الإسلام والجهاد والهجرة من أفضل الأعمال في الإسلام، ولكن الجهاد من صلاحيات ولي الأمر ولي أمر المسلمين هو الذي يأمر به وهو الذي ينفذه وهو الذي يشرف عليه بنفسه أو يقيم من يقوم مقامه في ذلك وهذا مذكور في كتب العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة قالوا: «الجهاد ماض مع كل إمام برًّا كان أو فاجرًا حتى تقوم الساعة» فهذا هو الجهاد المشروع أما سفك الدماء ومعصية ولي الأمر فهذا مذهب الخوارج وهذا من الإفساد في الأرض، هذا إفساد وليس بجهاد نسأل الله العافية وأن يهدي ضال المسلمين لمعرفة الحق والعمل به، نعم.

السائل: يا شيخ بعض الشباب قد ينخدع بالشعارات البراقة بهذه الجماعات المفسدة وقد يسارع بالانضمام إليها ويخرج على ولاة الأمر وينابذهم العداوة، ما توجيه الشيخ صالح؟

جواب الشيخ: هؤلاء الذين هذا وصفهم قد حذر منهم الرسول ﷺ قد حذر منهم أئمة الإسلام، وأن الواجب مناصحة من يقبل النصيحة منهم ومن لا يقبل النصيحة فإن ولي الأمر يكف شره عن المسلمين بما يتخذه من إجراء رادع لهؤلاء وأمثالهم، الدين لابد له من حماية البلاد بلاد المسلمين لابد لها من حماية والمسلمون كلهم رجال أمن وكلهم مسئولون عن حماية هذا الدين وحماية بلاد المسلمين وحرماتهم فلا يجوز السكوت عن هؤلاء أو أن بعضهم يمدح هؤلاء ويثني عليهم، وهذا من باب الجهل أو من باب مشاركتهم، فمن مدحهم وأثنى عليهم وبرر أفعالهم فإن حكمه حكمهم، نعم.

السائل: شيخ صالح: مما لا شك فيه أن الشباب بما عندهم من حماسة وعاطفة جياشة هم الهدف الأول لهذه الجماعات المنحرفة والمتشددة، ماذا تنصحون من هذا المنبر الشباب للحذر من تلك الجماعات المغرضة والتكفيرية؟

جواب الشيخ: أنا أنصح الشباب بطلب العلم الشرعي على العلماء حتى يعرفوا منهج هؤلاء ومنهج غيرهم فلا خروج من ذلك إلا بالعلم النافع، عليهم أن يتعلموا على أيدي العلما، وهذا الجهاد مذكور في كتب العقيدة ضوابطه وشروطه ومن يقيمه ليس الأمر فوضى.

والشباب لا شك أنهم عرضة للمضللين وأصحاب الأفكار الهدامة؛ لأن الشباب عندهم حماس وعندهم عاطفة وتأثر وليس عندهم حكمة ومعرفة بالأمور، فعليهم أن يرجعوا إلى أهل العلم وعليهم أن يلزموا السمع والطاعة لولي الأمر، لما أخبر النبي ﷺ حذيفة بكثرة الفتنة ودعاة الضلال دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قال: فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك قال: «**تلزم جماعة**

المسلمين وإمامهم» لأن هذا منجاة من هذه الفتن لزوم الجماعة والسمع والطاعة قد قال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**» لما طلبوا منه الوصية كأنها وصية مودع فأوصنا يا رسول الله قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي تمسكوا به وعضوا عليها بالنواجذ**» فلا نجاة إلا بلزوم جماعة المسلمين وإمام المسلمين ولزوم الكتاب والسنة، وهذا إنما يرجع فيه إلى أهل العلم الراسخين في العلم الذين يبينون للناس الطريق الصحيح من الطريق الضال والخطأ.

السؤال: يقول حينما نحذر بعض شبابنا وأبناءنا من تنظيم «داعش» الخارجي يقولون: إن أعمالهم جهاد في سبيل الله قال: ورأينهم ينشرون في بعض المقاطع كتاب التوحيد وأنهم يقيمون الحدود ويلزمون النساء بالحجاب يهدمون الأضرحة فكيف نرد على هذه الشبه؟

جواب الشيخ: نرد على هذه الشبه بأن جماعة داعش أو غيرها ينظر في منهجها وأنها تسير على ما عليه جماعة المسلمين ولا تخالفهم، ولا تخرج على ولاة الأمور، وإنما تكون مع جماعة المسلمين ولا يكونون لهم وحدة وجماعة منفردة.

الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله-:

السؤال: يقول: شيخنا الفاضل بعض الناس يقول عن الدولة الإسلامية الموجودة الآن أنهم خوارج فهل هذا صحيح؟

الجواب: لا شك، صفاتهم وأفعالهم هي أفعال الخوارج، يقال عنها الدولة الداعشية، لا ينبغي أن يقال لها إسلامية يقال داعشية هذا الاسم المناسب لها، الدولة الإسلامية تذبح الناس بالسكاكين؟! وتفسد وتقتل هذا ليس من الإسلام في شيء. اهـ.

وله حفظه الله مقال بعنوان: «**فتنة خلافة داعش العراقية المزعومة**» يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد ولد في العراق قبل عدة سنوات فرقة أطلقت على نفسها دولة الإسلام بالعراق والشام، واشتهر ذكرها بأربعة حروف هي الحروف الأوائل لهذه الدولة المزعومة فيقال لها: «داعش»، وقد تعاقب على زعامتها -كما ذكر ذلك بعض المتابعين لحدوثها وأحداثها- عدد يقال للواحد منهم: أبو فلان الفلاني أو أبو فلان ابن فلان، كنية معها نسبة إلى بلد أو قبيلة كما هو شأن المجاهيل المتسترين بالكنى والأنساب.

وبعد مضي مدة على الحرب التي وقعت في سوريا بين النظام والمقاتلين له دخل أعداد من هذه الفرقة غير مقاتلين للنظام، لكنهم يقاتلون أهل السنة المناوئين للنظام ويفتكون بهم، وقد اشتهر أن قتلهم لمن يريدون قتله يكون بالسكاكين الذي هو من أبشع وأنكى ما يكون في قتل الآدميين.

وفي أوائل شهر رمضان الحالي حوَّلوا تسمية فرقتهم إلى اسم «الخلافة الإسلامية»، وخطب خليفتهم الذي أُطلق عليه أبو بكر البغدادي في جامع في الموصل، ومما قاله في خطبته: «فقد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم»، وقد صدق في أنه ليس بخيرهم؛ لأن قتل من يقتلونه بالسكاكين إن كان بأمره أو بعلمه وإقراره فهو شرهم؛ لقوله ﷺ: «**من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**». رواه مسلم (٦٨٠٤).

وهذه الجملة التي قالها في خطبته قد قالها أول خليفة في الإسلام بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه وهو خير هذه الأمة التي هي خير الأمم، قالها تواضعًا وهو يعلم والصحابة يعلمون أنه خيرهم للأدلة الدالة على ذلك من كلام

رسول الله ﷺ، ومن الخير لهذه الفرقة أن تراجع نفسها وتئوب إلى رشدها قبل أن تكون دولتها في مهب الرياح كشأن مثيلاتها التي سبقتها في مختلف العصور.

ومما يؤسف له: أن فتنة هذه الخلافة المزعومة التي وُلدت قبل أيام لقيت قبولًا عند بعض صغار الشباب في بلد الحرمين أظهروا فرحهم وسرورهم بها كما يفرح الظمآن بالسراب، وفيهم من زعم مبايعة هذا الخليفة المجهول! وكيف يُرتجى خير ممن ابتلوا بالتكفير والتقتيل بأشنع القتل وأفظعه؟! والواجب على هؤلاء الشباب أن يربئوا بأنفسهم عن الانسياق وراء نعيق كل ناعق، وأن يكون الرجوع في كل التصرفات إلى ما جاء عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ؛ لأن في ذلك العصمة والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة، وأن يرجعوا إلى العلماء الناصحين لهم وللمسلمين.

ومن أمثلة سلامة من فكَّر في ضلال بسبب رجوعه إلى أهل العلم ما رواه مسلم في «صحيحه» (١٩١) عن يزيد الفقير قال: «كنتُ قد شَغَفَنِي رأيٌ من رأي الخوارج، فخرجنا في عِصابةٍ ذوي عدد نريد أن نحجَّ، ثمَّ نخرجَ على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يُحدِّث القومَ - جالسٌ إلى ساريةٍ - عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنَّميِّين، قال: فقلتُ له: يا صاحبَ رسول الله! ما هذا الذي تُحدِّثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]،و﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [الحج: ٢٢]، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأُ القرآنَ؟ قلتُ: نعم! قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام، يعني الذي يبعثه فيه؟ قلتُ: نعم! قال: فإنَّه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج اللهُ به مَن يُخرج، قال: ثمَّ نعتَ وضعَ الصِّراط ومرَّ الناس عليه، قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنَّه قد زعم أنَّ قومًا يَخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني: فيخرجون كأنَّهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنَّة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنَّهم القراطيس، فرجعنا، قلنا: وَيْحَكم! أَتَرَوْنَ الشيخَ يَكذِبُ على رسول الله ﷺ؟! فرجعنا، فلا والله! ما خرج منَّا غيرُ رَجل واحد، أو كما قال أبو نعيم». وأبو نعيم هو

الفضل بن دكين هو أحد رجال الإسناد.

وهو يدلُّ على أنَّ هذه العصابةَ ابتُليت بالإعجاب برأي الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار، وأنَّهم بلقائهم جابرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبيانه لهم صاروا إلى ما أرشدهم إليه، وتركوا الباطلَ الذي فهموه، وأنَّهم عدلوا عن الخروج الذي همُّوا به بعد الحجِّ، وهذه من أعظم الفوائد التي يستفيدها المسلم برجوعه إلى أهل العلم.

ويدلُّ لخطورة الغلو في الدِّين والانحراف عن الحقِّ ومجانبة ما كان عليه أهل السنَّة والجماعة قوله ﷺ من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن، حتى إذا رُئيت بهجته عليه وكان ردءًا للإسلام، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك**»، قلت: يا نبيَّ الله! أيُّهما أولى بالشرك: الرامي أو المرمي؟ قال: «**بل الرامي**» رواه البخاري في «التاريخ» وأبو يعلى وابن حبان والبزار، انظر «الصحيحة» للألباني (٣٢٠١).

وحداثةُ السنِّ مظنَّة سوء الفهم، يدلُّ لذلك ما رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٩٥) بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه أنَّه قال: «قلت لعائشة زوج النَّبيِّ ﷺ وأنا يومئذ حديث السنِّ: أرأيتِ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فما أرى على أحد شيئًا ألا يطوَّف بهما، فقالت عائشة: كلا! لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما، إنَّما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يُهلُّون لِمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرَّجون أن يطوَّفوا بين الصفا والمروة، فلمَّا جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

وعروة بن الزبير من خيار التابعين، وهو أحدُ الفقهاء السبعة بالمدينة في عصر التابعين، قد مهَّد لعُذره في خطئه في الفهم بكونه في ذلك الوقت الذي سأل فيه حديثَ السنِّ، وهو واضحٌ في أنَّ حداثةَ السنِّ مظنَّةُ سوء الفهم، وأنَّ الرجوع إلى أهل العلم

فيه الخير والسلامة.

وفي «صحيح البخاري» (٧١٥٢) عن جندب بن عبد الله قال: «إنَّ أوَّل ما ينتن من الإنسان بطنُه، فمَن استطاع ألا يأكل إلاَّ طيِّبًا فليفعل، ومَن استطاع ألا يحال بينه وبين الجنَّة بملء كفٍّ من دم هراقه فليفعل»، قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٣٠): «ووقع مرفوعًا عند الطبراني أيضًا من طريق إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب، ولفظه: (تعلمون أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **لا يحولنَّ بين أحدكم وبين الجنَّة وهو يراها ملءُ كفٍّ دم من مسلم أهراقه بغير حلِّه**»، وهذا لو لم يرِد مصرَّحًا برفعه لكان في حكم المرفوع؛ لأنَّه لا يُقال بالرأي، وهو وعيد شديد لقتل المسلم بغير حقٍّ».

وهذه الأحاديث والآثار هي بعض ما أوردته في رسالة »بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهادا؟! ويحكم أفيقوا يا شباب»، وفيها آيات عديدة وأحاديث وآثار كثيرة في تحريم قتل الإنسان نفسه وقتله لغيره بغير حق، وقد طبعت هذه الرسالة مفردة في عام (١٤٢٤هـ)، وطبعت سنة (١٤٢٨هـ) مع رسالة أخرى بعنوان: «بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير» ضمن «مجموع كتبي ورسائلي» (٦/ ٢٢٥-٢٧٩).

وعلى هؤلاء الشباب الذين انساقوا وراء نعيق هذه الفرقة أن يراجعوا أنفسهم ويثوبوا إلى رشدهم، وألا يفكر أحد منهم باللحوق بها فيخرجون من الحياة بالأحزمة الناسفة التي يُلبسون إياها أو بذبح بالسكاكين الذي هو ميزة لهذه الفرقة، وعليهم أن يلزموا السمع والطاعة للدولة السعودية التي عاشوا وعاش آباؤهم وأجدادهم في ولايتها بأمن وأمان، فهي بحق أمثل دول العالم وخيرها على ما فيها من قصور من أعظم أسبابه فتنة التغريبيين في هذه البلاد الذين يلهثون وراء تقليد الغرب في كل ما فيه مضرة.

وأسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يهدي شبابهم من

البنين والبنات إلى كل خير، وأن يحفظ بلاد الحرمين حكومة وشعبًا من كل سوء، وأن يوفقها لكل خير، وأن يقيها شر الأشرار وكيد الفجار، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه». اهـ.

الشيخ صالح السحيمي -حفظه الله-:

السؤال: أحسن الله إليكم يقول -الأخ لعله جديد على الدرس[(١)] - يقول: أليس الجماعة المقاتلة في العراق والشام -أقول ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية- أليست هي الطائفة المنصورة؟ يقول: بشهادة المسلمين وكذا حكام الغرب.

الجواب: أنا لا أستحسن تسميتها بالدولة الإسلامية لأنها لا تطبق الإسلام، وإنما تذبح المسلمين وتُذبِّح المسلمين وتُقتّلهم، وهي مسخَّرة من قبل أعداء الإسلام حتى بعض الغرب الذين يضربونها هم يغذونها من الداخل، سواء كانوا يشعرون، أو لا يشعرون تلك طوائف خارجة على المسلمين وهم يطبقون طريقة أشنع من طريقة الخوارج القدامى، فهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وقد قتلوا من المسلمين أكثر مما قتلوا من الكفار، مع أننا لا نجيز قتل الكفار بهذه الطريقة، لكن لو أنك أحصيت من قتلوه من أهل السنة في العراق والشام لوجدت أنهم قتلوا أكثر مما قتل في بعض على أيدي بعض الضالين فعلينا أن نحذر من هذه التسميات ومن هذه الألقاب

ممـا يزهدني في أرض أندلس ... أسمـاء معتضد فيـها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

فعلينا أن نتقي الله ﷻ وأن نحذر من مبايعة هذه الجماعات الشاذة.

وأية شهادة التي يعول عليها السائل؟ أهل الأهواء وأهل البدع يشهد بعضهم لبعض، أما شهادة الغرب فهي غير مقبولة ألبتة؛ لأن الغرب هم الذين أنشأهم أصلًا، سواء بطريق مباشر أو بغير مباشر، فإنهم لما رأوا أن المسلمين أهل السنة كادوا

(١) يقول القارئ هذا الكلام لأن من المتقرر عند طلاب الشيخ -حفظه الله- أن داعش خوارج، ولا شك في ذلك.

ينتصرون في الشام على ذلكم الطاغية عمدوا فأرسلوا تلك الداعش إلى بلاد الشام، فأصبحوا يذبحون المسلمين، بدأوا بالمسلمين وشغلهم في العراق على المسلمين، وعلى غير المسلمين وعلى الجميع يعني من قتل من أئمة المساجد في العراق على أيدي هؤلاء الدواعش، أكثر مما قتله الغرب أو الرافضة هذا أمر مسلم ومعروف ولا يجادل فيه إلا من يجهل حقيقة هؤلاء الناس ومن لا فرقان عنده يفرق به بين الحق والباطل، هل تقتيل المسلمين بدعوى أنهم مرتدون ومن أجل أنهم ليسوا على منهجهم الخارجي الباطني الداعشي الفلسفي بل وأقول الغربي المجندون من الغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، هم لما عجزوا عن تنفيذ أجندتهم في بعض البلاد الإسلامية لجئوا إلى البلاد التي فيها فوضى والتي تعيش الآن ثمار الصقيع الغربي المسمى بالربيع العربي فأصبحوا يشتغلون على هذه الأوتار يذبحون الآن المسلمين، في كل مكان في ليبيا والعراق واليمن والشام وفي كل مكان.

بل العكس هم تركوا الآن الذي كان المسلمون يردون أن يتخلصوا منه الذي يذبح المسلمين ويقتلهم الآن هو سلم مبسوط مرتاح لأن ما يسمى بداعش أراحوه في تقتيل المسلمين، وفي تفريق كلمتهم.

وما من شك أن هؤلاء شر من الخوارج القدامى خوارج هذا العصر شر من الخوارج القدامى، الخوارج القدامى عندهم شيء من الورع على علاتهم وعلى إلحادهم وعلى بدعهم الموجودة عندهم لكنهم أورع من هؤلاء الدواعش الذين لا أستجيز أن أسميهم دولة الإسلام فإن دولة الإسلام معروفة التي تقيم شرع الله وتحكم شرع الله هي هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية، على الرغم من أنوف داعش وغير داعش؛ فإن هؤلاء الناس الذين يعيثون في الأرض فسادًا، لا شك أنهم كما أخبر عنهم النبي ﷺ، لكن أزف لكم بشرى هم لن يستمروا فإن النبي ﷺ قال: «**يظهرون فيكم كلما ظهر منهم قرن قطع حتىٰ يظهر آخرهم مع الدجال**».

وأنت أيها السائل وفقك الله أرجو أن ترجع إلى العلماء الربانيين الواعين

أهل السنة والجماعة، أما هؤلاء الموتورين الجهال الذين يفسرون القرآن كما يريدون ويفسرون السنة كما يريدون ويحكمون على المسلمين بالكفر كما يشاءون، وهم قد شغلوا المسلمين عن كل شيء حتى عن فلسطين حتى عن القدس عن المسجد الأقصى؛ أعني: شغلوا المسلمين عن كل الأعداء وأصبحوا هم الشغل الشاغل الآن للمسلمين فتنوهم في اليمن في لبيا في العراق في الشام في أماكن كثيرة وقد نالنا منهم بعض الأذى.

ولكن ولله الحمد والمنة هم خاسرون في كل حركة يتحركونها في بلاد التوحيد نهايتهم الخيبة الخسران فخيبة لهم وتبًّا لهم وخسرانًا لهم عباد الهوى والشيطان.

وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ «**تتجارىٰ بهم الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَب بصاحبه**» والكلب مرض يصيب بعض السباع فإذا عض إنسانا أصابه نفس الداء ويكفي أن هؤلاء لم يرجعوا إلى العلماء إنما هم يفتون أنفسهم كما قال النبي ﷺ: «**إنما أخشىٰ علىٰ أمتي الأئمة المضلين**» وفي حديث آخر: «**إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا وإنما يقبضه بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» هم هؤلاء الدواعش ومن هم على شاكلتهم من أرباب الأهواء التي تموج كموج البحر في بعض البلاد الإسلامية.

ونسأل الله أن يخذلهم وأن يخذيهم لأنهم صاروا شرًّا علينا من الكفار يعني هم صاروا أخطر علينا على المسلمين على أهل السنة صاروا شرًّا من الكفار.

والنبي ﷺ أخبر أنهم شر الخلق والخليقة وأن شر قتلى قتلهم وأنهم شر قتلى تحت أديم السماء وأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم» هاهم يفجرون ببنات المسلمين باسم أنهم سبايا يزنون بهم الآن دعنا ممن أخذوهم من غير المسلمين مع أننا لا نقر حتى طريقتهم مع غير المسلمين لكن الآن هم يسبون بنات للمسلمين من أهل السنة ويبيعونهن في الأسواق ويعتبرونهن سبابا هل هناك شر من هذا هؤلاء، والله أخبر عنهم ﷺ حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم،

لا يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ليس لهم إلا ما أشرب من أهوائهم، تجد بعضهم لا يعرف يتوضأ بعضهم لا يعرف الشرك من التوحيد ولا السنة من البدعة، وهو من أدعياء الجهاد فعلينا أن نتنبه وأن نحذر الجهاد له ضوابط ذكرنها أكثر من مرة.

ولعل أخي أحمد يحيلكم على الأماكن التي فصلنا فيها ضوابط الجهاد[1] أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وصلى وسلم الله على نبينا محمد». اهـ.

الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله-:

يقول -حفظه الله-: «كل الجماعات الدعوية الحديثة هي على ضلال وعلى سبيل هوى فليحذرها المسلمون عوامهم وخواصهم فإن لم يستجيبوا لهذا البيان فإنهم عصاة لله ولرسوله ولولي أمر المسلمين وهذه كبيرة من الكبائر، نقول هذا وإن رغمت أنوف الجماعة المخالفة من تبليغية أو إخوانية ومن نبت عنهما وأخذ عنهما، والجماعة جماعة الحق والهدى والسنة هم السلفيون.

وقد كذب عدوٌّ لله إذ قال: «إن داعش نبتة سلفية» اللهم أوقف للخصومة وأشغله في نفسه وماله بما يسوءه، وأرنا فيه العبرة هو ومن على شاكلته واجعلهم عبرة لمن يعتبر يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام».

الشيخ عبد الرحمن محي الدين -حفظه الله-:

قال -حفظه الله-: «اليهود والمشركون وغيرهم حرشوا بين المسلمين مرة، أرادوا من المسلمين أن يقتتلوا الرسول سمع! استغرب! وخطبهم وبين لهم لأنهم حمسوا بعضهم بعضا وأرادوا أن يقتتلوا الرسول كان حكيمًا بين لهم وعرفوا أن هذا دسيس من اليهود، الآن نحن مغفلين! لكن أرى كثيرًا من الشباب يذهب مع داعش

(١) قال: أحسن الله إليكم الدرس المشار إليه وهو أشهر الدروس بتاريخ (٦/ ٥/ ١٤٣٣ من الهجرة) في شأن الجهاد وما أثير حوله من شبهات في هذا الزمان.

يذهب مع قاعدة يذهب مع إخوان يريد أن يكسر المسلمين، يقتل المسلمين هذا خطأ والله لا يحل لا يحل لا يحل يقول الله في القرآن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] يجب أن نكون هنا جماعة واحدة كل المسلمين يجب أن يكونوا جماعة واحدة».

الشيخ سليمان الرحيلي -حفظه الله-:

السؤال: شيخنا بارك الله فيكم ما قولكم فيما يتعلق بداعش المنتشرة في الإذاعات والتلفاز ووسائل الإعلام وبارك الله فيكم.

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من الأمور القطعية في الدين أن الخير كله فيما جاء به محمد ﷺ، وعمل به صحابته رضوان الله عليهم؛ فالله ﷻ بعث محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأكمل له الدين، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم دين الله فهمًا سليمًا، وعملوا به عملًا مستقيمًا؛ فملأوا الأرض التي وصلوها خيرًا وبركة ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

إلى أن ظهر في الإسلام أقوام ونبتت نابتة ظنوا أنهم أفهم لدين الله من صحابة رسول الله ﷺ، وأنهم أغير على دين الله من صحابة رسول الله ﷺ، ألا وهم الخوارج، وهؤلاء الخوارج يظهرون في كل قرن، كلما ظهر لهم قرن قطع وأولهم وآخرهم على صفات أخبر بها النبي ﷺ؛ فهم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يكفرون كل من خالفهم؛ فمن خالفهم فهو كافر حلال الدم يغنم ماله وتسبى نساؤه، وقد قال لي أحدهم يومًا وقت الحج: أرأيت هؤلاء الحجاج يبلغون ثلاثة ملايين ليس فيهم رجل عرف الله.

وهم يا إخوة -أعني أوائلهم- كفروا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه قاتل ولم يغنم ولم يسب، فهذا فكرهم، وهؤلاء الموجودون في داعش منهم مَن هو من الخوارج فهو متصف بكل صفات الخوارج، ومنهم من فيه صفات للخوارج وكلهم مخالفون للسنة مضرون بالأمة مثقلون بالأمة عن الجهاد المشروع مسلطون أسلحتهم على أهل السنة بحجة أنهم مرتدون وأنهم منافقون وأن قتلهم أولى من قتل اليهود والنصارى، في رمضان القريب اليهود ضربوا غزة وقتلوا المسلمين وهؤلاء في العراق والشام هل توجهوا إلى فلسطين لحماية المسلمين، لا والله، ولكن توجهوا إلى الحدود السعودية دولة التوحيد والسنة في يوم الجمعة الأول أول جمعة من رمضان في وقت صلاة الجمعة لأنهم يعلمون أن العساكر السعوديين يصلون الجمعة وفجروا سيارة فيمن كان موجودًا للحراسة ودخلوا البلد وحاولوا الإفساد لكن الله خذلهم.

إخواننا في اليمن من أهل السنة يُقتِّلهم الحوثيون الروافض، والقاعدة موجودة في اليمن بأسلحتها وعتادها لم يحركوا ولا مرة واحدة لحماية أهل السنة، بل يضحكون منهم ويفرحون فيهم أنرجو الخير من أمثال هؤلاء؟! هم مخالفون للعلماء ولن تعز الأمة إلا بالالتزام بركاب العلماء فلا ينبغي يا إخوة أن نغتر بحلو الكلام فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال عنهم: «**يحسنون الكلام ويسيئون الفعل**».

الآن هم يقولون: نريد أن نقيم الخلافة نريد أن نحكم شرع الله، على جثث المسلمين على جثث أهل السنة يريدون قتال كل من خالفهم فوالله الذي لا إله إلا هو، والله الذي لا إله إلا هو، والله الذي لا إله إلا هو لا يجوز لمسلم أن يحبهم ولا يجوز لمسلم أن يدعو لهم إلا بالهداية، ولا يجوز لمسلم في أي أرض كان أن يبايعهم.

والوصية يا إخوة: احمدوا الله على ما أنتم عليه والزموا بلدانكم وأطيعوا ولاة أموركم في غير معصية الله وناصحوهم بالطرق الشرعية، وادعوا إلى التوحيد والسنة

وأنتم في خير إن شاء الله ﷻ». اهـ.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث فإلى كل خارجي فرح بهؤلاء الدواعش، ولكل من تأثر بمنهجهم ومعتقدهم، أو اغتر بأفعالهم نقول:

قل للدواعش لن تدوم[١] طويـلا ... نهـج الخوارج لـم يـزل مخذولا
مـازال يقطـع كلمـا قـرن بـدا ... يستعجلون الأعـور الضِّـلِّيلا[٢]
قـد أخبر المعصوم وحيا باقيـا ... وصـفا لكـم ولغيركم ودلـيلا[٣]
ولقد أشـار إلىٰ العراق محـذراً ... مـن هاهنـا يـأتي الفتـون وبيلا[٤]

(١) أي: مدتكم، أو على تقدير قل لتنظيم الدواعش لن تدوم طويلا.

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلما خرج قرن قطع» أكثر من عشرين مرة حتى «يخرج في عراضهم الدجال». انظر: «السلسلة الصحيحة» (٥٥٤٢)، فنسأل الله أن نكون ممن قطع على أيديهم هذا القرن من هؤلاء الضّلّال.

(٣) وصفًا لكم أيها الدواعش ووصفًا لغيركم من الخوارج قديماً وحديثًا فلا يغتر أحد بكم ودليلاً على ضلالكم وانحرافكم أجمعين.

(٤) عن يسير بن عمرو، قال: «دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله ﷺ: «يذكر قومًا يخرجون من هاهنا» وأشار بيده نحو العراق «يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: «هذا ما سمعت لا أزيدك عليه». رواه البخاريّ وأحمد.

حرَّبتمــو دار الســلام وأهلــه[١] وجعلتمو للــكافرين سبــولا[٢]

سالمتمــو عبَّــاد أوثــان ولــم تسلـم ديــار المسلمين عدولا[٣]

مزقتمـوهم شـامهـم وعراقهــم نِسـوانهم أطفــالهم وكهـــولا

بغَّضتـم الديــن الحنيف لأهلــه فلغيــرهم بغضـًا أشدّو قيــلاً

لم يرضكم من في الضلالة مثلكم أفيرتضي من في الهداة أصيـــلا[٤]

---

(١) جعل الخوارج «الدواعش وغيرهم» دار الإسلام دار حرب تباح فيه الدماء والأعراض والأموال؛ فدار الحرب هي: بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم» كما في ناج العروس.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى كما في «مجموع الفتاوى» (٩١/ ٣٧): «الخوارج وأهل البدع... يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وان دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الايمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة وجمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من غلاة المتنسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرًا». انتهى، فأنتم أشبه بالروافض الذين تزعمون محاربتهم! وما نراكم تحاربون إلا أهل السنة وحدهم، وسلم منكم الكفار جميعًا!

(٢) السُّبُول: جمع سبيل، وهذه السبل التي زللها الدواعش للكافرين كثيرة، منها اتهام الإسلام بأنه دين إرهاب وحرب وعشق للدماء، ومنها صد من أراد الدخول فيه عنه، وفتحهم لهم أبواب الحصون كي يدكونها بصواريخهم ومدافعهم، وصدق الهمداني حيث يقول: «مبتدعة الإسلام والوضاعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل؛ فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالمحاصرين من الخارج، فالدخلاء يفتحون الحصن؛ فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له». «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٥).

(٣) أي: حال كونهم عدولاً لا يستحقون ذلك فلا سبيل لكم عليهم، فكفرتموهم لتجعلوا لأنفسكم عليهم سبيلًا لعنكم الله

(٤) فلم يرض بهم وبأفعالهم إخوانهم الخوارج من تنظيم القاعدة، وجبهة النصرة، ومن يزعمون أنهم فيهم علماء كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني، وغيرهم، فكيف يرضى بهم أهل السنة الخلص السائرين على منهاج النبوة؟!

يا شرَّ من تحت السماء[١] ألا اصبروا	أوْ لا سواءٌ لن تنالوا جميلا
هـذي جحافل سنة وجماعة	تهديكمو أو تقتلوا تقتيلا[٢]
قطعت قرون قبلكم وستقطعوا	حُججٌ تطيح وسيفها مسلولا[٣]
سنن الإلـه الحق عدلٌ قائمٌ	لا تقبل التبديل أو تحويلا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد ﷺ.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «إن بعدي من أمتي -أو: سيكون بعدي من أمتي- قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة». رواه مسلم، باب: الخوارج شر الخلق والخليقة.

وعن أبي غالب: رأى أبو أمامة رؤوسًا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه. قيل لأبي أمامة: أنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا حتى عد سبعًا ما حدثتكموه». رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث حسن» انظر «مشكاة المصابيح» (٢/ ٨٠٣).

(٢) قد يكون قتلهم وقطع قرنهم بيد الصالح كعلّي رضي الله عنه أو الطالح كالحجاج ولذلك بني الفعل للمجهول في قوله: «كلما خرج قرن قُطع» وعلى كلٍّ فقد أمر رسول الله ﷺ بقتالهم وقتلهم قال: «إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». متفق عليه.

(٣) حججهم -أي: أهل السنة والجماعة» السلفيون بحق- تُطيح برؤوس شبهات الخوارج وضلالاتهم، وسيفها يطيح كذلك بهم قوة وفعلًا؛ فقوله «مسلولًا» حال، وهو قيد مراد لإفادة كونه يطيح بالفعل أيضًا لا بالقوة فقط؛ فهو مسلول عليهم غير مغمد! وهو أشد عليهم من أشد الأسلحة الفتاكة!

وكتبَ

أبو سفيان عمرو سادات الكرداسي وأبو زياد محمد آل يعقوب النوبي

٨٦٢٣٨٧٤١١١٠٢٠٠ ٨٢٤٨٠٥٨٥١١٠٢٠٠

الأربعاء ٢٣ ربيع أول ١٤٣٦هـ

الموافق ١٤ يناير ٢٠١٥م

Abozyad2210@gmail.com

فهرس المحتويات